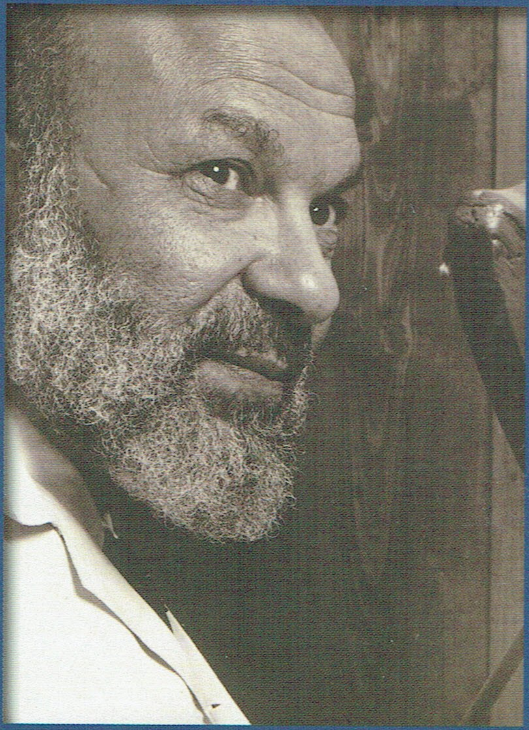
كمال يوسف

أثريان من الزمن الجميل





100
المتحف المصري
THE EGYPTIAN MUSEUM
1902 - 2002

كمال يوسف

أثريان من الزمن الجميل

100
المتحف المصري
THE EGYPTIAN MUSEUM
1902 - 2002

تقديم

عندما قرر المجلس الأعلى للآثار أن يحتفل هذا العام بالعيد المئوى لإفتتاح واحد من أهم صروح الآثار فى مصر و العالم و هو المتحف المصرى، كان لابد ألا يقتصر الإحتفال على المبنى فقط لكن الأهم كان هو المعنى و المغزى وراء هذا الصرح العملاق. فلم يكن متحفنا مجرد أكاديمية تعليمية تخرج منها الآلاف من طلبة الآثار و السياحة عبر قرن من الزمان أو مجرد منارة ثقافية أضاءت بنورها البراق بقاع العالم المتحضر، لكنه كان أيضاً خير سفير و بشير للحضارة المصرية العريقة على أرضها .. و قبلة و محراباً لعشاق الجمال و الفن و التفرد من جميع أنحاء العالم.

و لأن عرق و كفاح و أصالة الإنسان المصرى العظيم كانت و ستظل هى المفتاح و كلمة السر لتلك الحضارة المبهرة .. بدعة الدهور.. و روعة الأزمان، كان الإحتفاء به و تكريمه هو تكريم لكل حبة عرق سالت على جبين فنان مصرى أبدع أثراً فصار تاجاً على رؤوسنا جميعاً.

لهذا فقد وقع الإختيار على رمزين من رموز الكفاح الأثرى من المصريين اللذين إرتبطا بالمتحف على وجه الخصوص، والذين مثل مشوارا حياتيهما نموذجين مشرفين للريادة فى مجالى الآثار و الترميم عبر قرن و نصف من الزمان .. هى تقريباً عمر إشتغال المصريين بآثارهم.

فيعتبر أحمد باشا كمال بحق الأب الروحى للأثريين المصريين جميعاً، والذى فتح بإصراره و عزيمته الطريق أمام أجيال منهم .. فكانت قصة كفاحه، و تفوقه فى كافة مجالات العمل الأثرى فى تلك الفترة المبكرة، رمزاً يحتذى و نبراساً يهدى الشباب من أحفاده الأثريين.

كما يعتبر أيضاً الحاج أحمد يوسف الأب الروحى للمرممين المصريين .. بما له من بصمات مضيئة فى كافة أنحاء مصر، نقش بها بأحرف من نور قصة نجاح أثبتت للعالم أجمع أن المصرى قادر على التفوق فى كافة المجالات الأثرية وبأقل الإمكانيات.

إننا إذ نكرم هذين الرائدين اليوم، فإننا نكرم كل أثرى على أرض مصر .. و كل محب و عاشق لتراث هذا البلد الخالد الذى لا ينسى أبنائه البررة أبداً و إن طال الزمان و تأخر التكريم.

و أخيراً أوجه شكرى و تقديرى للباحث المجتهد الشاب لؤى محمود سعيد و الذى بذل جهداً فائقاً متميزاً فى سبيل تجميع و إعداد مادة هذا الكتاب الثرية بصورة لم نتوقع لها فى البداية أن تخرج بهذا الشكل المشرف .. و ذلك نظراً لصعوبة و ندرة مصادر البحث.

د. زاهى حواس

الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار

أحمد باشا كمال

رائد التنوير الأثرى

"يا من تمضى .. ستبعث"

لؤى محمود سعيد

القاهرة ٢٠٠٢

تمهيد

فى اليوم الذى تحقق فيه حلم حياته الذى ناضل من أجله خلال نصف قرن، وصدر فيه قرار بإنشاء «مدرسة للآثار» (اللسان المصرى القديم) وتعيينه مديراً لها. . وقّع أيضاً فى نفس هذا اليوم طبيب الصحة تصريح دفن جثمان أحمد باشا كمال أسطورة الآثار المصرية والأب الروحى للأثريين المصريين !! لتطوى بذلك صفحة ناصعة البياض من صفحات العمل الأثرى الوطنى.



أحمد باشا كمال

لقد كانت تلك الخاتمة تجسيداً لدراما الأمل والانكسار.. الإصرار والإحباط. فقد كان أحمد كمال أشبه بالأبطال الأسطوريين للملاحم الإغريقية، الذين يتحدون آلهة الغضب والدمار لتحقيق أحلامهم .. غير مبالين بما يحيطهم من أهوال .. أو بما ينتظرهم من قدر محتوم مجهول. تمتلئ قلوبهم بإصرار وعزيمة .. لا يخالطه أى خوف أو ضعف .. فالحلم أكبر والهدف أسمى.

عندما طلب منى الصديق د. ممدوح الدماطى مدير المتحف المصرى منذ عدة شهور أن أتولى مهمة الكتابة عن أحمد كمال، وذلك بمناسبة تكريمه فى الاحتفال بمئوية المتحف هذا العام، باعتباره أول مصرى يعمل به، إنتابتنى مشاعر متباينة ..

فقد اختلطت بداخلى أحاسيس السعادة مع الرهبة والتردد بل والخوف أيضا .. فأما السعادة فمصدرها تقديرى الكبير لشخص هذا المناضل الأثرى الذى يشرف أى مصرى وعربى بالكتابة عنه، لكن انتابتنى فى نفس الوقت رهبة من ألا أوفّى هذا الرائد الأثرى حقه الذى يستحقه، خاصة أن هذا هو أول عمل متكامل - على حد علمى - عن حياته وفكره وأعماله .. فالمصادر الخاصة بالدراسة ليست كافية وصعبة المنال .. كما أن المراجع التى تناولته محدودة وذكرته عرضاً فى الغالب. لهذا فقد توقعت أن عملاً كهذا سيتطلب وقتاً وجهداً بحثياً غير قليل أنا فى أمس الحاجة إليهما للانتهاء من أطروحتى للدكتوراه التى أعدها.

لكن من ناحية أخرى فقد انتابنى تردد حقيقى من إقدامى على مثل هذه النوعية من الكتابة والتى لم أمارسها من قبل .. وهى «السيرة الذاتية». خاصة أنها تتعلق بمرحلة تاريخية هامة ودقيقة تمتد من النصف الثانى للقرن التاسع عشر وحتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين.

وهى مرحلة وإن كنت شديد الاهتمام بها، لكنها تخرج عن نطاق تخصصى الدقيق فى التاريخ والحضارة المصرية القديمة، وبالتالى فلا يمكن أن أدعى امتلاكى لأدواتها الكاملة، مما قد يهدد البحث بالنقصان وعدم الدقة.

لكننى فى النهاية حسمت أمرى، وقررت قبول المهمة الصعبة .. أولاً لأنها شرف كبير وواجب وطنى نحو واحد من أعز أبناء مصر تأخر كثيراً تكريمه. و ثانياً لأن استعراض حياة هذا الرجل تتضمن الكثير من الدروس المستفادة لكل أثرى غيور على تراث بلده، وتحل الكثير من الإشكاليات المطروحة حالياً فى مجال العمل الأثرى .. أما ثالثها فهو شخصى بحت ويتمثل فيما يملؤنى من إحساس بتعاطف لا حد له مع فكر هذا الرجل وتوجهاته التى بشّر بها طيلة حياته .. مثل تأصيله للعلاقات المشتركة بين اللغة والفكر والروح المصرية القديمة ومثيلاتها من الحضارة العربية ولغتها وثقافتها، وهو الإتجاه الذى كان ولا زال غالبية كتاب الغرب يعادونه بشدة إنطلاقاً من دوافع لا تخفى على أحد. لكنه صار يمثل تياراً متنامياً مؤخراً فى أوساط شباب الأثريين خصوصاً إدراكاً منهم لضرورة سد الهوة، وتأكيد التواصل مع الحضارات المجاورة لمصر، تأصيلاً لروح التضامن المنشودة، وذلك من خلال القرائن الأثرية .. فتمنيت أن تكون سيرة هذا الرجل العظيم نبراساً لهم ولكل عربى.

كانت البداية مع المرشدة السياحية هالة سلام حفيدة أحمد كمال، والتى تحمست كثيراً للفكرة وكانت خير عون .. فقد أمدتنى ببعض الصور الشخصية لجدها و أفراد أسرته، وبعض المقالات التى كتبها أو كتبت عنه. ثم لاحقاً أمدتنى أيضاً الحفيدة المهندسة منى البارودى ببعض الصور وتسجيل صوتى لندوة حضرتها عام ١٩٧٧ فى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عن أحمد كمال لكنها للأسف لم تنشر للآن بمجلة الجمعية.

ثم بدأت رحلة طويلة مضنية بين الكتب والدوريات والمجلات والصحف القديمة فى المكتبات المختلفة لاستكمال المادة .. فى دار الكتب والمجمع العلمى المصرى ومركز البحوث الأمريكى ومكتبة كلية الآثار بجامعة القاهرة وغيرهم، هذا بالإضافة للخوض فى أكوام وثائق وزارة الأشغال العمومية ومجلس النظار، والتى استغرقت منى جهداً ووقتاً طويلاً بسبب رغبتى فى تصويرها من أصولها صوراً ملونة مطابقة للأصل وليس مجرد نسخ ضوئية . وأشكر فى هذا الصدد صديقى د. محمد الششتاوى بالمجلس الأعلى للآثار الذى لولاه لكان الأمر أشق وأصعب بكثير.

كما استلزم الأمر أيضاً أن أقوم بنفسى بإلتقاط بعض الصور الفوتوغرافية الأخرى الهامة لتلك

الدراسة من الأماكن التى إرتبطت بكمال لأضمها للكتاب، ثم أخيراً بدأت المرحلة الأصعب وهى وضع تصور منهجى للكتابة. فلقد استبعدت منذ البداية فكرة اتباع المنهج السردى التقليدى المستخدم عادة فى كتابة السير الذاتية .. وآثرت أن أتعامل مع وقائع حياة كمال من خلال سياقها الذى تواجدت فيه .. بمعنى أن أبرز بقدر الاستطاعة أثر الأحداث المختلفة السياسية والمهنية والثقافية والاجتماعية المعاصرة له على وقائع وأحداث حياته. مع التركيز على تحليل منهجه الفكرى ونشاطه العلمى والأثرى من منطلق هذه المؤثرات.

والأهم من كل ذلك هو التوقف أمام أهم الشخصيات التى مثل احتكاكه بها سلباً وإيجاباً تحولات مفصلية فى حياته .. من أمثال على باشا مبارك وماربيت وماسبرو وغيرهم. فجاءت حياته الثرية فى النهاية أشبه بسرد ثقافى وسياسى لأحوال مصر فى هذه الفترة، وتجسيد لتنامى الفكر القومى الوطنى ورموزه التنويرية فى شتى المجالات .. فكان كمال بحق رائد التنوير الأثرى الوطنى فى عصره.

تميز كمال بريادته فى كافة المجالات الأثرية فكان أول أثرى مصرى يعمل بالمتحف المصرى، وأول من نشر كتاباً علمياً عن الآثار المصرية باللغة العربية، وأول مصرى يتعلم ويقوم بتدريس الهيروغليفية والآثار، وأول من قال وألف لهذا معجماً كاملاً بالأصول المشتركة للهيروغليفية والعربية .. كما تتلمذ على يديه الكثيرون أمثال سليم حسن وسامى جبرة ومحمود حمزة .. بل وحتى عميد الأدب العربى طه حسين و الذى درس على يديه فى الجامعة المصرية وغير بفكره مسار حياته .. وكثيرون غيرهم.

كان كمال هو القوة الدافعة الخفية وراء إصدار كافة قوانين حماية الآثار فى نهاية القرن ١٩. كما شارك فى نقل متحف بولاق للجيزة ثم لقصر النيل (متحف التحرير الحالى).. وكتب الكتب وعشرات المقالات باللغة العربية والفرنسية فى الدوريات العلمية وفى الجرائد والمجلات الشعبية بهدف اكتساب المزيد من محبى الآثار المصرية .. وغيرها من الأنشطة الأثرية التى يتوقف المرء حقاً مشدوهاً أمام غزارتها وأمام عزيمة صاحبها وهمته العالية.. لكن..

فرغم أنه كان من الطبيعى أن نتوقع تحفظاً أوروبياً يصل لدرجة العداء، تجاه ذلك المصرى العنيد وآرائه التحررية الداعية لاستنهاض روح العزة والثقة بالنفس .. لكن ما لم يكن طبيعياً وغير مفهوم على الإطلاق هو موقف الكثيرين من أهل بلده تجاهه!!

فبينما لقيت آراؤه الاستحسان والتقدير وأثرت فى فكر الكثيرين من طبقات الصفوة والمثقفين فى عصره، إلا أنه قد تعرض أيضاً لهجوم ونقد من نفر غير قليل، باعتباره يروج لدعوة لا طائل منها فى أحسن الأحوال، أو حتى باعتبارها دعوة «كُفرية» فى أحوال أخرى.

ثم انسحب هذا التقليل منه ومن شأن آرائه ليس فقط على حياته، لكنه امتد لبعد وفاته .. فلم

تُرثه مجلة مصلحة الآثار ولا أى جهة أخرى فى مصر بكلمة واحدة لمدة تصل لثمانين عاماً، باستثناء ندوة عقدت عام ١٩٧٧ تحدث فيها عنه وعن أعماله كبار علماء الآثار فى مصر .. لكن لم ينشر منها حرف واحد، ولم تنفذ توصياتها. لكن التجاهل الأعظم والأخطر كان لكتب كمال الثمانية باللغة العربية، والتى لم يعد طبع أى منها منذ وفاته .. رغم أن مؤلفين أوروبيين آخرين من جيله مثل بترى وإرمان وبدج وغيرهم أعيد طبع ترجمات كتبهم باللغة العربية مرات ومرات !! لكن قاموسه الهيروغليفى الضخم، والذى وصلت أجزاؤه إلى ٢٢ جزءاً، واستغرق تأليفه ٢١ عاماً، ووضع فيه خلاصة علمه ومنهجه فى التقريب بين الهيروغليفية والعربية .. كان الأسوأ حظاً. فقد رفض الأجانب طبعه اعتراضاً بالقطع على مضمونه، كما فشلت أيضاً كل اقتراحات (وليست محاولات) طبعه فى بلده مصر حتى اليوم ولمدة ٨٠ عاماً منذ وفاته!!

أرجو فى النهاية أن يتمكن هذا العمل المتواضع من تحقيق غرضه. وأن يلم ويلقى ببعض الضوء على شخصية هذا الرائد الأثرى العظيم، الذى لقى تجاهلاً فى حياته وبعد مماته.. من المصريين والأجانب على حد سواء. فكأنه قد تنبأ بقدره حين وقّع آخر مقال كتبه فى حياته باسم- أثرى منبوذ. و لرفع بعض الغبن عنه، أقترح أن يتبنى الأثريون فكرة إتخاذ تاريخ ميلاده أو تاريخ تعيينه للعمل بالمتحف «كيوم للأثرى المصرى أو العربى» يحتفل به سنوياً.

كما أرجو أن تثير هذه الكلمات حماس كل غيور من أجل تجميع وإعادة طبع أعماله وخاصة قاموسه الهام .. وكفى تجاهلاً.

وأخيراً أرجو أن يغفر لى القارئ أى أخطاء أو هفوات قد تضمنها هذا العمل، وهى بالقطع موجودة ولا أعفى نفسى منها .. لكنها بالقطع غير مقصودة، وربما يكون الحماس الزائد سبباً فيها .. فقد اندمجت تماماً فى إعداد هذه الدراسة، وعايشت صاحبها وعصره بكامل حواسى .. مما جعل إنجازها متعة كبيرة. وهو ما قد يكون أيضاً قد كساها بشئ يفترض غيابه فى البحث العلمى ألا وهو الانحياز. لكنه فى الواقع اتهام أقر به وأعترف .. لأننى لم أنحز فقط لشخص أحمد كمال، لكن أيضاً لفكره .. ولآماله .. ولأحلامه التى هى كل عمره .. فقد كانت دراما كمال هى قصة حياة حلم مصرى لم يتحقق وربما كان هذا هو حلمنا جميعاً الذى نتوق إليه ولا نراه فى الأفق.

لؤى محمود سعيد

الهرم - أكتوبر ٢٠٠٢

١

نشأة علم المصريات وأحوال مصر

نشأة علم المصريات
وأحوال مصر فى عصر أحمد كمال
(١٨٥١ - ١٩٢٣)

إن الكتابة عن شخصية فذة كشخصية أحمد باشا كمال تستلزم بالضرورة إلقاء الضوء فى عجالة على الأحوال السياسية والثقافية التى سادت فى عصره، وخصوصاً فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وخاصة ما ارتبط منها بما يسمى بـ(الولع بالمصريات) والذى اجتاح الغرب وانعكس صداه بقوة فى مصر، حتى أصبحت آثارها واحدة من أهم ميادين التنافس والسعى وراء السبق الحضارى بين الدول . مع توضيح تأثير كل ذلك بصورة أو بأخرى فى تكوين فكر ووعى أحمد كمال فى هذه الفترة، وبلورة رؤيته ومنهجه الواضح فى التعامل مع قضية الآثار، والذى أخذ فى النمو باضطراد حتى تجسد فى عمله الخالد الفريد (قاموس الهيروغليفى) .. هذا العمل الذى لقى الكثير - مثل مؤلفه - من التجاهل والمعاداة سواء فى حياة صاحبه أو بعد مماته لسنوات طوال حتى اليوم.

إن البداية الحقيقية للاهتمام الغربى بالحضارة المصرية ورموزها ليرجع فى الحقيقة إلى القرون الأخيرة التى سبقت ميلاد المسيح، والتى شهدت تدفقاً كبيراً للمؤرخين والرحالة والزوار اليونانيين والرومان وغيرهم على مصر بغرض التسابق على سبر أغوار هذه الحضارة (الملغزة) وتقديمها إلى شعوبهم فى صورة مغلفة بالتشويق والإثارة.. بل ولا يعتبر تجاوزاً للحقيقة إذا قلنا أن تلك الكتابات التى وضعها هيرودوت وأمثاله هى التى مهدت الطريق (وفتحت الشهية) لغزو الشرق بأكمله وعلى رأسه مصر بهدف السيطرة على كنوزه الخلابة وامتلاك ثرواته وأسراره، وهو ما جسدته غزوات الاسكندر الأكبر.

الغريب أن غزوة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨ والمعروفة (بالحملة الفرنسية) على مصر قد سبقها أيضاً تزايد فى وتيرة الكتابات التى تتحدث عن مصر وأسرارها وخاصة من الرحالة الفرنسيين، وهو الاهتمام الذى لم ينقطع أبداً بحضارة مصر وغموضها مؤكدة بذلك تلك (الرغبة الجامحة بين مثقفى حكومة الإدارة «الفرنسية بالطبع» إلى اكتشاف هذا البلد الغامض المجهول) وذلك على حد تعبيـر د. ليلى عنانى والتى تضيف: (وكأن فرنسا بعلمها الجديد تغلق طوق دائرة المعارف

بالرجوع إلى المنبع فتحقق بهذا الالتحام السيطرة على تاريخ العلوم)[1].

فالاهتمام بمصر وآثارها وحضارتها لم يبدأ إذن فقط عند دخول غزوة نابليون لمصر كما يعتقد الكثيرون .. لكنها وللحق قد فجرت ذلك السباق المحموم والمستمر لليوم بين دول أوروبا لحيازة قصب السبق فى دراسة حضارة مصر وحيازة أثمن وأهم آثارها القديمة، خاصة بعد صدور الطبعة الأولى من موسوعة (وصف مصر) فى باريس بين عامى ١٨٠٩ و ١٨٢١ وما تضمنته من وصف بالصورة والكلمة والخرائط لآثار البلاد ومعالمها وعاداتها وتقاليدها، وذلك فى ٩ أجزاء على يد مجموعة من العلماء والرسامين الذين صاحبوا بونابرت.

عندما جاء جان فرانسوا شامبليون إلى مصر لأول ولآخر مرة عام ١٨٢٨ وبقى فيها حتى عام ١٨٣٠، هاله ما وصلت إليه حال الآثار المصرية من نهب وتخريب وتدمير على يد صائدى الكنوز من المغامرين وقناصل الدول الأوروبية وأعوانهم من الجشعين المحليين. فدفعه ذلك إلى أن يستحث والى مصر وقتها محمد على باشا على ضرورة الحفاظ على آثار مصر، و هو ما لم يتحمس له الوالى فى حينه .. والطريف أن شامبليون نفسه قد حرص أثناء زيارته على اقتناص أثمن ما يقابله من الآثار المصرية، حتى أنه أعلن أثناء زيارته لوادى الملوك بالأقصر أن نقوش مقبرة سيتى الأول يمكن أن تحلى مجموعته باللوفر .. بل ورد على الاحتجاج الذى أرسله إليه فنان إنجليزى محاولاً إثناءه (عن هذه الغاية المفزعة) بقوله: « إنى أتصرف كعاشق حقيقى للآثار لأننى انقلها بعيداً لأحافظ عليها لا لأبيعها» !!...

فالقاعدة الأخلاقية التى صارت تحكم وقتها تقول: من الصحيح تماماً أن تسرق الآثار المصرية طالما أن اللصوص لا يهدفون لكسب شخصي![2]

ثم حدثت جفوة بين محمد على باشا وبين القنصل الفرنسى (ميمو) Mimaut الذى اشتهر بولعه بنهب الآثار المصرية والذى كثيراً ما شحنها لمتحف اللوفر .. لذلك أمر الوالى نكاية فيه فى ١٥ أغسطس من عام ١٨٣٥ بإنشاء مصلحة ومتحف للآثار مسنداً الأمر إلى مصرى اسمه يوسف ضياء افندى تحت إشراف الشيخ الجليل رفاعة الطهطاوى .. كما حرم المرسوم تماماً أى تصدير لآثار مصر وأمر بالمحافظة عليها .. ثم خطا محمد على بعد ذلك خطوة أهم فى عام ١٨٤٨ حيث أمر بحصر وتسجيل شامل لآثار مصر الثابتة، على أن يتم نقل الآثار الصغيرة ذات القيمة إلى متحف الأزبكية الذى

---

١ ليلى عنان: الحملة الفرنسية - تنوير أم تزوير ؟ - دار الهلال - القاهرة - الجزء الأول ١٩٩٨ - ص ١٠٠

٢ بيتر فرانس: اغتصاب مصر - مترجم - دار سينا والانتشار العربى - القاهرة - ١٩٩٨ - ص ٩٦ والتى تليها
ملحوظة: يبدو فى الواقع أن هذه القاعدة لا زالت فاعلة بقوة عند بعض الأوروبيين !

كان قد أنشئ قبلها عند بركة الأزبكية القديمة ملاصقاً لمدرسة الالسن [٣] ، وذلك فى سراى الدفتردار والتى عرفت «بمتحف الشيخ رفاعة» نسبة لصاحبها رفاعة بك الكبير [٤] .. ثم ما لبثت الأحوال أن عادت عهدها الأول، فانتشرت الفوضى وزادت سرقات الآثار والعبث بها بأكثر مما كانت عليه من قبل.

عندما تولى عباس باشا الأول حكم مصر (١٨٤٨ - ١٨٥٤) توقفت حركة التقدم والنهضة التى لاحت فى عهد محمد على .. فقد ساءت فى عهده حالة المدارس وألغى وأقفل معظمها سواء العالية منها أو الثانوية أو الابتدائية كما استدعى معظم أعضاء البعثات من الدارسين المصريين والذين كانوا يتلقون العلم فى فرنسا منذ عهد محمد على. [٥]

فخبا بذلك نور العلم فى أنحاء البلاد وساد ظلام الجهل .. فكان من الطبيعى فى هذه الأجواء أن تتضاءل مجموعة الآثار فى متحف الأزبكية نتيجة لتزايد معدل الاهداءات لملوك ووجهاء أوروبا من الزائرين .. حتى تم نقلها إلى قاعة تابعة لوزارة المعارف بالقلعة بعد أن فشلت جهود لينان بك قبل ذلك فى عام ١٨٤٥ فى حمل حكومة مصر على إصلاح وتدعيم المتحف. لكن حتى هذه البقايا المتواضعة من متحف الأزبكية طالتها يد السفه والكرم المصطنع على حساب الوطن .. فقد أهدى عباس باشا جزءاً منها للسلطان العثمانى عبد العزيز، بينما أهدى سعيد باشا ما تبقى بالكامل فى عام ١٨٥٥*، والذى كان محفوظاً بالقلعة، للأرشيدوق النمساوى ماكسمليان Maxmillian عندما أبدى إعجابه بها .. فنقلت على الفور إلى فيينا حيث تعتبر الآن من أشهر القطع المصرية فى متحفها. [٦]

---

٣ على رضوان : المتاحف والحفائر - القاهرة - ١٩٩٩ - ص ص ٢٨ والتى تليها

٤ توفيق حبيب : مجلة الهلال - أول نوفمبر - ١٩٢٣ - القاهرة - ص ١٣٥

٥ عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل - الجزء الأول - مكتبة الأسرة - القاهرة - ٢٠٠٠ - ص ص ١٥ ، ص ٢١ والتى تليها

* رغم أن عباس باشا قد توفى عام ١٨٥٤ فإن كثيراً من المراجع تذكر خطأ انه هو الذى أهدى هذه المجموعة عام ١٨٥٥ !

٦ D. M. Reid, Whose Pharaohs ? AUC Press, Cairo, 2002, p.58 ; على رضوان : مرجع سابق - ص ٢٩

ماربيت:
لمصر .. لفرنسا .. أم لنفسه؟


تمثال ماريت - بحديقة المتحف المصري بالقاهرة

لا شك فى أن حلول (أوجست ماربيت) (١٨١٢-١٨٨١) بمصر عام ١٨٥٠ يعتبر علامة فارقة فى تاريخ حفظ وصيانة الآثار المصرية.. فحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت أرض مصر وآثارها مستباحة لكل طامع من هواة الكنوز الثمينة وعلى حد قول هوارد كارتر : (كانت تلك هى أيام التنقيب العظيمة)، ثم يضيف: (لكن رجلاً واحداً أحدث تغييراً كبيراً : فأنفذ قانون حظر تصدير الآثار الذى كان حبراً على ورق طيلة عشرين عاماً فحظر التنقيب دون تصريح .. وسيطر بمفرده على وادى النيل بأسره .. وأصبحت الآثار المصرية حماه الخاص) [٧].

لكن يبدو أن غمار الإعجاب بشخص هذا الرجل، وخاصة لدى المصريين قد أنساهم أن مهمته الرسمية فى السنوات الأولى له فى مصر ومنذ أن وطأت قدماه أرضها كانت تتلخص ببساطة فى: نهب الثمين من كنوز البلاد.. وهى تعتبر جريمة وقتها بحكم قانون عام ١٨٣٥، حتى وإن كانت لصالح متحف اللوفر! فقد نسى البعض أن خدعته الكبرى لاحقاً، و التى خدع بها مرافقيه من المفتشين الرسميين الذين وضعتهم الحكومة المصرية لمراقبة حفائره فى سقارة، والتى تمكن من خلالها من تهريب مجموعة رائعة تشمل ذهب و مجوهرات الأمير (خع - إم - واست) إبن رمسيس الثانى بالإضافة إلى ٤٤ صندوقاً محملة بكل ثمين من كنوز مصر، هذه الخدعة وغيرها جعلته يحظى بوسام رتبة فارس من بلده فرنسا

٧ ب . فرانس : مرجع سابق - ص ١٢٧

فى ١٦ أغسطس من عام ١٨٥٢م!![8] .. لكن الغريب ألا يلفت هذا التناقض العجيب فى شخصية ماريت تجاه الآثار المصرية نظر الكثيرين الذين ربما اعتبروه ضمنياً نوعاً من (التحول المرحلى) فى توجهاته وسعيه (للتكفير) عن أخطائه التى ارتكبها فى السابق ضد آثار مصر وهو ما يبدو غير صحيح.

إن ماريت أولاً ثم خلفاءه من بعده من الفرنسيين الذين حرصوا على توارث منصب الإشراف على مديرية ثم مصلحة الآثار المصرية إنما حرصوا فى الأساس دائماً على إبقاء الهيمنة والسيادة الفرنسية على آثار مصر باعتبارهم أصحاب السبق فى هذا المجال[9]. فكثيراً ما تم استثمار هذه (الحمية الوطنية) لاستنزال مزيد من المنح والعطايا المالية عن طريق استثارة نعرة التنافس المحموم بين الدول .. وكما قال ماريت بالنص واصفاً حفائره فى السيرابيوم بسقارة بهدف استكمالها : (بأنها تجديد لمجد فرنسا فى مصر) وأضاف مهدداً فى حالة وقف الدعم: (كم سنأسف لو أن هذا المنجم الذهبى أصبح مملوكاً لدول أخرى)[10].

اذن فمسألة الحفاظ على آثار مصر من أجل أهلها هذه تعتبر بالفعل خرافة يصعب قبولها، ذلك رغم أن بعض الوقائع التى أثبتها التاريخ تشير إلى درجة عالية من الحرص الحقيقى على آثار مصر تمتع بها (ماريت)، وصلت لدرجة أنه رفض الموافقة على إهداء (أوجيني) إمبراطورة فرنسا المجوهرات الأثرية فى مجموعة متحف بولاق والتى أبدت رغبتها فى الحصول عليها .. ذلك رغم موافقة الخديو إسماعيل ذاته على طلبها، ورغم العروض السخية التى قدمتها له الإمبراطورة من مناصب ومزايا فى بلده فرنسا لتحثه على الموافقة. [11]

لكن بالنسبة له فإن مناصب مثل: (مدير المكتبة الإمبراطورية) أو (عضوية مجلس الشيوخ) والتى عرضتها عليه الإمبراطورة لا يمكنها أبداً أن تضاهى منصب مدير آثار مصر، ذلك المنصب الذى جعله محط أنظار العالم كله وليست فرنسا وحدها، والذى جعله يقبض بيد من حديد على بضعة آلاف عام من مجد البشرية التليد .. مجد مصر.

ففى الأول من يونيو من عام ١٨٥٨ عين ماريت مديراً لآثار مصر بمكافأة شخصية تبلغ ١٨٠٠٠ فرنك سنوياً وسلطة تعيين زملائه وحق استخدام زورق بخارى. كما إعتبر العمل فى حفائره من الأشغال العامة التى يمكن قانوناً جمعه بالتجنيد .. ولم تخصص له ميزانية وإنما منح حقاً مفتوحاً

---

٨ المرجع السابق : ص ص ١٣٤ والتى تليها

٩ المرجع السابق : ص ٩٥

١٠ المرجع السابق : ص ١٣٦

١١ المرجع السابق : ص ١٤٥

فى طلب الأموال عند الحاجة إليها واعتبر مسئولاً مباشرة أمام الوالى. [١٢]

هى إذن صلاحيات مطلقة لم يكن يحلم بها .. نالها بفضل وساطة المسيو فرديناند دليسبس صديق سعيد باشا الحميم[١٣]. فتمكنت منه ذاته مع الوقت، حتى صار (يفكر فى مصر القديمة باعتبارها ملكية شخصية له) على حد تعبير بيتر فرانس. بل اعتبرها إقطاعية موروثة سيسلمها لسلالته، وتوجه لكل مكان فى صحبة زوجته وابنه الأكبر (أوجست) الذى كانت لعبه هى التماثيل الصغيرة (الأوشابتي) والتعاويذ من المقابر القديمـة، والذى كان يشير لتماثيل طيبـة الكبيرة باعتبارها (عرائس بابا الكبيرة)[١٤].

إن هذا التحليل لدوافع ماربيت تجاه الحفاظ على الآثار المصرية لا ينفى بالطبع بل ولا يقلل من الدور الهام الذى لعبه هذا الرجل فى وقف نزيف آثار مصر، والتقليل لأدنى حد من عمليات النهب والتخريب والتدمير التى سبقت مجيئه.. والذى لولاه لما تكونت المجموعة الرائعة التى يفاخر بها متحفنا المصرى بالقاهرة الآن .. لكن إلقاء الضوء على بعض تلك الجوانب من شخصيته تساعد كثيراً فى تفسير وتبرير ذلك التناقض الظاهر والناتج من عدم حماسه هو وخلفاؤه بشكل واضح للتوسع فى تدريس علوم المصريات لأبناء مصر، فى نفس الوقت الذى سعوا فيه إلى الحفاظ على الآثار وإبقائها داخل حدود البلاد واستصدار القوانين التى تضمن حمايتها.

إن الرغبة الفرنسية فى احتكار إدارة وحماية آثار مصر ستفسر لنا كثيراً من المعاناة التى لاقاها المصريون من الرواد فى علم المصريات وعلى رأسهم أحمد كمال، والتى تتبدى فى الحرص على إغلاق مدرسة الآثار المصرية أكثر من مرة على مدى حوالى نصف قرن، أو فى محاولات إقصاء المصريين عن الالتحاق بأى عمل أثرى . كما ستفسر لنا أيضاً رفض (لاكو) الفرنسى طبع قاموس أحمد كمال، والذى سنتحدث عنه بالتفصيل، و الذى كان سيحقق لمصر مكانة علمية عالمية مبكرة فى هذا المجال لم تزل للآن بعيدة عنها.

نعود مرة أخرى لولاة مصر فى القرن ١٩ وأثرهم فى الحركة التعليمية وبالتالى الأثرية فى البلاد. فرغم أن عهد عباس باشا كما أسلفنا قد خلا من أعمال النهضة والعمران إلا القليل، لكن ميزته الأساسية كانت فى أنه لم يفتح أبواب البلاد للتدخل الأجنبى، ولم يكن يميل لمنح الأوروبيين إمتيازات خاصة .. هذا بالطبع على عكس خليفته سعيد باشا والخديو إسماعيل واللذين شهد عهداهما نفوذاً أوروبياً وتغلغلاً فى كافة المجالات تمثل فى الاستدانة من بيوت المال الأوروبية وحسن

---

١٢ المرجع السابق : ص ١٤٠

١٣ عبد الرحمن الرافعى: عصر إسماعيل ـ الجزء الثانى ـ مكتبة الأسرة ـ القاهرة ـ ٢٠٠٠ ـ ص ٢١

١٤ فرانس : مرجع سابق ـ ص ١٤١

الظف الشديد بهم، مما أتاح مجالاً للضغوط السياسية والأدبية استفاد منها بشكل واضح الأثريون الأوروبيون الذين يعملون فى مصر وبخاصة الفرنسيون منهم.

أهمل سعيد باشا (١٨٥٤-١٨٦٣) - رغم هذا الميل الأوروبى - اهتمامه بالتعليم بل وزاد الجمود الذى أصاب البلاد فى عهد سلفه عباس باشا، حتى أنه كان يرى ضرورة إقفال المدارس نهائياً بدلاً من تنظيمها «لأن السعى فى هذا عبث لا يجدى» [١٥]!


الخديو إسماعيل

لكن اختلف الحال تماماً فى عهد الخديو اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩)، فقد تولى الحكم ومعظم المدارس التى أنشأها محمد على مقفلة عدا ٤ مدارس عليا ومدرسة ثانوية واحدة وأخرى ابتدائيـة. فأعاد فتح المدارس العليا والثانوية والابتدائية [١٦]، فكان من تلك المدارس الخصوصية مدرسة اللسان المصرى القديم التى تأسست عام ١٨٦٩ وألغيت عام ١٨٧٤ وتولى نظارتها الأثرى الألمانى (بروجش) Brugsch، وهى التى تخرج منها أحمد كمال.

كما تأسست أيضاً فى عهد إسماعيل المدارس التى درس بها كمال فى المراحل المختلفة وهى: المدرسة التجهيزية (أى الثانوية) بالعباسية عام ١٨٦٣، والتى نقلت إلى درب الجماميز عام ١٨٦٨ وعرفت بالخديوية [١٧]. ومدرسة المبتديان الابتدائية بالعباسية والتى أنشئت عام ١٨٦٣ ثم نقلت للناصرية ثم المنيرة [١٨].. وعليه فيبدو أن صاحبنا قد صادف توفيقاً أكيداً فى مواكبتـه لعصر إسماعيـل، فاستفـاد من نهضته العلمية التى كانت فاتحة خير على جيل كامل من الأثريين المصريين.

كان أول ما أقدم عليه ماريت بعد أن عينه سعيد باشا بضغوط من نابليون الثالث (مأموراً لأشغال العاديـات) هو اختياره لبعض مكاتب شركة الملاحة النهرية على شاطئ النيل فى بولاق، حتى يستخدمها مخزناً للآثار التى أسرع فى تجميعها من حفائره التى يصفها د. على رضوان بأنها كانت

١٥ الرافعى: الجزء الأول - مرجع سابق - ص ٤٨

١٦ المرجع سابق - ص ص ٢٠١ وما بعدها

١٧ المرجع السابق : ص ٢٠٥

١٨ المرجع السابق : ص ٢٠٦

متسرعة وغير منظمة [١٩].

حرص ماريبت رغم هذا - وبالأسلوب المكيافيللى الشهير - على كسب ود سعيد باشا بكل الطرق، فحين سمع فى فبراير ١٨٥٩ عن اكتشاف تابوت مذهل يحوى أروع النفائس يخص الملكة (إيعح حتب) استقل قاربه البخارى سمنود، واعترض فى النيل قارب مدير أمن قنا الذى كان فى طريقه للوالى حاملاً الكنز ليحظى بتقديره .. وبعد أن هدد ماريبت الركاب بالقتل والسجن إستولى على الحمولة، ثم أهداها للوالى ليتحلى بمجوهراتها الرائعة هو و زوجاته مع وعد من الأخير ببناء متحف جديد [٢٠].

ثم بعد منح ماريبت لقب البكوية مصحوباً بمعاش، وبعد أن بدأ العمل بالفعل فى المتحف توفى سعيد باشا فى يناير ١٨٦٣، فخلفه إسماعيل الذى طمأن ماريبت، بسبب حرصه الشديد على توطيد علاقاته بالأوروبيين، بأن شيئاً لن يتغير واستمر العمل رغم عدم حماس والى مصر للمكان بسبب وجود المومياوات التى فى النهاية هى مجرد أموات لهم حرمتهم .. فبعد أن افتتح المتحف أخيراً فى ١٦ أكتوبر ١٨٦٣ حرص الخديو على عدم اجتياز عتبته، حتى أصبحت عادة له يلتزمها عند اصطحاب كبار ضيوفه حتى البوابات .. فينتظرهم بالفناء أثناء طواف ماريبت بهم أنحاء المتحف [٢١].

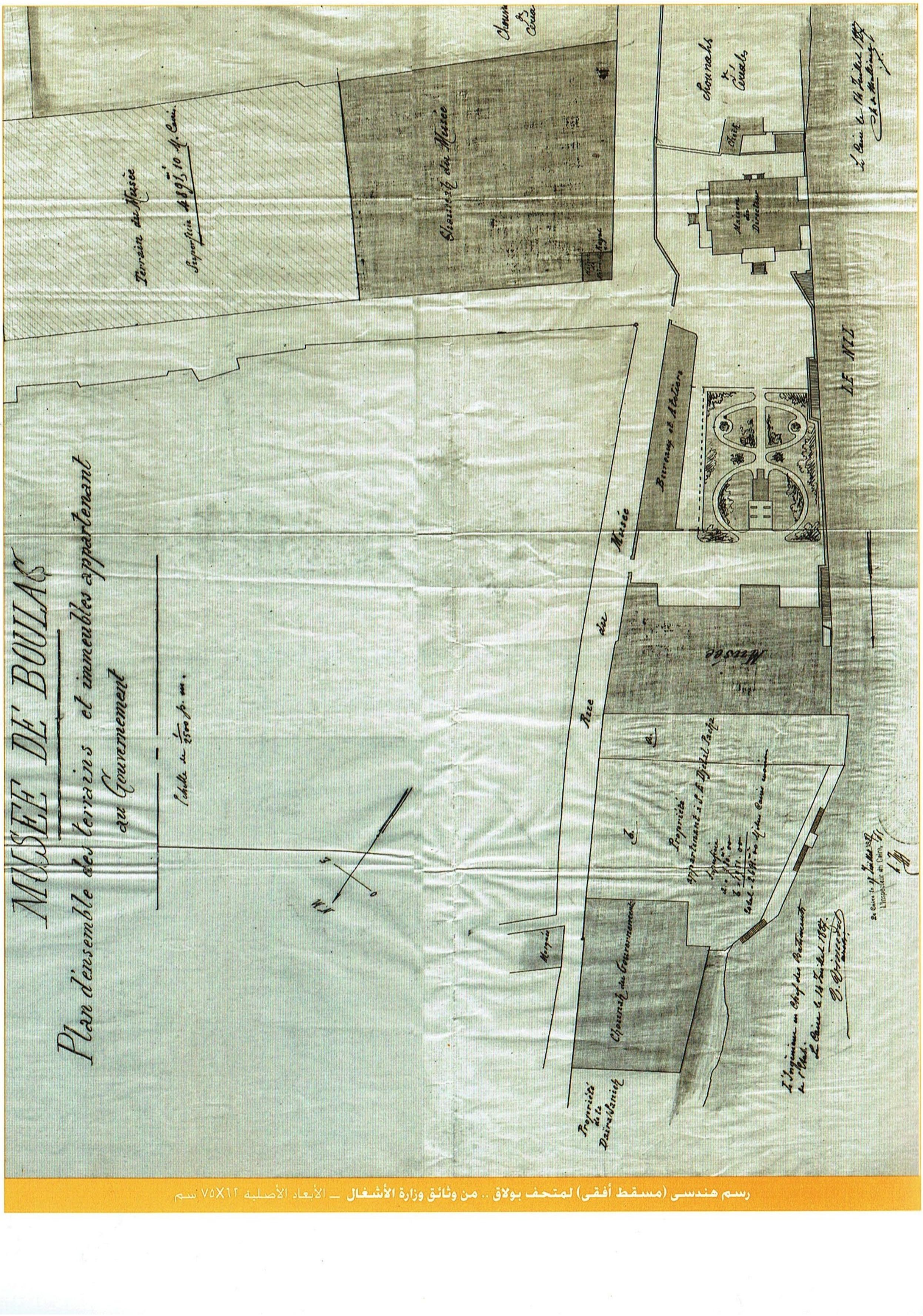
وفى الواقع كان ذلك فى الغالب هو موقف حكام مصر وغالبية أهلها تجاه الآثار المصرية، التى لم تكن تمثل لهم فى الواقع سوى وسيلة لجذب انتباه واحترام وربما أموال الأجانب .. لكنهم فى قرارة أنفسهم لم يكنوا لها التقدير الحقيقى، بل وأكثر من هذا كان الكثيرون يشعرون بعدم انتماء حقيقى لهذه الآثار، بل وبنوع من الاحتقار والتعالى على من يدرسونها ويضيعون فيها أوقاتهم وأموال شعب مصر بلا طائل .. وهو ما ذكره صراحة محمد المويلحى فى


متحف بولاق

١٩ على رضوان : مرجع سابق - ص ٣٠

٢٠ فرانس: مرجع سابق - ص ١٤٢

٢١ المرجع السابق: ص ١٤٤



رسم هندسي (مسقط أفقي) لمتحف بولاق .. من وثائق وزارة الأشغال ـ الأبعاد الأصلية ٦٢X٧٥ سم

كتابه (حديث عيسى بن هشام)[٢٢]. ففى هذه الأجواء المعادية تماماً عمل أحمد كمال وزملاؤه.. فاستسلم بعضهم وهجر هذا التخصص المزعج، بينما قنع البعض الآخر بالدور الإدارى للوظيفة .. لكن أقل القليل منهم وعلى رأسهم صاحبنا ثابر وجاهد واجتهد حتى نال ما وصل إليه بشق الأنفس وهو ما يستحق أن نعرض له بشئ من التفصيل.

بعد أن خلا منصب أمين متحف اللوفر فى ديسمبر ١٨٧٢ عـُرض على ماريت أن يتولاه ، لكنه رفض بلباقة مستخدماً الحجة التقليدية: (هل تسمحون الآن أن يمثل علم المصريات) الذى مثله فى مصر حتى الآن فرنسى رجل ألمانى ؟.. إننا نصارع الآن بشدة فى مصر ضد النفوذ الألمانى المتصاعد للاستحواذ على أكثر المراكز التى يرغبونها فى مصر [٢٣].

رغم أن علاقة ماريت بالألمانى هنرى بروجش كانت وطيدة وترجع للفترة التى سبقت توليه مهمة آثار مصر [٢٤] ، إلا أن حماسه لوطنه فرنسا كان أقوى من أن يسمح لبروجش أن يخلفه فى منصبه ـ والذى كان مرشحاً له بقوة باعتباره وكيلاً له فى إدارة المتحف والأنتيقخانة ـ وفضل الحفاظ على النفوذ الفرنسى فى مصر .

عندما تولى الخديو توفيق مقاليد البلاد فى يونيو ١٨٧٩ كانت حالة البلاد المالية متدهورة جداً بسبب الديون التى أثقلت كاهلها، حتى أنه طلب من ماريت والمتحف مراعاة ميزانية ومسك حسابات، وتم تخفيض الأموال المتاحة وتراجع العمل فى الحفائر .. فى نفس الوقت الذى تراجعت فيه صحة ماريت حتى توفى فى ينـايـر ١٨٨١ .. فأقيمت له جنازة رسميـة ودفن فى حديقة متحف بـولاق أولاً [٢٥] ، ثم تم نقل رفاته إلى متحف الجيزة فى حفل دعت إليه عائلة ماريت باشا رئيس مجلس النظار (الوزراء) يوم الجمعة ١٤ فبراير ١٨٩٠، ثم أخيراً تم نقل الضريح إلى حديقة متحف قصر النيل (القاهرة حالياً).

بعد أن تعرض متحف بولاق ومحتوياته لقربه من نهر النيل لفيضان عام ١٨٧٨ ، وبعد تزايد مجموعته تم نقله عام ١٨٩٠ [٢٦] إلى سراى إسماعيل باشا بالجيزة (مكان كلية هندسة القاهرة حالياً) والذى كان مكوناً من طابقين يحوى كل منهما ٩٠ غرفة كبيرة. ثم ما لبثت أن تزايدت

---

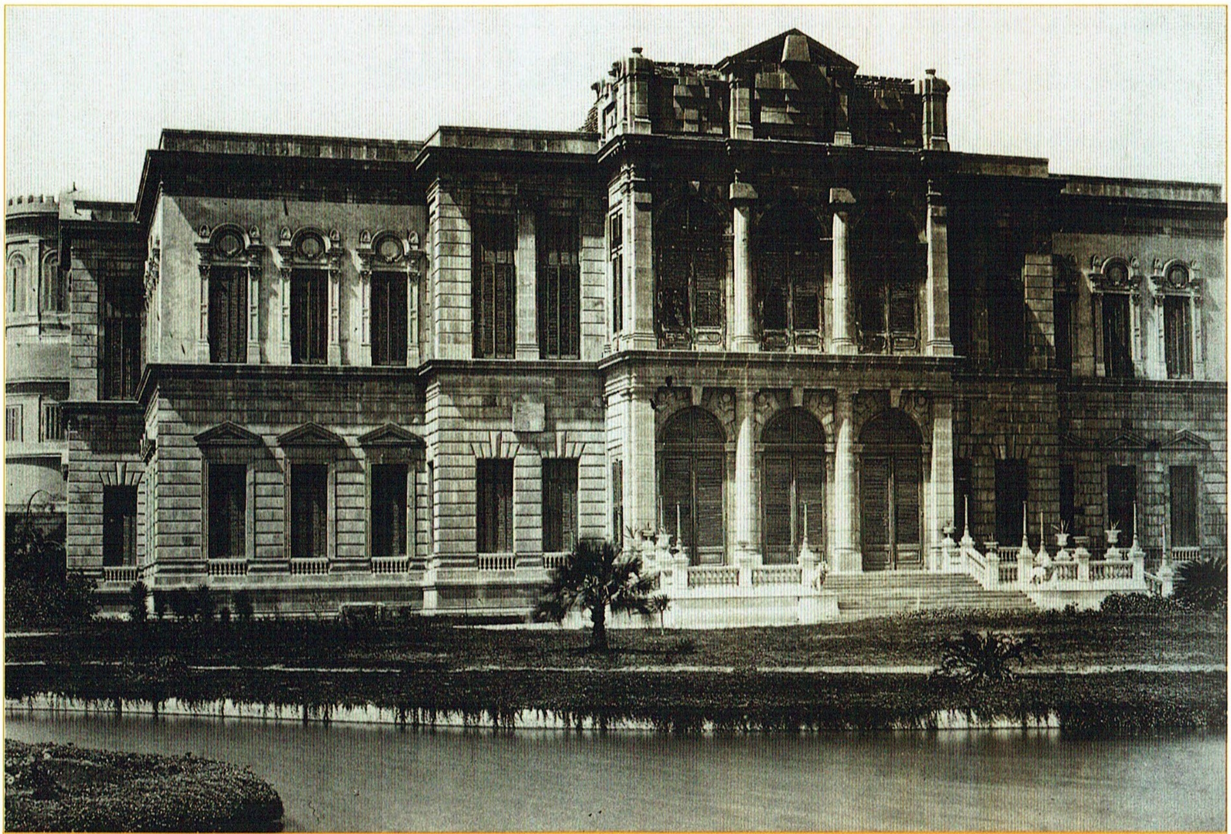
٢٢ جمال مختار: مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ مجلد ١٢ ـ القاهرة ـ ١٩٦٤/١٩٦٥ ـ ص ٥٥

٢٣ فرانس: مرجع سابق ـ ص ١٤٨

٢٤ حسن كمال : مجلة المقتطف ـ ديسمبر ١٩٣٥ ـ ص ٧٦

٢٥ فرانس: مرجع سابق ـ ص ١٤٩

٢٦ رغم أن بعض المراجع تشير إلى أن نقله قد تم عام ١٨٩١ لكن الوثائق وكذلك الصحف المعاصرة تشير إلى افتتاحه عام ١٨٩٠ .. انظر مثلاً: جريدة الأهرام الصادرة فى ٣١ يناير من عام ١٨٩٠



متحف الجيزة (سراى إسماعيل باشا)

مجموعات متحف الجيزة وأصبحت السرايا معرضة لخطر الحريق نتيجة ملاصقة بعض القصور السكنية للمتحف، فارتأى المسئولون وقتها أن إقامة متحف جديد فى قصر النيل ستكون تكلفته أقل من تكلفة تطوير وتأمين متحف الجيزة ضد الحريق [٢٧]. فبدأت عملية النقل للمتحف الجديد فى ٩مارس ١٩٠٢ فى حضور الخديو عباس حلمى الثانى والجدير بالذكر أن احمد كمال قد شارك فى عمليات النقل جميعها (من بولاق للجيزة لقصر النيل) وكذلك فى تصنيف وتسجيل المعروضات [٢٨].

٢٧ من وثائق وزارة الأشغال العمومية - سيشار إليها بالتفصيل لاحقاً ؛ انظر ايضاً جريدة الأهرام - ديسمبر - ١٨٩٢

٢٨ V. M. Mosséri, Bid'É 6, le Caire, 1924 pp. 171-172

خلفاء ماربيت

تولى (جاستون ماسبرو) منصب مدير مصلحة الآثار التاريخية والانتيقة خانة المصرية واللذان ظلا منصباً واحداً حتى تم فصلهما عام ١٩٣٦ على يد (لاكو) - لفترتين: أولاهما بعد وفاة ماربيت أى منذ عام ١٨٨١ حتى عام ١٨٨٦ عندما مرضت زوجته إضطر للاستقالة والعودة لباريس لمرافقتها، وثانيتهما منذ عام ١٨٩٩ وحتى عام ١٩١٤، وقد تخلل هاتين المدتين ثلاثة من الفرنسيين شغلوا نفس المنصب وهم: (جريبو E.Grébaut) (١٨٨٦-١٨٩٢) و (دى مورجان J. de Morgan) (١٨٩٢ - ١٨٩٧) ثم أخيراً (لوريه V. Loret) (١٨٩٧-١٨٩٩)[٢٩].

لذلك يعتبر ماسبرو الرجل الأكثر تأثيراً فى حال الآثار المصرية فى بداياتها الأولى بعد سلفه ماربيت .. فمن ناحية علاقته بالمصريين، فرغم أنه كان السبب فى إغلاق ثانى مدرسة افتتحت لتعليم المصريين آثار بلادهم ما بين عامى (١٨٨١ - ١٨٨٥) [٣٠] ، فإنه قد اهتم مؤقتاً بتعيين خريجيها، وربما كان دافعه لذلك محاولة امتصاص الروح الوطنية المتنامية خاصة بعد الاحتلال الانجليزى لمصر ونفى زعيمها أحمد عرابى .. لكن الواضح أنه قد أبدى احتراماً وتقديراً ملفتاً لمساعده النشيط أحمد كمال، كما يبدو أيضاً أن العصر الذهبى للتأليف وتنظيم الحفائر والنشر العلمى لكمال كان أيضاً خلال هذه الفترة، حتى أنه عند مغادرته لمصر عام ١٨٨٦ أوصى ماسبرو مجلس النظار رسمياً بصرف مكافأة قدرها ٣٨ جنيهاً لأحمد كمال تقديراً لجهوده [٣١] .

لكن مع هذا فقد أبدى ماسبيرو قدراً من التساهل فى تطبيق القانون وخاصة حيال البعثات الإنجليزية .. ربما بهدف توطيد روابطه بالإنجليز الذين صارت لهم اليد العليا فى مصر بعد احتلالها عام ١٨٨٢. فكان يسمح للقائمين بالحفر بالاحتفاظ بنسبة من القطع التى يكتشفونها طالما اعترفوا بأولوية المتحف .. بل ذهب لأبعد من ذلك فى حالة إذا لم يحالف الحظ أحد المنقبين فى العثور على شئ ذى قيمة، فكان يسمح له باقتناء بعض القطع من مخازن الآثار المصرية كهبة مجانية وكتعويض له [٣٢]. لكن عموماً فقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر عدداً من المراسيم والقرارات التى ساعدت فى حماية آثار مصر وأهمها المرسوم الخديوى الصادر فى ١٧ نوفمبر ١٨٩١

---

٢٩ فرانس: مرجع سابق - ص ص ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٩٦ ، ١٩٩؛ رضوان : مرجع سابق - ص ص ٣٢ والتى تليها

٣٠ من وثائق وزارة الاشغال العمومية

٣١ من وثائق وزارة الأشغال العمومية

٣٢ فرانس: مرجع سابق - ص ١٧١

القاضى بعدم السماح بعمل أى حفائر إلا بتصريح رسمى من مدير المتحف والانتيقخانة بعد أن تبحثه (اللجنة الدائمة للآثار التاريخية) مع اعتبار كل ما يعثر عليه مملوكاً للدولة، و كذلك تقنين اقتسام النواتج مع المنقبين والأولوية فى الاختيار تكون للحكومة المصرية بالطبع[٣٣].

يلخص (إلياس الأيوبى) موقف المصريين من آثارهم القديمة فى هذه الفترة فى اتجاهات ثلاثة:

أولها: اهتمامهم باقتناء أى شئ من تلك الآثار لبيعه بثمن يرضى النفس إلى الراغبين فيه من الأجانب.

وثانيها: الاجتهاد فى تقليد تلك الآثار تقليداً متقناً عند عدم العثور على الصحيح منها.

أما ثالثها: فهو نظر العامة لهذه الآثار نظرة الإكبار والإجلال والتعظيم تأثراً بنظر الأجانب لها بالطبع، وتحولهم شيئاً فشيئاً عن شعور الاحتقار الذى كان متأصلاً فى قلوبهم لأهل تلك العصور التى يدعونها (كفرية) [٣٤].

بالإضافة إلى كل ما سبق فإن الإحداث الجسام التى شهدتها مصر فى النصف الثانى من القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ كانت كما سنبين ذات تأثير عميق فى فكر ووجدان مثقفى هذه الفترة ومنهم أحمد كمال .. فقد مثل على سبيل المثال مجئ جمال الدين الافغانى لمصر عام ١٨٧١ كما هو معروف علامة فارقة فى تاريخ مصر الوطنى ونهضتها الفكرية والثقافية . مما كان له أبلغ الأثر على كافة مثقفى وسياسيى مصر وقتها .. كما التهبت المشاعر بدخول الاحتلال الانجليزى مصر وانكسار الثورة العرابية عام ١٨٨٢ وما تلى ذلك من تنامى الحركة الوطنية والشعور القومى لدى المصريين، فانتشرت الصحافة الوطنية وارتفعت نبرة رفضها للاحتلال وهيمنته حتى قامت ثورة ١٩١٩. وشهدت البلاد زعماء وطنيين أمثال عرابى وعبد الله النديم ثم مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وغيرهم كثيرون. كما شهدت البلاد أيضاً قيام أول مجلس نيابى مصرى عام ١٨٦٦.. ومع تزايد الديون تزايد التدخل الاجنبى والهيمنة على مقدرات البلاد .. كل ذلك فى وجود أسرة حاكمة ضعيفة لا حول لها ولا قوة تميل للحكومات والزعماء الشعبيين تارة وتتحالف مع المحتل الإنجليزى فى أغلب الأحيان. فى كل هذه الأجواء المفعمة بالحماسة الوطنية نشأ وتبلور فكر أحمد كمال الأثرى، وتكونت اتجاهاته الوطنية التى كثيراً ما ظهرت فى كتاباته الممتلئة حسرة على زوال المجد التليد والمفعمة بالحماس واستثارة الهمم لاستعادة أمجاد الماضى الغابر .. فكانت دعوته لسبر أغوار الماضى ما هى فى الحقيقة سوى دعوة لرفض الواقع والتحريض على تغييره بتأكيد الثقة بالنفس وبث روح الجد والاجتهاد فى نفوس أهل وطنه لمناطحة المحتل .. ليس سياسياً أو عسكرياً، لكن ثقافياً وفكرياً بأخذ

---

٣٣ المرجع السابق : ص ١٩٦ والتى تليها

٣٤ الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا ـ ط١ ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٢٣ ـ ص ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧

ناصية العلم والمعرفة.. وهو المنهج الذى طبقه على نفسه شخصياً، وبرع فيه لأبعد الحدود بصورة أذهلت أقرانه الأوروبيين أنفسهم .. حتى لقى ما لاقاه .. سواء على يد حاسديه من الأوروبيين بدوافع شخصية أو استعمارية تنافسية، أوكذلك على يد المصريين أنفسهم من بنى جلدته.. فلم يفتّ كل ذلك فى عضده، ومضى يتلقى الإحباطات والمعاكسات الواحدة تلو الأخرى دون أن تلين عريكته أو تنحنى هامته ..

بل زادت من مثابرته وجلده ووطنيته وحبه لبلده وأهلها وحرصه على آثارها ودأبه المستمر، سواء فى التحصيل واكتساب الخبرات أو فى نقلها لغيره إما بالتدريس أو بالكتابة العلمية والمبسطة معاً. لكل هذا نفتح ملف هذا الأثرى الوطنى الذى اختار الجهاد فى حقل الآثار سبيلاً .. لعل ضياء نبراسه الآتى من غياهب التاريخ يضئ لنا طريقاً لم نهتدِ إليه بعد.

٢

مشوار أحمد كمال
الإنسان و الأثري

البدايـــات

مولده



أحمد باشا كمال

إن المتأمل للكتابات المختلفة التى تحدثت فى آغلبها بإيجاز عن حياة أحمد كمال ليلفت نظره مبدئياً اختلافها فى تحديد سنة ميلاده .. فبعضها يشير إلى أن مولده كان فى عام ١٨٤٩ ميلادية [٣٥] ، والبعض الآخر يشير إلى أن مولده كان فى عام ١٨٥٠ [٣٦] ، بينما تحدد كتابات أخرى سنة ميلاده بعام ١٨٥١ [٣٧] .. لكن اللافت حقاً للنظر أن اغلبها تتفق فى تحديد يوم وتاريخ ميلاده بالتقويم الهجرى وهو ٢٩ شعبان من عام ١٢٦٧ هجريـة [٣٨] .

لهذا فإن الغالب هو أن هذه الكتابات قد اعتمدت جميعها أساساً على تاريخ ميلاده بالتقويم الهجرى – والذى كان التقويم الأكثر شيوعاً وقتها – و ذلك لتحديد ما يقابله بالميلادى .. فأصابت أحياناً وفاتها التوفيق أحياناً أخرى فنتج هذا الالتباس.

وعليـه فإن الاعتماد على تاريخ التاسع والعشرين من شهر شعبان لعام ١٢٦٧ هجرية يعطينا تاريخاً ميلادياً يقابله هو يوم ٢٩ يونيو من

---

٣٥ جمال مختار: مرجع سابق - ص ٤٥ ؛ Dia Abou-Ghazi, ASAE LXIV, 198 , P.1p
W.R.Dawson & E.P.Uphill, Who was who in Egyptology, EES, London, p.3

٣٦ مجلة المقتطف: نوفمبر - ١٩٢٣ - ص ٢٧٣

٣٧ خير الدين الزركلى: الأعلام - الجزء الأول (١٩٣٩/١٩٣٦) ص ١٩٠ ؛ أحمد عطية الله : دائرة المعارف الحديثة - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ص ٣٤؛
Hala Sallam , Ahmed Kamal Pasha, in : Orientalia Lovaniensia Analecta 82, proceedings of the 7th intl congress of Egyptologists, Cambridge, 3-9 sept. 1995, ed.by: C. J. Eyre, Leuven, 1998, p. 1015

٣٨ أنظر أيضاً بالإضافة لما سبق: مجلة المجمع العلمى العربى : الجزء ١٠ (تشرين الأول : اكتوبر - ١٩٢٣م) - ص ٣٠٠ ، حيث ذكر فقط تاريخ ميلاده الهجرى؛ يوسف اليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة - الجزء الثالث - مطبعة سركيس - القاهرة ١٩٢٨ - عمود ٣٩٦

عام ١٨٥١ ميلادية [٣٩] ، وهو فى الغالب تاريخ ميلاده الصحيح بالتقويم الميلادى.

أما النقطة الثانية التى تلفت الانتباه حقاً فهى تلك المعلومة التى تشير إلى أن والده حسن أحمد عبد الله قد جاء أصلاً من جزيرة كريت (من أسرة حكم بعض أسلافها مقاطعة هرقلية فيها).. [٤٠] وهى إحدى الجزر الهامة فى البحر المتوسط أمام السواحل اليونانية .. فهى أولاً تطرح ـ لو صحت ـ بعض علامات التعجب: مثل مصدر تلك المصرية الصميمة التى امتزجت بفكر ودماء أحمد كمال وسرت فى عقله وقلبه قبل أن تتدفق فى كتاباته ومعاركه. كما قد يحتج البعض أيضاً بتلك الأصول الوافدة فى تفسير الالتباس الحادث فى تحديد تاريخ ميلاده بدقة .. على اعتبار أنه يمكن أن يكون قد ولد خارج مصر.

كما يرجح بعض أحفاده أنه قد جاء لمصر طفلاً ولم يولد فيها [٤١] ، لكن تؤكد المعلومات أنه قدولد وعاش وتوفى فى القاهرة [٤٢] فى الغالب، تربى وتعلم فى مدارسها وبين ظهرانى أهليها .. تشرب أحلامهم وآمالهم وحارب فى سبيل تحقيقها كما تجرع آلامهم ومعاناتهم، فلو كان أجنبياً وافداً لعومل مثل الأجانب وقتها بما كان لهم من امتيازات واستثناءات عزّت على ابن البلد، ولكان قد ترقى أعلى المناصب بسرعة ويسر وهو ما لم يحدث بالطبع.

أما النقطة الثالثة الجديرة بالإشارة فيما يتعلق بمولده فهى إسمه.. فالمؤكد أن (احمد كمال) هو إسم مركب لنفس الشخص لأن اسم والده هو حسن بن أحمد [٤٤]. لكن هناك وجهة نظر حول الشطر الثانى من اسمه وهو (كمال) .. فصديقه (عيسى اسكندر المعلوف) صاحب مجلة الآثار اللبنانية قد ذكر فى حفلة تأبين أحمد كمال التى أقامها المجمع العلمى العربى فى دمشق بعد وفاته بشهرين أن لقب (كمال) قد أضيف لإسمه ـ وذلك على حد قوله ـ لآدابه وتفوقه .. فصار علماً له ولمن بعده وذلك بعد أن أظهر نبوغاً واضحاً فى دراسته بمدرسة اللسان المصرى القديم التى التحق بها عام

---

٣٩ اللواء المصرى محمد مختار باشا مأمور الخاصة الخديوية الجليلة : التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية. المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية ـ ١٣١١هـ ـ ص ٦٤٠

ملحوظة: ذكرت حفيدته هالة سلام أنها تمكنت فقط من استخراج شهادة وفاته من دار المحفوظات بالقلعة لكنها فشلت فى العثور على شهادة ميلاده.

– يعطى د. حازم عطية الله تاريخاً لمولده هو ٢٩ يوليو ١٨٥١ .. أنظر: Hazim Attiatalla, Die Rolle die einheimschen Ägyptologen in der Entwicklung der Ägyptologie als Wissenschaft, in: GM 76, 1984 , pp. 73 P 94

٤٠ مجلة المجمع العربى : مرجع سابق ـ ص ٣٠٠؛ خير الدين الزركلى : مرجع سابق ـ ص ١٩٠

٤١ ذكرت منى البارودى حفيدته أنها سمعت من بعض عجائز الأسرة أنه قد جاء لمصر مع أسرته فى سن ٥ أو ٧ سنوات أو حتى ١٤ سنة .. و لكن الرقم الأخير مستبعد لأنه بدأ دراسته فى سن الثالثة عشر.

٤٢ جمال مختار: مرجع سابق ـ ص ٤٥؛ الزركلى : مرجع سابق ـ نفس الموضع

٤٤ مجلة المجمع العربى : ص ٣٠٠

١٢٨٦هـ [٤٥] (أى حوالى ١٨٦٩م) وهذا هو الرأى الذى يرجحه الباحث.

بينما يشير رأى آخر إلى أن (أحمد كمال) هذا هو اسم مولده [٤٦]. فإذا سلمنا بأن الرأى الأول هو الأرجح فعلينا حينئذ أن نتشكك فى قائمة أسماء الطلاب الذين تم اختيارهم للالتحاق بمدرسة اللسان القديم والتى تتضمن اسم (أحمد كمال)[٤٧] ، فكيف ذلك وهو لم يحمل لقب (كمال) إلا نتيجة دراسته وتفوقه فى هذه المدرسة ؟ اعتقد أن الإجابة تكمن فى إسم طالب آخر ممن التحقوا بهذه المدرسة وموجود ضمن قائمة الطلاب وهو (أحمد حسن).. فغالب الظن أنه رجلنا الحقيقى وحدث التباس عند تحقيق أسماء الطلاب فظنوه شخصاً آخر غير (أحمد كمال).. والله أعلم.

---

٤٥ نفس الموضع

٤٦ الزركلى: مرجع سابق : ص ١٩٠

٤٧ د. أحمد عزت عبد الكريم: (المعالم الأولى للدراسات الإيجبتولوجية فى مصر) - عن تسجيل صوتى للمحاضرة التى ألقاها عنه د. محمد عبد الرؤوف سليم لمرضه - وذلك فى ندوة (إحياء ذكرى احمد كمال باشا) والتى أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - القاهرة - فى المدة من ١٠ إلى ١٢ ديسمبر ١٩٧٧ - لم يتم نشرها ؛ H.Sallam, op. Cit., p.1015

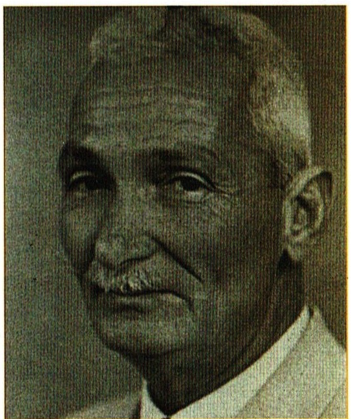
أسرته

لا توجد معلومات متاحة محددة عن والد ووالدة أحمد كمال [٤٨]، ولكن اهتمام أسرته بإلحاقه بكافة مراحل التعليم فى هذا الوقت المبكر يوحى بأن والده على الأقل قد نال قسطاً من الثقافة والتعليم وربما عمل بأحد الوظائف الميرى (الحكومية) التى كانت قصراً وقتها على الندرة من المتعلمين .. بل ويمكننا أن نستشف أن كمال قد ورث من والده ذلك الولع المستمر بالثقافة والبحث العلمى والكتابة، والذى صاحبه لآخر يوم فى حياته لمدة



أحمد كمال مع أبنائه أمام أحد الأهرام

تزيد عن نصف قرن. أما المعلومات القليلة المتاحة عن باقى أفراد أسرته فمصدر أغلبها راجع إلى إحدى حفيداته وهى المهندسة منى البارودى[٤٩].. والتى تحكى عن عمة له اسمها (كاترين) يقال أن إسمها الأوروبى سببه أصولهم التى ترجع إلى جزيرة (كريت). أما زوجته فاسمها (فاطمة خورشيد) وأمها تنتمى لعائلة (الأرناؤوطي) بالاسكندرية [٥٠].



محمود بك حمزة

أما أحمد كمال نفسه فقد رزق بستة أبناء: ٣ من الذكور و٣ من البنات.

والجدير بالذكر أن ابنته الصغرى قد تزوجت من أحد تلامذة والدها وهو محمود بك حمزة (١٨٩٠ - ١٩٧٦) الذى كان أول مصرى يتقلد منصب مدير المتحف المصرى بالقاهرة، وأول من اكتشف عام ١٩٣٠ وقال بأن قنتير بالشرقية هى بررعمسيس عاصمة الرعامسة وليست تل بسطة.

---

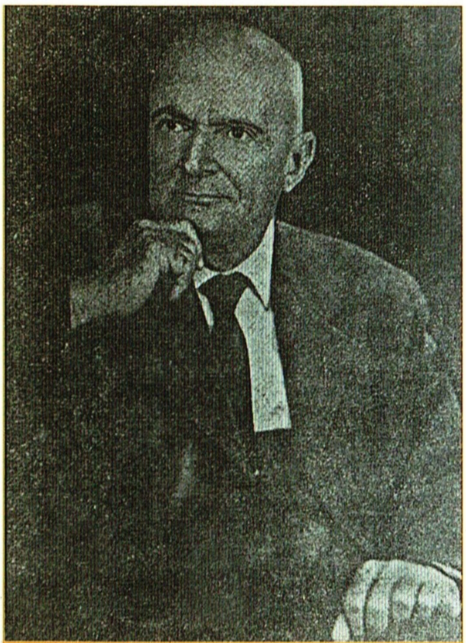
٤٨ أمدتنى حفيدته هالة سلام بصورة من مستخرج شهادة وفاته ذكر فيها أن اسم والده هو حسن عبد الله ووالدته « رُكش عبد الله » وتروى حفيدته منى البارودى أن والدته ذات الإسم التركى هى من أصول البانية مسلمة فى الغالب، والاحتمال الأكبر أنها قد توفت ودفنت فى كريت قبل رحيل زوجها والأبناء إلى مصر

٤٩ هى كما أشرنا تعتبر ابنة محمود حمزة من زوجته صغرى بنات أحمد كمال

٥٠ إطلع الباحث على صورة نادرة تجمع زوجة أحمد كمال مع أبنائها وزوجاتهم لكن الأسرة فضلت عدم نشرها حفاظاً على تقاليد الأسرة بخصوص النساء.

أما ابناؤه الذكور فهم : أحمد وهو أصغرهم وتوفى شاباً، ثم د. زكريا كمال وكان طبيبا، وأخيراً د. حسن بك كمال (١٨٩٦- ١٩٧٤) أكبر ابنائه الذكور فى الأغلب والذى اضطهد أثناء دراسته للآثار فى أكسفورد بسبب كونه ابناً لأحمد كمال - كما سنفصل لاحقاً - فدرس الطب وعمل فيما بعد وكيلاً لوزارة الصحة هو و صاحب الكتاب الهام (الطب المصرى القديم) الذى وضعه أولاً بالإنجليزية تم تُرجم للعربية.

ثم أخيراً ابن أخته محمد بك شعبان (١٨٦٦- ١٩٣٠) الذى عمل أيضاً أميناً للمتحف المصرى وحضر اكتشاف وافتتاح مقبرة توت عنخ آمون [٥١] .. ويروى أحفاده أن أحمد كمال كان له ٣ أخوات بنات على الأقل وكان هو أصغرهم.



د. حسن كمال



محمد بك شعبان مع كارتر و كارنافون عند افتتاح مقبرة توت عنخ آمون



محمد بك شعبان

٥١ H.Attiatalla, op.cit.; H.Sallam, op.cit., pp. 1018 f.

تعليمه ..

(ألف: طائر العقاب، باء: ساق)



تمثال كمال النصفي بالمتحف المصرى

لاشك أن أحمد كمال كان بذرة طيبة .. صادفت أرضاً خصبة احتضنتها.. ويداً حنوناً تعهدتها.. وماء رائعاً تشربته، فأنبتت زرعاً قوياً جذره ثابت فى الأرض وساقه شامخة وفروعه ممتدة فى السماء .. ما لبث أن أينع و أزهر و أثمر. لكن للأسف الشديد كان وحيداً بائساً فى أرض جدباء لم تنبت سواه .. ولو بعد حين.

كان من حسن طالع أحمد كمال كما ذكرنا أنه قد نشأ وتعلم فى عهد الخديو اسماعيل الذى شهد نهضة تعليمية واسعة تمثلت فى إنشاء العديد من المدارس الإبتدائية والتجهيزية (الثانوية) بعد أن خلت منها البلاد إلا من مدرستين! كما أعاد وأضاف العديد من المدارس العالية، وذلك لأنه اعتبر التعليم أساس الرقى شريطة أن يبنى للأجيال التالية بخطة طويلة الأمد .. لا للجيل الذى يعيشه وحده ولحاضره فقط كما كان يفعل الوالى محمد على قبله[٥٢].

كما أن إسماعيل أيضاً قد آمن بما آمن به محمد على من قبل، و هو «أن فى أولاد مصر قابلية ونجابة» [٥٣]، فوصل عدد المدارس فى عام ١٨٧٥ إلى ٤٦٨٥ مدرسة إنتظم بها حوالى ١١٢ ألف طالب [٥٤] .. وزادت ميزانية التعليم من ٦ آلاف جنيه أيام سلفه سعيد باشا إلى ٨٠ ألف جنيه فى عصره .. هذا عدا ما أضيف لتلك الميزانية من ريع (عوائد) بعض الأراضى التى اشتريت من شركة قناة السويس بمبلغ عشرة ملايين جنيه لإتاحة التعليم بالمجان [٥٥].

إلتحق أحمد كمال وهو فى سن الثالثة عشر من عمره بمدرسة المبتديان (أى الابتدائية) بالعباسية حيث درس فيها لمدة ٤ سنوات [٥٦] .. وقد يكون ملفتاً أن يلتحق فى سن متأخرة كهذه

٥٢ سامى سليمان السهم: التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر فى القرن التاسع عشر ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ ٢٠٠٠– ص٨٣

٥٣ أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر ـ عصر إسماعيل ـ الجزء الأول– القاهرة ١٩٤٥ ـ ص ٧

٥٤ بيير كرابيتس : إسماعيل المفترى عليه ـ مترجم ـ القاهرة ـ ١٩٣٧ ـ ص ٢٠٩

٥٥ سامى السهم : مرجع سابق ـ ص ٩١

٥٦ مجلة المجمع العلمى العربى : مرجع سابق ـ ص ٣٠٠؛ مجلة المقتطف: الجزء ٦٣ ـ نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ٢٧٣؛ جمال مختار : مرجع سابق ذ ص ٤٥

بالدراسة الإبتدائية، مما قد يرجح الرأى القائل بأنه قد ولد خارج مصر وجاءها مع أسرته بعد عدة سنوات .. لكن المتفحص لنظام التعليم فى القرن التاسع عشر يلاحظ أنه من الشروط التى أقرت للالتحاق بالمدارس الابتدائية وقتها هو ألا يتجاوز السن ١٤ عاماً [٥٧] .. وهو ما يعنى أن تلك السن المتأخرة كانت شائعة أيامها . وبرغم أنه ليس واضحاً - لا من الوثائق أو من أى من المراجع التى تحدثت عن أحمد كمال - طبيعة التعليم الذى تلقاه قبيل دخوله المدارس، إلا أن انتشار وشعبية التعليم بالكتاتيب والزوايا والمساجد للأطفال الصغار قبيل الدراسة النظامية الحكومية يجعلنا لا نستبعد هذا الاحتمال .. والذى ترجحه قوة بنيان وفصاحة لغته العربية وتدينه الواضح فى كتاباته التى يبدو منها حفظه للقرآن الكريم أو بعضاً منه على الأقل .. وجميعها مواد أولية تهتم تلك الكتاتيب بتعليمها للتلاميذ.

إعتمد نظام التعليم المدنى الحديث فى مصر فى القرن ١٩ على التعليم الابتدائى والذى عرف (بمكاتب المبتديان). والتى بدئ فى إنشائها سنة ١٨٢٣م وبلغت حوالى ٥٢ مدرسة بكافة المحافظات، بهدف تهيئة التلاميذ للمدارس التجهيزية من خلال تعليمهم القراءة والكتابة والحساب والدين لمدة ٣ سنوات .. وقد تذبذب الاهتمام بها صعوداً وهبوطاً خلال ذلك القرن حتى أمر إسماعيل بإنشاء مدرستين فى يناير ١٨٦٣ إحداهما فى القاهرة والأخرى بالإسكندرية [٥٨] .

كان التعليم فى المدارس الحكومية فى البداية كله داخلياً وبالمجان فكان يصرف للتلاميذ المأكل والملبس وكان تابعاً لنظارة الجهادية، لهذا أخذ طابعاً عسكرياً فى الالتزام.. ثم أنشئت لاحقاً الأقسام الخارجية وفرضت مصروفات على بعض التلاميذ بدون نظام معين وحسب المقدرة المالية، وبُدئ بتنفيذ ذلك فى مدرسة المبتديان والمدرسة التجهيزية [٥٩].

إنتقل بعد ذلك أحمد كمال عام ١٢٨٤هـ (أى١٨٦٨/٦٧م) إلى المدرسة التجهيزية، والتى كان مقرها إحدى الثكنات العسكرية بالعباسية، حيث قضى بها عامين فقط قبل أن يلتحق بمدرسة اللسان المصرى القديم عام ١٢٨٦هـ (أى: عام ١٨٦٩م)[٦٠]. لهذا يبدو أن أحمد كمال وأقرانه بها لم يكملوا المدة الزمنية المقررة فى المدارس التجهيزية، والمفترض أن تكون ٤ سنوات تؤهل

---

٥٧ سامى السهم : التعليم فى القرن ١٩ - مرجع سابق - ص ٢٣٤

٥٨ المرجع السابق : ص ص ٢٣٢ - ٢٣٤ ؛

٥٩ أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن - مكتبة الأسرة - القاهرة ١٩٩٩ - ص ص ٤٧ والتى تليها

٦٠ المجمع العلمى العربى : مرجع سابق - ص ٣٠٠؛ المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ ص ٢٧٣؛ جمال مختار : ص ٤٥؛ وللتواريخ الهجرية انظر: اللواء محمد مختار باشا : التوفيقات الإلهامية - مرجع سابق

للمدارس الخصوصية العالية [61]. فتم اختيار عشرة طلاب من النابهين والمتفوقين وخاصة في اللغة الفرنسية ممن أتموا دراسة الفرقة الثانية في كل من المدرسة التجهيزية ومدرسة الإدارة ومدرسة المساحة والمحاسبة ليكونوا النواة التي تفتح بها مدرسة اللسان المصري أبوابها عام ١٨٦٩م [62].. والتي كانت تعرف أيضاً (بمدرسة اللسان المصري والحبشي) [63] أو (مدرسة بروجش) نسبة لمديرها الألماني هاينرش بروجش Heinrich Brugsch ، ذلك الرجل الذي كان له تأثير خاص في فكر أحمد كمال. درس الطلاب في هذه المدرسة مبادئ وأصول علم المصريات بالإضافة للغات القديمة والأجنبية، حيث أظهر أحمد كمال كعادته في الدراسة والتحصيل تفوقاً ملفتاً أهله للانطلاق في الحياة العملية بثقة وبتقدير واهتمام ممن حوله .. وهو ماسوف نفصله لاحقاً .

وظائفه..
الإحباطات والتحديات الأولى

بالتأكيد لم يكن الأثري الشاب أحمد كمال والذي أنهى لتوه دراساته العليا للآثار المصرية يتوقع ما ينتظره من سلسلة طويلة من الإحباطات والمعاكسات، سواء على المستوى الشخصي أو الوطني للدولة ككل، والتي ولدت بداخله الطاقة الكامنة للمقاومة والإصرار على إثبات الذات والتي صارت إحدى سماته الأصيلة.. لكن مصر (على حد قول عبد العزيز صالح) « كانت في ذلك الوقت متعطشة إلى همم أمثال أحمد كمال، وترى فيما يقدمونه عن أمجادها بعض التعويض عما فقدته من عزها في هذا الوقت» [64].

يمكن تقسيم حياة أحمد كمال العملية إلى مرحلتين أساسيتين:

أولاهما: ما قبل العمل بالمتحف، والثانية : ما بعد العمل بالمتحف .. ولا تخلو إحداهما في الواقع من

---

٦١ سامي السهم: التعليم - مرجع سابق - ص ٢٣٥

٦٢ توفيق حبيب: مجلة الهلال - أول نوفمبر ١٩٢٣ - ص ص ١٣٦ - ١٣٧ ؛ أحمد عزت عبد الكريم : عن ندوة (أحمد كمال باشا) مرجع سابق

٦٣ المقتطف : نوفمبر ١٩٢٣ - نفس الموضع ؛ مختار: مرجع سابق: نفس الموضع؛ H.Sallam,Op.cit.,p.1015

٦٤ عبد العزيز صالح : عن ندوة (أحمد كمال باشا) - ١٩٧٧ - غير منشورة - مرجع سابق

مظاهر العزيمة والإصرار اللتين اتصف بهما طيلة حياته .

تبدأ المرحلة الأولى بمحاولة أستاذه بروجش إلحاق طلبة مدرسته بالمتحف المصرى فعارض ماربيت فى ذلك [٦٥].. مما اضطر كمال وزملاءه للعمل فى مجالات مختلفة بعيدة عن تخصصهم .. فعمل صاحبنا فى عدة مواقع يصعب تحديد أسبقية إحداها على الأخرى أو تعيين فترتها التاريخية بدقة. لكن اضطر الخديو - بعد رفض ماربيت - إلى أن يعين هؤلاء الطلبة مدرسين للغة الألمانية فى المدارس الأميرية بالقاهرة والإسكندرية عند استحداث تدريسها، وذلك بعد إرسالهم للنمسا أو ألمانيا لإتقان اللغة . وفى عام ١٨٧٢ عيّن ٧ من طلاب المدرسة ومنهم أحمد كمال كمعاونين ومترجمين بديوان المكاتب الأهلية أول إنشائه والذى كان على باشا مبارك مديراً له، والذى علق عليهم آمالاً فى ترجمة الكتب الألمانية [٦٦]، ويبدو أن هذه العلاقة المبكرة بين كمال وعلى مبارك قد لعبت دوراً حاسماً فى إعادة مسار حياته لاحقاً فى اتجاه الآثار، خاصة أن مبارك نفسه كان وراء إنشاء مدرسة اللسان المصرى القديم كما سنوضح بعد قليل . وقد علل كاتب (المقتطف) سر معارضة الأجانب لاشتغال المصريين بالآثار بأنه (الخوف من أن ينشأ بينهم رجال يعرفون قيمتها فيحولون دون نقلها لأوربا) [٦٧].

عمل أحمد كمال فى هذه المرحلة بوظائف عديدة أخرى، فقد اشتغل معاوناً ومترجماً للغة الفرنسية فى نظارة (وزارة) المعارف العمومية، وربما تكون تلك هى أولى وظائفه قبيل عمله بتدريس الألمانية .. ثم عمل مترجماً للغة الفرنسية أيضاً فى مصلحة (وابورات البوستة)أى: (البواخر البريدية) وديوان البحرية .. ثم كاتباً للفرنسية ومترجماً ظهورات فى إدارة المماكس (الجمارك) العامة بنظارة المالية.. وجميعها مناصب ذات حيثية وقتها و ذات دخل محترم[٦٨].. لكن هيهات، فحبه الجارف للآثار كانت له اليد العليا .. فترك الوظائف ومكاسبها خلف ظهره ما إن لاحت له فرصة تحقيق حلم حياته.

يذكر جمال مختار أنه التحق فى البداية بوظيفة كاتب بمصلحة الآثار .. وهى بالطبع أدنى من كل عمل تقلده قبلاً، لكنه لم يلبث أن شغل منصب مترجم بالأنتيقخانة المصرية * مع وظيفة معلم

---

٦٥ توفيق حبيب : الهلال - نوفمبر ١٩٢٣ - ص ١٣٧

٦٦ أحمد عزت عبد الكريم : عن ندوة أحمد كمال باشا (١٩٧٧) - غير منشورة - مرجع سابق؛ وانظر أيضاً : نفس الباحث: تاريخ التعليم فى مصر - عصر إسماعيل - مرجع سابق؛ جمال مختار: مرجع سابق: نفس الموضع

٦٧ المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ - ص ٢٧٣

٦٨ المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ - ص ص ٢٧٣ - ٢٧٤ ، مجلة المجمع العربى : مرجع سابق - ص ٣٠٢ ؛ جمال مختار : مرجع سابق - ص ٤٥
H. Sallam, Op. cit., 1016
D.M.Abou-Ghazi, ASAE 64, pp. 1-5

* يبدو أن هذه الوظيفة وقتها تماثل مهنة (المرشد السياحى) حالياً (أو : الترجمان) أو تبعاً لنص الوثيقة: وظيفة إرشاد الذوات الشرقيون .. حيث كانت مهمته مرافقة ضيوف المتحف من الأجانب لشرح المعروضات لهم ، و لم يكن مترجماً بالمعنى المفهوم حالياً.

لغة قديمة بها[٦٩].

بينما يؤكد صديقه عيسى اسكندر المعلوف أن تعيينه ـ أو بالأحرى ترقيته «كاتماً للأسرار» (سكرتير) ومترجماً وأستاذاً للغات القديمة بالمتحف كان وراءه نفوذ (رياض باشا) رئيس مجلس النظار (مجلس الوزراء) حينئذ [٧٠] .. ولنا هنا وقفة قصيرة لوضع بعض النقاط فوق الحروف . .

فمبدئياً تصمت المصادر المتاحة تماماً عن الإفصاح عن سر حماس رئيس الوزراء لترقية كاتب بمصلحة الآثار إلى درجة مترجم بالمتحف !! لكن يمكننا أن نستشف سر تلك العلاقة كما يلى: تولى مصطفى رياض باشا نظارة المعارف ما بين عامى ١٨٧٣-١٨٧٤ .. حيث تبنى خلالها خطة إصلاحية موسعة لتطوير نظام التعليم سواء من حيث التوسع فى منشآته أو تحسين القائم منها ... كما تمكن من إصدار لوائح إصلاحية عديدة .

لكن تعطلت كافة تلك الجهود عند إبعاده لديوان آخر[٧١] .. وهى نفس الفترة تقريباً التى عمل فيها أحمد كمال مع على مبارك كما ذكرنا .

كلف الخديو توفيق رياض باشا فى ٢١ سبتمبر من عام ١٨٧٩ بتشكيل النظارة (الوزارة) والتى ضمت بعد تأليفها على باشا مبارك وزيراً للأشغال العمومية [٧٢] .. وهى نفس النظارة التى كانت تتبعها مصلحة الآثار والأنتيقخانة . وبهذا لا يكون من الصعب علينا أن نستنتج تتابع الأحداث بعد ذلك .. فهاهو على باشا مبارك يستحث رياض باشا للتدخل فى أمر النابهة أحمد كمال مرؤوسه السابق لترقيته إلى درجة مترجم لرفع الغبن الواقع عليه .. خاصة أن على باشا مبارك أيضاً كان من أهم دعاة إصلاح التعليم وتوسيع نطاقه ليشمل كافة المصريين. كما أن رياض باشا نفسه كان يرى أن: «تنظيم مصالح الحكومة يحتاج إلى موظفين أكفاء، وهذا لا يتأتى إلا بتحسين طرق التدريس والتعليم العام» طبقاً لكلمته للخديـو فى ٢٦ مايو ١٨٨٠ وهو المشـروع الذى عرف باسم (قومسيون تنظيم المعارف) [٧٣] .. هذا من ناحية. أما من ناحية تحديد التواريخ، فإذا كانت وزارة رياض باشا قد قضت مدة قصيرة طولها عامان (من سبتمبر ١٨٧٩ وحتى سبتمبر ١٨٨١ بعد إسقاطها بناء على مطالب الثورة العرابية)، فيمكن بناءً على ذلك إستنتاج أن ترقية أحمد كمال من درجة كاتب

---

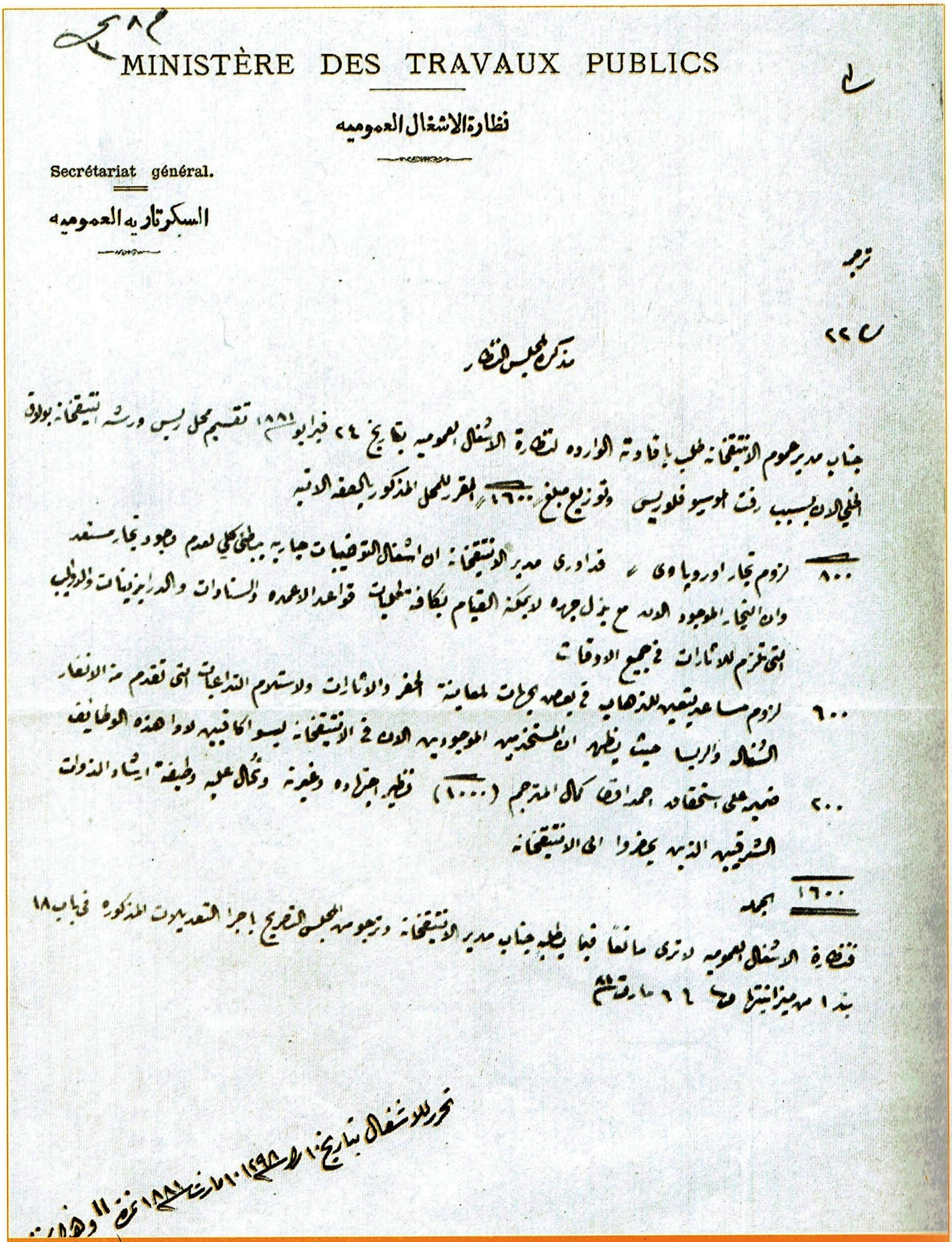
٦٩ جمال مختار: مرجع سابق ـ نفس الموضع

٧٠ المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ٢٧٤ ؛ مجلة المجمع العربى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠٢

٧١ سامى سليمان السهم: التعليم فى مصر فى القرن ١٩ – مرجع سابق ـ ص ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩

٧٢ أحمد شفيق باشا : مرجع سابق ـ ص ص٩٢ ـ ٩٣

٧٣ سامى السهم : مرجع سابق ـ ص ٢٤٩



MINISTÈRE DES TRAVAUX PUBLICS

نظارة الاشغال العموميه

Secrétariat général.

السكرتاريه العموميه

ترجمه

مذكره لمجلس النظار

جناب مدير عموم الانتيقخانه طلب بافادته الوارده لنظارة الاشغال العموميه بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٨٨١ تقسيم محل ليس ورشه انتيقخانه بولاق

المخلي الان بسبب رفت الموسيو فلوريس وتوزيع مبلغ ١٦٠٠ قرش المحل المذكور بالكيفية الاتيه

٨٠٠ لزوم تجار اوروباوى فاذا رأى مدير الانتيقخانه ان اشغال التوضيبات جاريه ببطئ كلي لعدم وجود تجار مستعد

وان النجار الموجود الان مع بذل جهده لا يمكنه القيام بكافة طلبات قواعد الاعمده والسناوات والدرابزينات والدواليب

التي تلزم للاثاثات في جميع الاوقات

٦٠٠ لزوم مساعد يتعين للذهاب في بعض سفريات لمعاينة الحفر والاثارات ولاستلام التداعيات التي تقدم من الانفار

النظار واربا حيث يظهر ان المستخدمين الموجودين الان في الانتيقخانه ليسوا كافيين لاداء هذه الوظائف

٢٠٠ ضميمه على استحقاق احمد افندي كمال المترجم (١٠٠٠) نظير اجراءه وغيرته وتحال عليه وظيفة ارشاد الذوات

الشرقيين الذين يحضروا الى الانتيقخانه

١٦٠٠ الجمله

فنظارة الاشغال العموميه لا ترى مانعا فيما يطلبه جناب مدير الانتيقخانه وترجو من المجلس التصريح باجرا التعديلات المذكوره في باب ١٨

بند ١ من ميزانية سنة ٦٦ سارة قش

تحريرا بالاشغال بتاريخ ١٠ ربيع الآخر ١٢٩٨ الموافق ١٠ مارث سنة ١٨٨١ نمرة ١١ وهذا ...

مذكرة تتضمن زيادة (ضميمة) مالية لكمال قدرها ٢٠٠ قرش و تكليفه بمهمة الإرشاد بالمتحف (٦ مارس ١٨٨١)

MINISTÈRE DES TRAVAUX PUBLICS

نظارة الاشغال العموميه

Secrétariat général.

السكرتاريه العموميه

Note au Conseil des Ministres.

N° 22.

Monsieur le Directeur Général des Musées a adressé au Ministère des Travaux Publics une lettre en date du 24 février 81 par laquelle il demande de diviser l'emploi de chef d'atelier du Musée de Boulaq, qui se trouve vacant par suite du renvoi du Sieur Floris, et de répartir la somme de P. 1600 affectée mensuellement à ce poste de la manière suivante:

800 — P.E. pour un menuisier européen.

Le Directeur des Musées fait remarquer que les travaux d'aménagement sont fortement ralentis par le manque d'un menuisier habile et que l'ouvrier qu'on a actuellement ne peut, malgré toute sa bonne volonté, suffire à toutes les commandes de socles, supports, grillages, et armoires que le placement des monuments entraîne à chaque moment.

600 — P.E. par mois pour un adjoint qui pût aller, où besoin serait, vérifier l'état des fouilles et des monuments, recevoir les réclamations des ouvriers et des Reïs etc., toutes fonctions auxquelles ne peut suffire, paraît-il, le personnel actuel du Musée.

200 — P.E. à augmenter sur les appointements de (P.E. 1000) de l'interprète Ahmed Effendi Kamal, en raison de son activité et de son zèle, et qui serait chargé de guider les hauts personnages orientaux à travers les Musées

1600 Total

النص الفرنسي للمذكرة السابقة

Le Ministère des Travaux Publics ne trouve aucune objection à faire aux propositions de Monsieur le Dr Général, et prie le Conseil de vouloir bien autoriser les modifications proposées au Chap. XVIII Art: I du Budget du Ministère des Travaux Publics. —

Le Caire, le 6 Mars 1881.

بقية النص الفرنسي للمذكرة السابقة

لدرجة مترجم بالأنتيقخانة [٧٤] قد تمت فى هذه الفترة، وخاصة فى أوائلها بالطبع أى حوالى عام ١٨٨٠، وعليه فيكون تعيين أحمد كمال ككاتب بمصلحة الآثار قد سبق تشكيل وزارة رياض باشا بسنوات ثلاث.

كما توجد وثيقة هامة تؤكد أنه بعيد إقالة وزارة رياض باشا كان أحمد كمال يعمل بالفعل مترجماً لكن بمصلحة الآثار .. وهى عبارة عن خطاب موجه من جناب مدير عموم الآثارات القديمة يطلب من نظارة الأشغال بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٨٨١ بالإحسان على أحمد أفندى كمال مترجم المصلحة بالرتبة الثالثة ثم ترفع النظارة (الأشغال العمومية) المذكرة إلى مجلس النظار (الوزراء) فى ٢٩نوفمبر ١٨٨١ [٧٥].

فإذا عرفنا أن مسيو ماسبرو والذى قدم مذكرة الترقية هذه قد تولى منصبه فقط منذ يناير ١٨٨١ كما ذكرنا، فيتضح لنا مدى الجهد والاخلاص فى العمل الذى أبداه أحمد كمال وكان وراء ترقيته بمجرد تسلم المدير الجديد مهامه. بل وأكثر من ذلك فتوجد وثيقة أخرى (تاريخ ٢٤ فبراير ١٨٨١) أى بعد شهر واحد فقط من تولى ماسبرو منصبه - يطلب فى مذكرته لمجلس النظار ضمن عدة احتياجات للمتحف «صرف ٢٠٠ قرش ضميمة (أى : إضافة) على استحقاق أحمد أفندى كمال المترجم ١٠٠٠قرش نظير اجتهاده وغيرته، وتحال عليه وظيفة إرشاد الذوات الشرقيين الذين يحضروا إلى الأنتيقخانة [٧٦] » .. وهى تضيف معلومة جديدة لم يذكرها أى مصدر آخر و هى تقلد أحمد كمال وظيفة (الإرشاد السياحي) لضيوف المتحف الشرقيين على اعتبار أن الضيوف الغربيين يتولاهم مدير المتحف بنفسه فى الغالب، كما أنها توضح تقديراً مبكراً جداً من ماسبرو لأحمد كمال.

وثيقة أخرى صادرة فى ١٥ فبراير ١٨٨٢ تشير إلى وظيفة أخرى تقلدها أحمد كمال فى هذا الوقت ولم يرد ذكرها أيضاً فى أى مصدر، حيث تقدم المذكرة المقدمة من نظارة الأشغال العمومية لمجلس النظار بعض التعديلات المالية المقررة لماهيات مدرسى مدرسة الأنتيقخانة (والتى افتتحت منذ عام ١٨٨١ حتى تم إغلاقها عام ١٨٨٥ كما سيرد بالتفصيل لاحقاً) حيث تذكر أن :

« أحمد أفندى كمال ربط له شهرى ٨٠٠ قرش بوظيفة ناظر وخوجة والمذكور موظف بمصلحة الأنتقخانة مترجم بماهية شهرى ١٢٠٠ قرش والذى نستصوبه أن يضم للمذكور ثلاثمائة قرش على ماهيته لإبلاغها شهرى ١٥٠٠ قرش من ابتداء ١٨٨٢ ويحال عليه تأدية الوظيفتين» [٧٧] . . إذن فقد

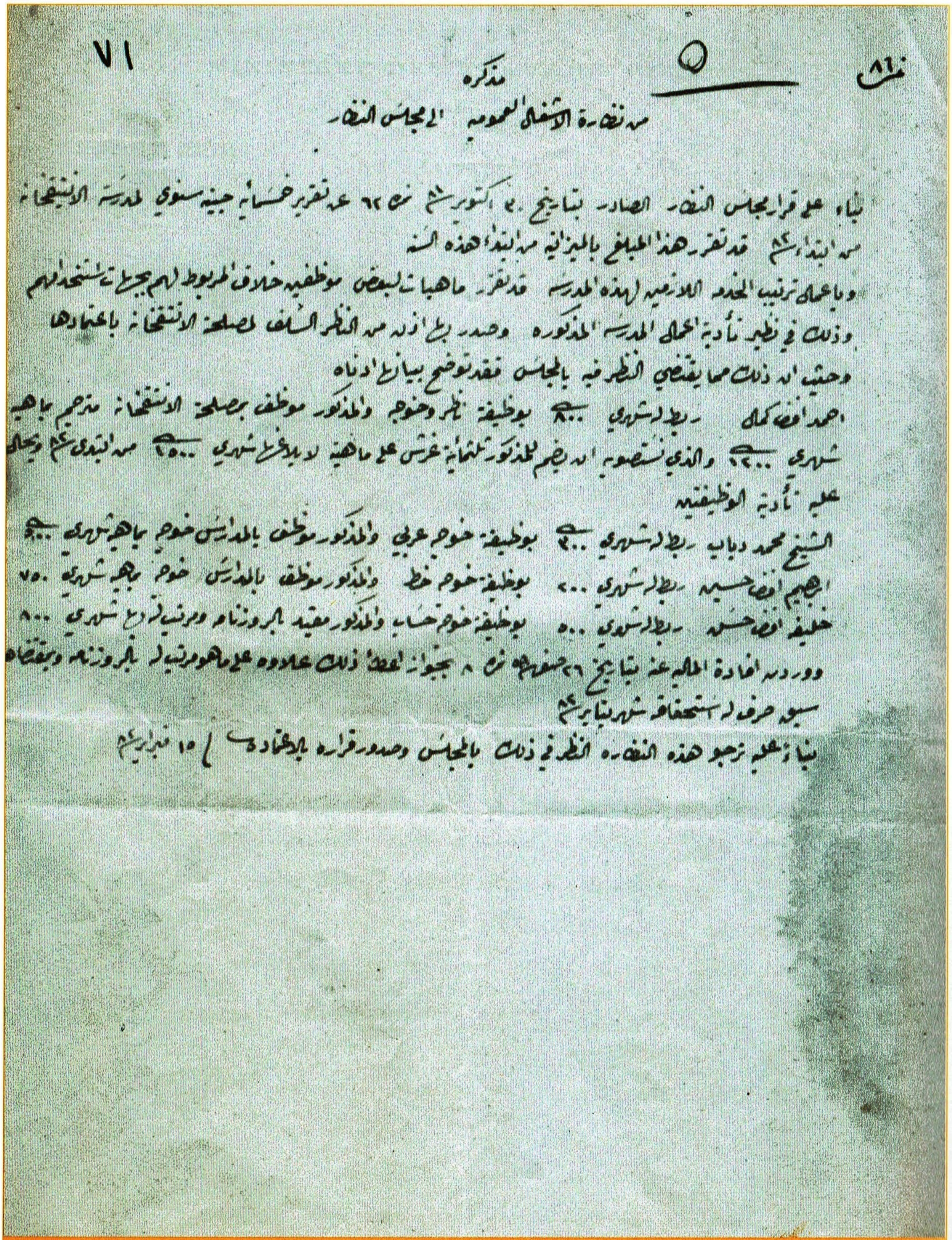
---

٧٤ لورد كرومر: الثورة العرابية - مترجم - هيئة الكتاب - القاهرة - ١٩٩٧ - ص ص ٦٧ وما بعدها

٧٥ من وثائق وزارة الأشغال العمومية

٧٦ من وثائق وزارة الأشغال العمومية

٧٧ من وثائق وزارة الأشغال العمومية



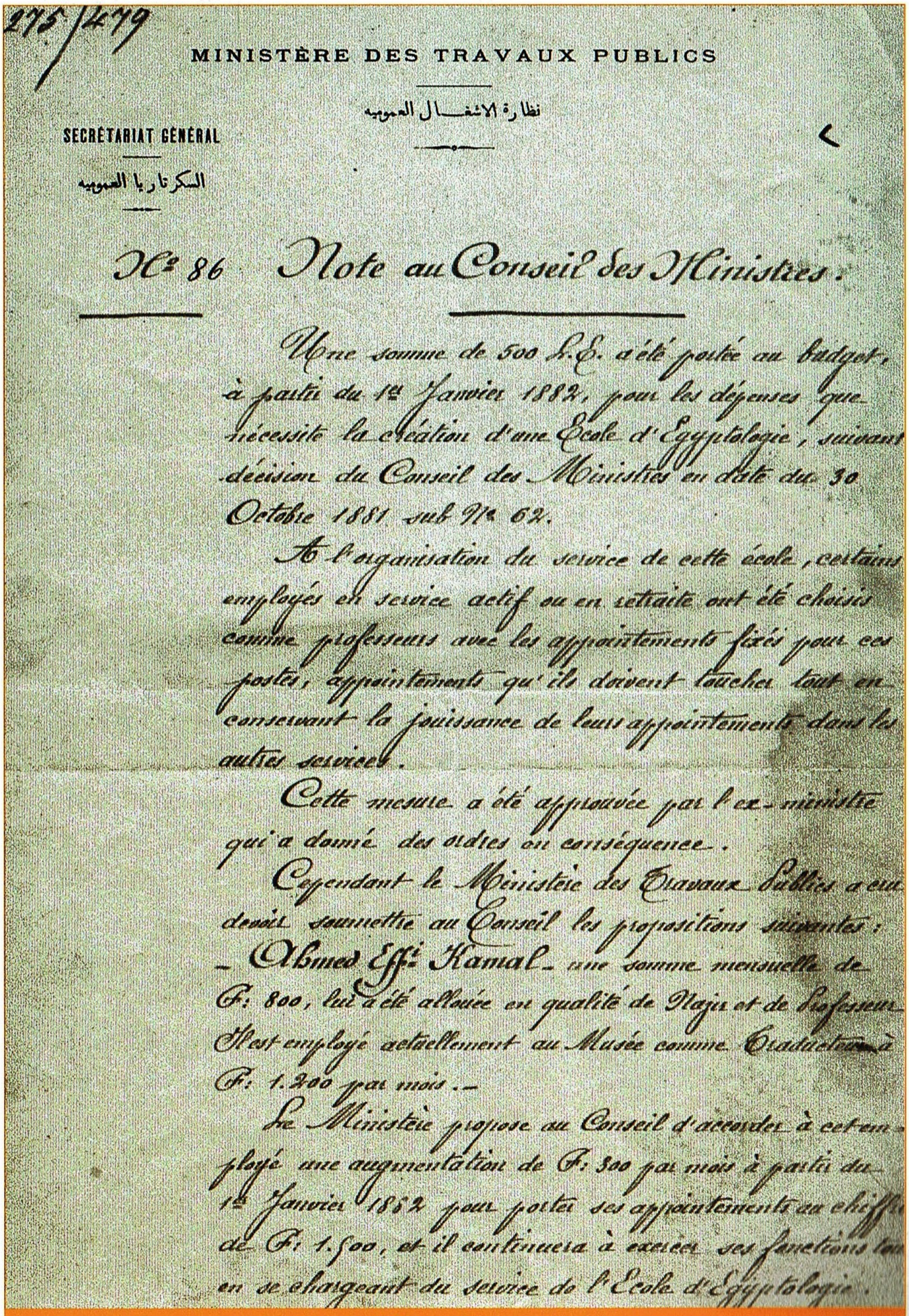
نمرة ٨٦ ٥ ٧١

مذكرة

من نظارة الأشغال العمومية إلى مجلس النظار

بناء على قرار مجلس النظار الصادر بتاريخ ٢٠ أكتوبر سنة ٨٢ عن تقرير خمسمائة جنيه سنوي لمدرسة الأنتيقخانة
من ابتداء سنة ٨٢ قد تقرر هذا المبلغ بالميزانية من ابتداء هذه السنة
وبإعمال ترتيب الخدمة اللازمة لهذه المدرسة قد تقرر ماهيات لبعض موظفيه خلاف المربوط لهم بجهة استخدامهم
وذلك في نظير تأدية أعمال المدرسة المذكورة وصدر بها إذن من الناظر السالف لمصلحة الأنتيقخانة باعتمادها
وحيث أن ذلك مما يقتضي النظر فيه بالمجلس فقد توضح ببيانه أدناه
أحمد أفندي كمال ربط له شهري ٨٠٠ قرش بوظيفة ناظر وخوجة والمذكور موظف بمصلحة الأنتيقخانة مترجم بماهية
شهري ٧٠٠ قرش والذي نستصوبه أن يضم للمذكور ثمانمائة قرش على ماهيته ليبلغ مرتبه شهري ١٥٠٠ قرش من ابتداء سنة ٨٢ ويحال
عليه تأدية الوظيفتين
الشيخ محمد دياب ربط له شهري ٤٠٠ قرش بوظيفة خوجة عربي والمذكور موظف بالمدارس خوجة بماهية شهري [illegible] قرش
إبراهيم أفندي حسين ربط له شهري ٥٠٠ بوظيفة خوجة خط والمذكور موظف بالمدارس خوجة بماهية شهري ٧٥٠
خليفة أفندي حسن ربط له شهري ٥٠٠ بوظيفة خوجة حساب والمذكور معين بالرزنامة ومرتب قدره شهري ٨٠٠
وورد من إفادة المالية عنه بتاريخ ٢٦ ديسمبر سنة ٨١ بجواز إعطاء ذلك علاوة على ما هو مرتب له بالرزنامة ويقتضى
سبق صرف له استحقاق شهر يناير ٨٢
بناء عليه نرجو هذه النظارة النظر في ذلك بالمجلس وصدور قراره بالاعتماد ١٥ فبراير ٨٢

مذكرة تتضمن طلباً بضم وظيفتين إلى كمال و زيادة راتبه إلى ١٥ جنيهاً مع إلغاء مكافأة إحداهما (بتاريخ ١٥ فبراير ١٨٨٢)



275/479

MINISTÈRE DES TRAVAUX PUBLICS

نظارة الاشغال العموميه

SECRÉTARIAT GÉNÉRAL

السكرتاريا العموميه

N° 86 Note au Conseil des Ministres.

Une somme de 500 L.E. a été porté au budget, à partir du 1er Janvier 1882, pour les dépenses que nécessite la création d'une École d'Egyptologie, suivant décision du Conseil des Ministres en date du 30 Octobre 1881 sub N° 62.

A l'organisation du service de cette école, certains employés en service actif ou en retraite ont été choisis comme professeurs avec les appointements fixés pour ces postes, appointements qu'ils doivent toucher tout en conservant la jouissance de leurs appointements dans les autres services.

Cette mesure a été approuvée par l'ex-ministre qui a donné des ordres en conséquence.

Cependant le Ministère des Travaux Publics a cru devoir soumettre au Conseil les propositions suivantes:

- Ahmed Effi Kamal - une somme mensuelle de P. 800, lui a été allouée en qualité de Nazir et de Professeur. Il est employé actuellement au Musée comme Traducteur à P. 1.200 par mois.-

Le Ministère propose au Conseil d'accorder à cet employé une augmentation de P. 300 par mois à partir du 1er Janvier 1882 pour porter ses appointements au chiffre de P. 1.500, et il continuera à exercer ses fonctions tout en se chargeant du service de l'École d'Egyptologie.

النص الفرنسي للمذكرة السابقة (فبراير ١٨٨٢)

— El Cheikh Mohamed Diab : Il lui a été alloué une somme de P. 300 en qualité de Professeur Arabe ; il est actuellement Professeur à l'Instruction Publique à P. 500 par mois. —

— Ibrahim Effᵈⁱ Hussein : Il lui a été alloué P. 200, en qualité de Professeur de Calligraphie ; il est également employé à l'Instruction Publique comme Professeur à P. 750 par mois. —

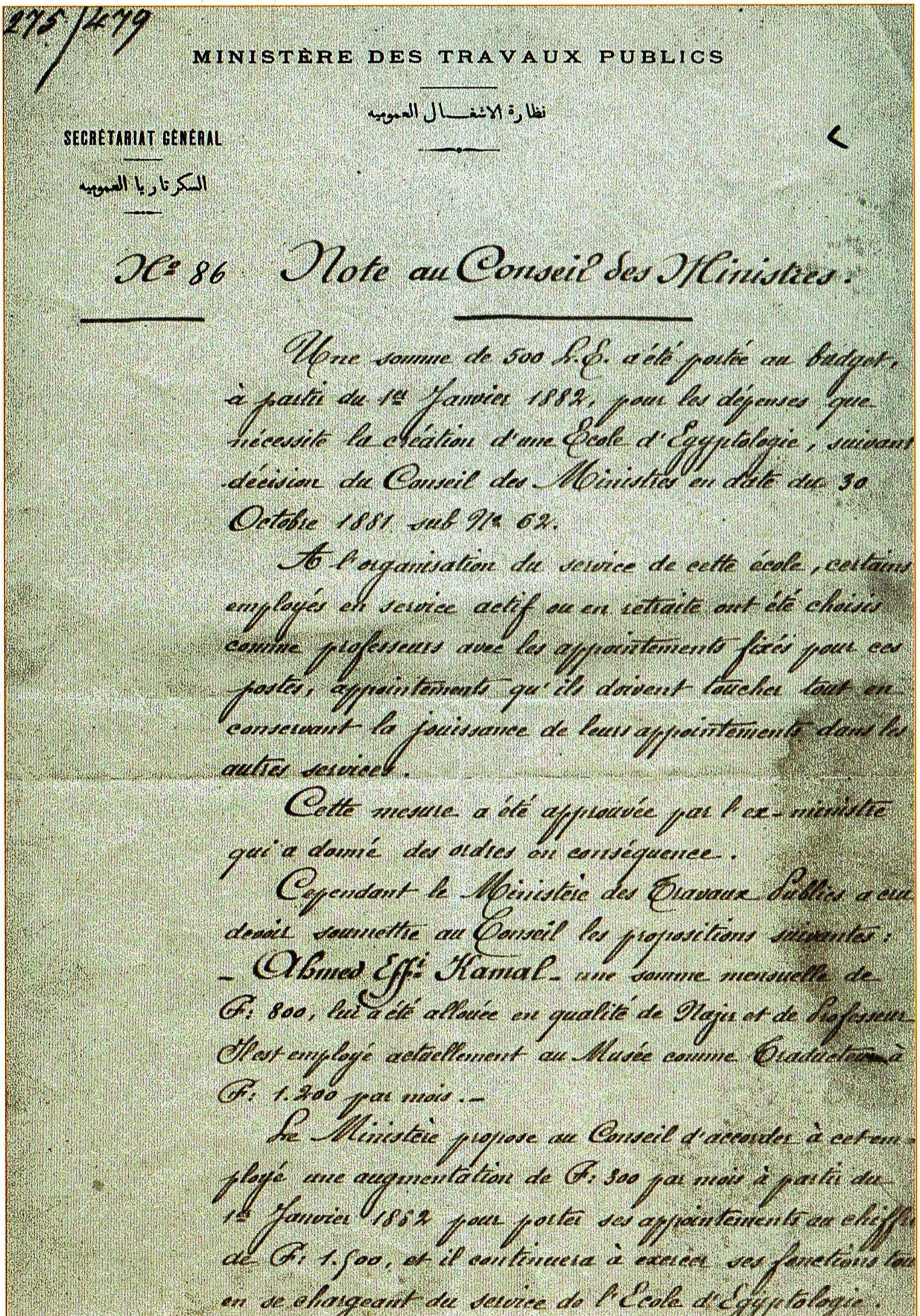
— Khalifa Effᵈⁱ Hassan : Il lui a été alloué P. 500 par mois, en qualité de Professeur d'Arithmétique ; il est à la retraite au Rouznama où il touche P. 800 par mois.

— Le Ministère des Finances, par sa lettre du 26 Safar 1299 N° 8, a consenti à cette nomination, et Khalifa Effendi a touché déjà ses appointements de Janvier 1882.

Le Ministère des Travaux Publics prie le Conseil des Ministres de vouloir bien examiner cette question et de lui communiquer sa décision à cet égard.

Le Caire le 14 Février 1882.

باقى النص الفرنسى للمذكرة السابقة (فبراير ١٨٨٢)



275/479

MINISTÈRE DES TRAVAUX PUBLICS

نظارة الاشغال العموميه

SECRÉTARIAT GÉNÉRAL

السكرتاريا العموميه

No 86 Note au Conseil des Ministres:

Une somme de 500 L.E. a été portée au budget, à partir du 1er Janvier 1882, pour les dépenses que nécessite la création d'une École d'Egyptologie, suivant décision du Conseil des Ministres en date du 30 Octobre 1881 sub No 62.

A l'organisation du service de cette école, certains employés en service actif ou en retraite ont été choisis comme professeurs avec les appointements fixés pour ces postes, appointements qu'ils doivent toucher tout en conservant la jouissance de leurs appointements dans les autres services.

Cette mesure a été approuvée par l'ex-ministre qui a donné des ordres en conséquence.

Cependant le Ministère des Travaux Publics a cru devoir soumettre au Conseil les propositions suivantes:

– Ahmed Effi Kamal – une somme mensuelle de P. 800, lui a été allouée en qualité de Nazir et de Professeur. Il est employé actuellement au Musée comme Traducteur à P. 1.200 par mois.–

Le Ministère propose au Conseil d'accorder à cet employé une augmentation de P. 300 par mois à partir du 1er Janvier 1882 pour porter ses appointements au chiffre de P. 1.500, et il continuera à exercer ses fonctions tout en se chargeant du service de l'École d'Egyptologie.

النص الفرنسي للمذكرة السابقة (فبراير ١٨٨٢)

— El Cheikh Mohamed Diab : Il lui a été alloué une somme de P. 300 en qualité de Professeur Arabe ; il est actuellement Professeur à l'Instruction Publique à P. 500 par mois. —

— Ibrahim Eff.di Hussein : Il lui a été alloué P. 200, en qualité de Professeur de Calligraphie ; il est également employé à l'Instruction Publique comme Professeur à P. 750 par mois. —

— Khalifa Eff.di Hassan : Il lui a été alloué P. 500 par mois, en qualité de Professeur d'Arithmétique ; il est à la retraite au Rouznama où il touche P. 800 par mois.

— Le Ministère des Finances, par sa lettre du 26 Safar 1299 N° 8, a consenti à cette nomination, et Khalifa Effendi a touché déjà ses appointements de Janvier 1882.

Le Ministère des Travaux Publics prie le Conseil des Ministres de vouloir bien examiner cette question et de lui communiquer, sa décision à cet égard.

Le Caire le 14 Février 1882.

باقى النص الفرنسى للمذكرة السابقة (فبراير ١٨٨٢)

SERVICE ADMINISTRATIF

No. 406

Note au Conseil des Ministres

Quelque temps avant de quitter l'Égypte, Mr. Maspero avait spécialement signalé à l'attention du Ministère des Travaux Publics Ahmed Eff: Kamal, Interprète du Musée, qui, pendant 5 ans, a donné des leçons de langue hiéroglyphique aux Élèves de l'École d'Égyptologie.

Mr. Maspero a fait remarquer au Ministère que cet employé avait ainsi consacré aux élèves une partie de son temps contre une très-faible indemnité et, l'École d'égyptologie ayant été supprimée, il demandait que le Gouvernement allouât à Ahmed Kamal, à titre de récompense de son travail et de son zèle, une somme de 38 L.E. qu'il consacrerait à l'achat de livres relatifs à l'histoire et à la philologie de l'Egypte pharaonique.

Le Ministère des Travaux Publics demande au Conseil des Ministres de vouloir bien approuver l'allocation de cette gratification de 38 L.E. et de charger Mr. Grébaut, Directeur des Musées Egyptiens, d'en assurer l'emploi conformé-ment conformément au désir exprimé par Mr. Maspero, c'est-à-dire pour l'achat de livres égyptologiques qui seront toutefois la propriété de Mr. Ahmed Effendi Kamal.

Caire le 21 Juillet 1886.

Le Ministre

Signé: A. Rouchdy

Pour copie conforme

Le Chef du Service Administratif

النص الفرنسي للمذكرة السابقة لمكافأة كمال (٢١ يوليو ١٨٨٦)

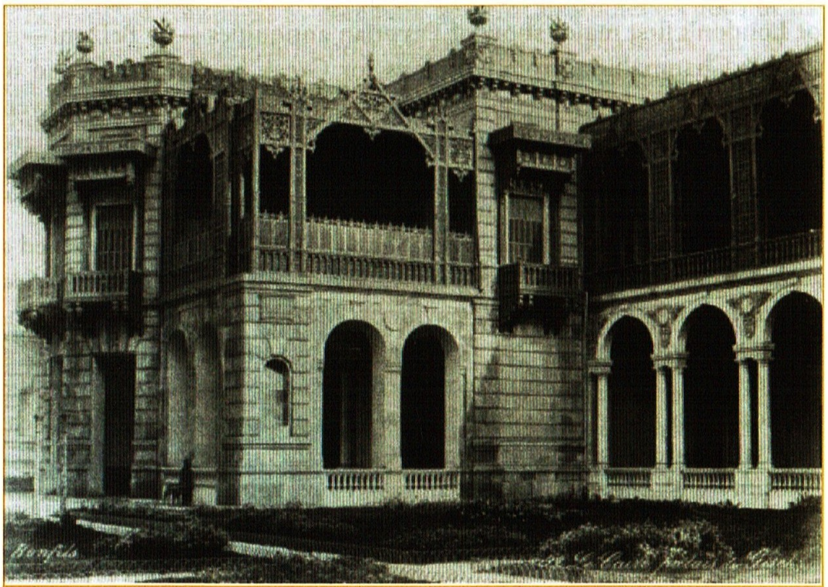
افندى كمال بوظيفة مساعد أمين لحفظ الآثارات فى إدارة عموم الأنتيكخانة المصرية بمرتب سنوى ٣٠٠جنيهاً [٨٢] (بواقع ٢٥جنيهاً شهريا). ويبدو فى الغالب أن الطلب قد قُبل وتم تعيينه فى ذلك المنصب الذى حمل لقبه طوال فترة خدمته حتى تقاعده عام ١٩١٤.

والغريب أنه لم يحصل على لقب أمين شرفى للمتحف إلا بعد تقاعده [٨٣] !! ويعتقد (ريد) أن موافقة جريبو مدير المتحف على ترقية كمال جاءت تحت ضغوط المطالبة بضرورة تعيين أثريين مصريين بالمتحف ولإجهاض محاولات الأثريين الإنجليز اقتحام المتحف [٨٤] .

يذكر عبد العزيز صالح أن أحمد كمال قد نال بتعيينه أميناً مساعداً للمتحف درجة (البكوية)، وأن اعتزازه بذلك المنصب كان كبيراً وهو ما بدا فى حرصه على تصدير كتبه بلقب (الأمين المساعد الوطنى بالمتحف) بعد اسمه مباشرة [٨٥] .

فى ٢١ إبريل من عام ١٨٩٢ وافق مجلس النظار على ترقية أحمد كمال الأمين المساعد بالأنتيكخانة من الرتبة الثالثة إلى الرتبة الثانية (لإظهاره مزيداً من الهمة والغيرة فى جميع أشغاله) وذلك بناء على مذكرة نظارة الأشغال فى ١٦ إبريل ١٨٩٢ [٨٦].

لكن دأب وطموح أحمد كمال لم يتوقف عند حد .. فقد تقدم بمذكرة فى ٢٨ أكتوبر ١٨٩٤ (باللغة العربية فقط ولا توجد لها ترجمة فرنسية) يطلب فيها تعيينه أميناً بالأنتيكخانة [٨٧]، بعد أن تناهى إلى سمعه احتمال استعفاء بروكش بك من منصبه وأن عيون الأجانب أصبحت منصبة على ذلك المنصب


مبنى متحف الجيزة (قصر إسماعيل باشا)

٨٢ من وثائق وزارة الأشغال

٨٣ JEA 9, Oct. 1923, pp. 241f.

٨٤ D. M. Reid, Whose Pharaohs ?, AUC Press, Cairo, 2002, pp. 186 f.

٨٥ عبد العزيز صالح: عن تسجيل صوتى لندوة (أحمد كمال) جمعية الدراسات التاريخية - غير منشورة - مرجع سابق

٨٦ من وثائق وزارة الأشغال

٨٧ من وثائق وزارة الأشغال

[88]

يتحدث كمال عن نفسه فى هذه المذكرة موجهاً كلامه إلى مصطفى فهمى رئيس الوزراء قائلاً : «الأثرى الوطنى الوحيد والتلميذ الأسبق لبروجش باشا ... لقد انتظرت طيلة اثنين وعشرين عاماً من الخدمة فى الحكومة حتى أرقّى وأكافأ على خدماتى الجليلة والمخلصة للبلد ... ولكونى أميناً مساعداً ولأقدميتى واستحقاقى وبناءً على القانون المصرى .. ألتمس من سعادتكم بصورة خصوصية أن تساعدنى فى الحصول على هذا المنصب على الرغم من مطالبة الأجانب به» [89] .. وأضاف كمال فى مذكرته أنه بالرغم من تساويه هو و (جورج دارسى) الأمين المساعد أيضاً فى المتحف فى الخلفية العلمية والدراسية، إلا أنه - أى كمال - يتميز عنه بإجادته للغة العربية ومدة خدمة قدرها ٢٢ عاماً مقابل ٦ سنوات فقط لدارسى بالمصلحة .. ثم ختم كمال طلبه بالتماس أن يعين فى هذا المنصب مصرى بدلاً من فرنسى أو إنجليزى .. لكن لم يحدث شئ، وبقى بروجش فى منصبه حتى عام ١٩١٤ ، بل إن دارسى قد تخطى كمال فى الترقية على يد ماسبرو، ليس كمجرد أمين للمتحف ولكن كسكرتير عام للمصلحة ككل عام ١٩١٣ (قبل إحالة كمال للمعاش بعام)[90].

كما عمل أيضاً أحمد بك كمال أستاذاً للحضارة القديمة فى الجامعة المصرية .. بالإضافة إلى مشاركته فى نقل وتصنيف وترتيب محتويات المتحف مرتين : أولاهما من بولاق للجيزة والثانية من الجيزة لقصر النيل فى موقع المتحف المصرى الحالى بميدان التحرير[91].

---

٨٨ Reid, Op. cit., p. 188

٨٩ من وثائق مجلس النظار : وقد ترجمت هذا النص عن الترجمة الإنجليزية له لتعذر اطلاعى على أصل الوثيقة . أنظر Reid, Op.cit.,p.188

٩٠ Ibid,pp. 188 f.

٩١ W.R.Dawson, Who was who in Egyptology, Op. cit, p.3; V.M.Mosséri, Bid'É 6, pp. 171 f.

٣

صراع هنا ..
و خلاف هناك ..

علاقة الأجانب به.. تقدير.. غيرة.. أم عداء؟!

لنستمع لكلمات أحمد كمال وهو يوضح لبنى جلدته - فى أول كتاب يصدر عن تاريخ وآثار مصر القديمة عام ١٨٨٣ باللغة العربية - السبب الوطنى الذى دفعه لاقتحام هذا المجال، ودور الأجانب فى ذلك:

أنه رأى الأجانب (يتنافسون فى اقتناء آثار ذلك التاريخ ويعتنون به أكبر العناية ويرحلون لمشاهدة آثار القدماء المصريين المراحل الطوال ويبذلون على حيازة تاريخها نفائس النفوس والأموال ، قاصدين تعليم هذا التاريخ لأطفالهم وتداوله بين رجالهم ، مع أننا بذلك أحق وأحرى ، وصاحب الدار يلزم أن يكون بها أدرى) [٩٢] .

لكنه مع ذلك لاينكر فضل الأجانب ولايجحد مجهوداتهم فى إرساء دعائم هذا العلم حيث يقول فى مقال آخر: (لاننكر أنهم بهذا الاجتهاد عانوا مشاق كثيرة فى اللغة (المصرية) مما يثبت لهم الفضل الأكبر عند أهل العلم لكونهم كانوا أول باحث فى اكتشاف غوامض اللغة المصرية وإظهارها من عالم الخفاء إلى عالم الوجود)[٩٣] .

أراد الخديو إسماعيل إنشاء مدرسة للسان المصرى القديم، فاختار لإدارتها الألمانى هاينريش بروجش (١٨٢٧-١٨٩٤) عضو المجمع العلمى المصرى وأمين أول متحف برلين والذى كان يشغل منصب قنصل بروسيا (التى قادت الاتحاد الألمانى فيما بعد) فى القاهرة .. فاستعان بأخيه الأصغر إميل بروجش [٩٤] .. وقد لعب الاثنان دوراً هاماً فى حياة أحمد كمال. وصل بروجش فى منتصف عام ١٨٦٩ م إلى القاهرة حيث أعدت له الحكومة منزلاً فى بولاق (كسكن وكمقر للمدرسة معاً) وتحديداً فى سراى الشيخ الشرقاوى بالقرب من مسجد القللى، واختير عشرة من طلاب المدارس الثانوية للالتحاق بالمدرسة كان من بينهم أحمد كمال.

---

٩٢ أحمد كمال : العقد الثمين فى تاريخ قدماء المصريين - ط١ - المطبعة الميرية ببولاق مصر - ١٣٠١هـ / ١٨٨٣ م.

٩٣ أحمد كمال بك : العربية والمصرية القديمة - مجلة المقتطف - ١ مارس ١٩١٤- ص ٢١١

٩٤ أحمد عزت عبد الكريم : عن ندوة (أحمد كمال باشا) (١٩٧٧) - مرجع سابق ؛ H.Sallam, Op. cit., p. 1015

قام هاينريش بروجش بتدريس اللسان المصرى القديم (الهيروغليفية) لطلابه بينما درس إميل الأخ الأصغر اللغة الألمانية، كما اعتمد هاينريش أسلوب التطبيق العملى لطلابه حيث كان يصطحبهم معه عن طريق النيل للتدريس الميدانى فى آثار الصعيد والأقصر وكذلك فى المتحف المصرى [٩٥] .. وهو نفس المنهج الذى اتبعه أحمد كمال مع طلابه عند تدريسه للمصريات لاحقاً كما سنوضح بالتفصيل .

أراد بروجش باشا أن يرى ثمار مازرعت يداه ، فسعى لإلحاق طلبة مدرسته للعمل بالمتحف المصرى فرفض ماريبت ذلك [٩٦] حتى لايكون – فيما يبدو – هؤلاء المصريون نواة يزرعها الألمان فى مصلحة الأنتيقخانة لسحب البساط تدريجياً من تحت الفرنسين.

تأثر كمال بشكل واضح بأستاذه بروجش .. ليس فقط فى حبه للآثار ، لكن أيضاً فى المنهج العام الذى اتبعه فى التعريف بحضارة مصر. و هو ما يظهر بوضوح فى موضوعات الكتب و المؤلفات التى وضعها كمال و باستشهاده المتكرر به فيها .. لكنه بالطبع احتفظ فيها بروحه المصرية الخالصة فى نفس الوقت، وبنظرته النقدية الموضوعية التى تشير بجلاء إلى روح التمرد الكامنة فيه، و لرغبته الأكيدة فى الخروج من عباءة الفكر الأوروبى و مفهومه للحضارة المصرية القديمة.

ألف بروجش عام ١٨٥٥ كتاباً فى قواعد الديموطيقية، كما وضع قاموساً للهيروغليفية فى سبعة أجزاء ما بين أعوام ١٨٦٠ و ١٨٨٢ وكذلك قاموساً جغرافياً لمصر القديمة .. هذا غير أبحاثه القيمة فى تاريخ مصر وجغرافيتها القديمة [٩٧].

وتلك هى نفس الموضوعات الرئيسية تقريباً التى اهتم كمال بمعالجتها وخاصة مشروع حياته الأكبر (قاموس الهيروغليفية) والذى سيأتى ذكره لكن، بفهومه الخاص.

كانت سياسة ماريبت كما ذكرنا تعتمد فى الأساس على إقصاء أى جنسية غير فرنسية عن المناصب الأثرية الرسمية لضمان استمرار احتكارها * ، وكذلك لضمان تبعية آثار مصر جميعها له شخصياً. لذلك رفض بشدة كما بينا فكرة تعيين أى مصرى فى منصب رسمى ، ذلك لأن خطورة المصريين - رغم حداثة عهدهم بهذا المجال - أكبر واشد لأنها ببساطة آثارهم .. والذين قد يطالبون بدافع وطنى يوماً ما بتولى أمرها برمته.

---

٩٥ أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ؛ H.Sallam , Loc. Cit. ؛ المقتطف : نوفمبر ١٩٣٢ – ص ٢٧٤

٩٦ توفيق حبيب : الهلال - أول نوفمبر ١٩٢٣ - ص ١٣٧

٩٧ جمال مختار : مرجع سابق - ص ٤٤

* كان تولى بروجش منصب مساعد مدير المصلحة استثناءً سببه علاقته بالخديو اسماعيل نفسه من ناحية، بالإضافة للصداقة التى كانت تربطه أيضاً بماريبت.

لكن الضغوط التى مورست كما أوضحنا من وزارة رياض باشا ما بين عام ١٨٧٩ و ١٨٨١ أسفرت عن رضوخه جزئياً وقبوله تعيين أحمد كمال مترجماً أى فى منصب غير أثرى .. وقد صبر كمال على حاله وعلى عدم تقدير ماربيت له ولجهده حتى توفى الأخير فى يناير ١٨٨١ وتولى ماسبرو خلفاً له فاختلف الحال.

منذ اللحظة الأولى التى وطأت فيها قدما ماربيت أرض مصر أبدى تقديراً واضحاً لجهد وإخلاص وعلم أحمد كمال .. وبدا كما لو كان يحاول تعويضه سنين التجاهل وعدم التقدير التى لقيها على يد سلفه ماربيت. فبدأ بعد شهر واحد فقط من توليه المنصب فى إسناد المهام وطلب المكافآت التشجيعية لأحمد كمال من مجلس النظار .. بل وزيادة راتبه أيضاً نتيجة الجهد والمهام الإضافية التى كان يسندها له ـ كما أوضحنا ـ كما أشاد فى المحافل العلمية بمعارفه الواسعة ونشاطه مثل ذلك الخطاب الذى ألقاه ماسبرو فى الجمعيه العلمية [٩٨]. لكن اقتصر ذلك التقدير عند حدوده الأدبية والمادية فقط .. حيث لم يسعَ ماسبرو لترقية أحمد كمال ربما لنفس السبب الذى خشيه ماربيت .. ولم يتولَّ كمال منصب الأمين المساعد للمتحف إلا عام ١٨٩١ فى عهد جريبو كما ذكرنا .

لكن تحول ذلك التقدير الجزئى لكمال و همته و حماسه الواضح – للأسف الشديد – إلى عداء سافر تجسد فى موقف (دى مورجان) خليفة جريبو منه .. والذى عمد و هو مدير المتحف إلى تجاهل الأمين المساعد الوطنى، وبقى نحو سنة كاملة لايخاطبه بكلمة واحدة .. بل وسعى جاهداً للتخلص منه[٩٩] !! لكن لا تشير المصادر المتاحة إلى سر هذا العداء .. هل هى الغيرة من ذلك المصرى المجتهد الذى وصل لقمة نشاطه العلمى والبحثى فى التنقيب والنشر ؟ أم أنها النظرة العنصرية المتعالية على المصريين ؟ .. لا شئ مؤكد !

إنما الملفت هو ذلك الصبر و الجلد اللذان تميز بهما كمال دائماً فى مواجهة الشدائد والمحن .. فلا هو ضج من سوء المعاملة، أو انسحب من الميدان مؤثراً الانزواء .. لكنه واصل ببسالة وإصرار دون أن تفتر عزيمته أو يتراجع حماسه لسبب بسيط جداً .. إن المعنىّ هنا بالأمر هو حضارة مصر وتراثها الخالد الدائم لأبنائها أمام أى عرض زائل .. سواء كان أجنبياً محتلاً أو مسئولاً متعجرفاً قادته الأقدار لكرسيه المؤقت.

كانت الميزة الأساسية التى تمتع بها أحمد كمال كأثرى عن أقرانه الأوروبيين هى كونه مصرياً .. فالأثريون الأوروبيون كانوا ولازالوا دائماً فى حاجة إلى الاستعانة ببعض الوطنيين ممن يمثلون مفاتيح للتعامل مع السكان المحليين والتفاهم معهم لحل أى مشكلات قد تطرأ أثناء العمل ..

---

٩٨ أنظر : جريدة البشير البيروتية ـ ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ـ ١٩١٣م

٩٩ توفيق حبيب : مجلة الهلال ـ نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ١٣٧ ، شوقى على هيكل : الهلال ـ نوفمبر ١٩٩٣ ـ ص ٩٢

بالإضافة إلى أن أهل البلاد كانوا ينظرون - ولهم كل الحق نتيجة لخبرات الاحتلال الطويلة - لجميع الأوروبيين نظرة الشك والريبة دائماً .. فكان لابد من وجود وسيط أمين يثق فيه العامة .. ولم يتوانَ أحمد كمال عن لعب هذا الدور لصالح العمل الأثرى.

يحكى لبيب حبشى عن إحدى قصص العون هذه ، والتى نشرها جورج دارسى (Daressy) أمين المتحف المصرى فى العدد الخامس من مجلة حوليات مصلحة الآثار .. (ASAE) فقد عثر دارسى بالصدفة على جزء من باب كوارتزيت أثرى يرجع للعصر الفرعونى، كان مستعملاً وقتها كعتب لباب محل لبيع الكتب بجوار الجامع الأزهر .. لكن صاحب المحل رفض بشدة قيام دارسي بالاطلاع على الحجر أو مجرد نقل النص المكتوب عليه .. بل قام بنقل الكتلة داخل منزله ليخفيها عن أعين المتطفلين من الأجانب. لكن دارسي يبشرنا بأن الذى أنقذه من تلك الورطة هو أحمد كمال، والذى كان - والكلام لدارسى - (أسعد منى حظاً واستطاع أن ينقل كل الكلمات الظاهرة فى النص) .. وبالطبع أثنى دارسى على معاونة كمال وشكره بحرارة، لأنه بدون مساعدته ماتمكن من نشره مع ملاحظة أن هذا الحجر لم نتوصل إلى مكانه لليوم [100].

لهذا .. ولقدرة أحمد كمال فى التعامل مع أهل وطنه بما كان يتمتع به من بساطة وحجة قوية واحترام فقد رأى ماسبرو أن يستخدم تلك الصفات ...

فعندما أراد الوصول إلى مصدر البرديات والآثار التى ملأت أسواق أوروبا بدا بوضوح أنها تسربت من الأقصر ، فذهب أحمد كمال بصحبة إميل بروجش فى يوليو من عام ١٨٨١ إلى هناك بهدف مفاجأة اللصوص فى فصل الصيف الذين ما كانوا يتوقعوا فيه قدوم رجال الآثار. فتمكن أحمد كمال وزميله من الوصول إلى مكان ما عرف (بخبيئة الدير البحرى) بالقرب من شيخ عبد القرنة بالأقصر والتى ظل مكانها سراً لسنين طويلة [101] .

لكن أحمد كمال من ناحية أخرى قد حرص على التواصل الفكرى والحضارى مع علماء أوروبا .. ليس فقط من خلال احتكاكه بهم فى مصر ، لكنه سافر أيضاً إلى بلادهم مرات عديدة، زار خلالها العديد من متاحفها للوقوف على أحدث ما وصلت إليه أساليب العرض المتحفى، كما حضر بعض المؤتمرات العلمية الأثرية .. كما أنه أيضاً وتقديراً وعرفاناً لفضل شامبليون قد حرص على المشاركة فى الاحتفال بالعيد المئوى لنجاح شامبليون فى فك رموز الهيروغليفية والذى أقيم فى باريس عام

---

١٠٠ لبيب حبشى : عن ندوة (إحياء ذكرى أحمد باشا كمال) - الجمعيه المصرية للدراسات التاريخية - تسجيل صوتى غير منشور. مع ملاحظة أن التنافس المهنى بينهما كان قوياً، خاصة أن ماسبرو لاحقاً قد رقى دارسى متخطياً كمال كما ذكرنا.

١٠١ د. حسن كمال: المقتطف - ديسمبر ١٩٣٥ ص٧٩

١٩٢٢ - أى قبل وفاة كمال بعام واحد - وهى الرحلة التى رافقه فيها تلميذه سليم حسن[١٠٢].

كذلك حرص الأثريون الأوروبيون المعاصرون له على الاستشهاد أحياناً بآرائه العلمية وخاصة تلك التى تربط بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة العربية .. فقد عرف عنه بلاغته ودقة تحليله لتلك العلاقات اللغوية بين العربية والهيروغليفية والتى يصعب عليهم التوصل إليها .. فهاهو مثلا (واليس بدج) يورد رأى كمال فى الربط اللغوى بين بعض آلهة وأصنام الجزيرة العربية القديمة مثل: (مناة) و (العزى) وغيرهما .. وبين الآلهة المصرية القديمة مثل (منيت) ، و واجيت أو (وازيت) [١٠٣].

لكن يبقى الموقف الرافض لطبع قاموس أحمد كمال الهيروغليفى هو الأسوأ والأكثر صراحة والأشد تجسيداً وتعبيراً عن الموقف الأوروبى إجمالاً من فكر وتوجه أحمد كمال ومحاولته الربط ما بين الحضارة العربية والمصرية القديمة من خلال مفردات لغتيهما .. وهو التوجه الذى يأباه الاحتلال وتهابه العقلية الأوروبية وتخشاه حتى اليوم .. فهم يرون البون شاسعاً بين «العرب الأجلاف» المحتلين لمصر منذ الفتح الإسلامى، وبين الحضارة المصرية القديمة المتفردة بمعزل عمن حولها من حضارات أخرى (متخلفة) دون أى رابط أو علاقة - كما حاولوا دوماً أن يروجوا - ولهذا قصة أخرى سنفصلها لاحقاً.

وأخيراً نورد واقعة هامة ذات مغزى حدثت لحفيدة أحمد باشا كمال منذ بضع سنوات .. ولنستمع للقصة على لسان صاحبتها هالة سلام : (ذهبت الى إنجلترا فى سبتمبر من عام ١٩٩٥ للمشاركة فى فعاليات مؤتمر المصريات الذى عقد هناك .. وكنت قد قرأت كتاب :

(Who was who in Egyptology) لمؤلفه (Morris Bierbrier) وهو أثرى كندى مشهور وكان يشغل وقتها منصب رئيس قسم الآثار المصرية بالمتحف البريطانى. كنت أود تصحيح معلومة وردت فى الكتاب تتعلق بتاريخ وفاة جدى محمود حمزة - والذى كان متزوجاً من صغرى بنات أحمد كمال - حيث ذكر أنه توفى عام ١٩٨٠ والصحيح هو عام ١٩٧٦ .. لذا نصحتني باتريشيا سبنسر Patricia Spencer بمقابلته وهو ما حدث بالفعل.. ويا لعجب ما رأيت وما سمعت .. فقد فوجئت به - والكلام لازال لحفيدة أحمد كمال - قد أبدى اهتماماً ملحوظاً بى وبصلتى الأسرية بأحمد كمال وبمحمود حمزة، ثم أخرج تخطيطاً تفصيلياً دقيقاً لشجرة عائلتى، أمطرنى بعدها بوابل من الأسئلة عن الأسماء الناقصة لديه فى الأجيال التى تلت أحمد كمال ..!! كل ذلك وسط دهشة بالغة منى لم أستطع كتمانها، بل ووجدت معه ملفاً كاملاً عن حمزة وقت أن كان يدرس المصريات فى ليفربول، ولم يعطنى إجابة شافية عن مصدره لبعض المعلومات حتى التى أوردها فى كتابه والتى لا يعرفها الكثيرون مثل زواج حمزة من ابنة كمال !) .. وانتهى كلام الحفيدة .. ولا تعليق.

١٠٢ مجلة المجمع العلمى العربى : مرجع سابق - ص ٣٠٢ ؛ د. يونان لبيب رزق : جريدة الأهرام - ٢٣ ديسمبر ١٩٩٩

١٠٣ E.A.W.BUDGE, THE GODS OF THE EGYPTIANS, VOL. II, NEW YORK , 1969, pp. 289 f.

نظرة المصريين لكمال بين الإعجاب والإحتقار !!

يبدو أن مجمل موقف المصريين من أحمد كمال وخصوصاً المعاصرين له ينبع أساساً من موقفهم من الآثار المصرية عموماً .. فلقد لحق كمال ما لحقته آثار مصر من تجريح واستهزاء على يد أعدائها، بينما نال من الإعجاب والاحترام ما نالته من محبيها ودعاتها .. لكن يبدو أن الغلبة كانت عموماً للاتجاه الأول.

يلخص (ريد) قصة كفاح كمال طيلة حياته سواء فى مواجهة الأجانب أو بين المصريين بقوله: «لقد كافح أحمد كمال بلا كلل من أجل أن يؤسس علماً للمصريات مصرى الهوية ومن أجل إقناع أهل بلاده بأهميته» [١٠٤].

لكن يبدو أن دعوة كمال لم تلقَ الحماس الكافى بين بنى جلدته، واقتصر تأثيره على بعض النخبة من الطبقات المثقفة والمهمومين بنهضة بلادهم من كبوتها .. فوجدوا فى توجهه ضالتهم المنشودة . ومع ذلك فبعض أفراد طبقة الصفوة لم يكتفوا بإبداء عدم الحماس .. بل وصل الأمر لحد الاستهزاء والهجوم سواء على كمال ودعوته، أو على الآثار جميعها والمشتغلين بها عموماً .. وهو ما جسده موقف محمد المويلحى فى كتابه الشهير (حديث عيسى بن هشام). كان المويلحى قد نفى لفترة من الزمان خارج مصر بسبب مساندته لثورة عرابى. وعند عودته أسس بالاشتراك مع والده إبراهيم المويلحى جريدة (مصباح الشرق) والتى حملت وجهات نظره الناقدة للأوضاع والمطالبة بتغييرها بما فيها التعامل مع الآثار [١٠٥].

يقول المويلحى فى (حديث عيسى بن هشام) - الذى صدر عام ١٩٠٥ - مهاجماً الآثار المصرية ومتبرئاً من الانتماء إليها، بل ومستهزئاً بمعرفة كمال بالهيروغليفية دون أن يذكره صراحة : (ولو أنك عرضت أهل مصر على هذه الآثار واحداً واحداً لما استفادوا منها شيئاً، ولا أفادوك عنها شيئاً، ولما وجدوا لها قيمة تذكر سوى النزر اليسير من المقلدين للغربيين. ولن تجد بين عشرة الملايين

---

١٠٤ D.M.Reid, Whose Pharaohs?, AUC Press, Cairo, 2002, p.173

١٠٥ Idid, 207

اليوم سوى شخص واحد يفقه لغة الهيروغليف أعنى لغة آبائهم وأجدادهم كما يزعم الزاعمون، مع كثرة الخبيرين بها من الأمم الغربية، والله أعلم بمقدار علمه بها. ولو تمنيت الأمانى لقلت عسى الله أن يخفف بقيمتها الغالية بعض ما على الحكومة المصرية من أثقال الديون وما على المصريين من أعباء الضرائب والمكوس . ويا ليت المصريين يخرجون عنها لا عليهم ولا لهم، فإنها تكلف الأمة المصرية نفقات على البحث عنها فى خفايا الأرض وجمعها والتحفظ عليها ونقلها من أماكنها إلى المتحف، وناهيك بنفقات المتحف التى أنفقتها الحكومة أولاً على متحف بولاق وثانياً على متحف الجيزة وما تنفقه ثالثاً على المتحف الجديد بقصر النيل فإنها تعد بالملايين) [١٠٦] .

لكن يجب علينا ألا نأخذ تماماً على كلمات المويلحى .. فله ولأمثاله كل العذر .. فلم يفهم المصريون وقتها سر الاهتمام المفاجئ بالآثار التى بقيت مهملة بين ظهرانيهم لآلاف السنين، إلا باعتبار أنه اهتمام يساير اهتمام الأوروبيين بها وربما يخدم مصالحهم. ولم يفهموا السر فى تلك النفقات الباهظة دون أى عائد يذكر، بينما تئن البلاد تحت وطأة الفقر والجهل وصندوق الدين وغيرهم .. و هى رؤية لا تزال بقاياها قائمة لليوم.

ولم يتوقف المويلحى عند هذا الحد فبعد زيارة له لأهرام الجيزة رأى أنها دليل رائع على حضارة مصر القديمة، لكن رأى فيها فى نفس الوقت رموزاً للاستعباد والطغيان، وأماكن ملائمة للهو مع (راقصة فاسقة)، وكذلك مصدر للدخل لمجموعة من البدو الذين يعيشون على سلب أموال السائحين. كما خرج بانطباعات شبيهة بعد زيارته للمتحف الذى رأى أن آثاره أشبه ببقايا بالية يستحسن بيعها للسائحين [١٠٧] .. وهو على ما يبدو قد تأثر فى هذا برأى أستاذه الزعيم عرابى الذى كان قد ارتأى بيع آثار المتحف لتسديد ديون مصر [١٠٨] .

رغم أن إحصائيات إصدارات الكتب التى تعالج موضوع «مصر القديمة» كانت فى تزايد نسبى بدأ بكتابين خلال سبعينات القرن التاسع عشر، ثم ٣ فى الثمانينات وصلت لستة فى التسعينات، ثم ارتفعت بعدها لعشرين كتاباً ما بين أعوام ١٩٠٠ ـ ١٩١٤، إلا أن الاهتمام بالموضوع لم يزل بعد وقتها محدوداً .. فدليل المتحف المصرى الذى ألفه «ماسبرو» عام ١٩٠٣ وترجمه للعربية أحمد كمال خير برهان .. ففى عام ١٩١٥ كان الدليل فى طبعته الرابعة باللغة الفرنسية والخامسة بالانجليزية بينما كان لا يزال فى طبعته الأولى العربية [١٠٩] . هذا رغم أن (جريبو) و(بيدكر) يشهدان

١٠٦ جمال مختار: مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ مجلد ١٢ ـ ١٩٦٤/٦٥ ـ ص ٥٥

١٠٧ Reid, Op. cit., p 208

١٠٨ الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٥

١٠٩ Ibid, pp. 202, 210

بإقبال المصريين على زيارة المتحف، لكن للأسف يبدو أن سبب الزيارة لم يكن ثقافياً بالأساس، لأن (ماسبرو) لاحظ تدفق المصريين فى الصيف خصوصاً لزيارة المتحف بهدف «حك الأجساد بالآثار» باعتقاد قدرتها على شفاء أمراض عديدة مما جعله يلغى الدخول المجانى فى الصيف ويفرض رسماً قدره قرش صاغ[١١٠].



الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى

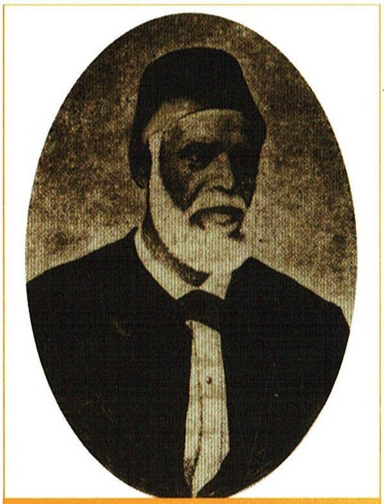
لكن يقف رغم كل هذا مأن بين كل المصريين شخاص شوامخ قدروا للآثار والتراث حق قدرهما وأدركوا أهمية درسها وحمايتها من أجل صالح الوطن .. ويأتى على رأسهم جميعاً الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١- ١٨٧٣) و على باشا مبارك (١٨٢٤- ١٨٩٣).

يقول (ريد) :

« كان مبارك كالطهطاوى .. فقد آمن كلاهما بأن مصر القديمة هى مهد حضارة العالم قديماً وحديثا، وأن الاعتزاز بها عنصر أساسى فى تدعيم النهضة الوطنية الحديثة للبلاد » [١١١].

يقول الطهطاوى فى كتابه (أنوار توفيق الجليل) متحسراً:

(وعلى تلك الأحجار يوجد نص فى معبد قديم، حيث لا يوجد مصرى يعرف كيف يقرؤه، رغم أن بعض الأوروبيين فى هذا القرن قد حلوا ألغازه إلى حد ما). فبالإضافة لتوليه مهمة أول محاولة لتجميع آثار مصر بناء على قرار محمد على عام ١٨٣٥ كما أسلفنا، فقد ألف الطهطاوى كتاب (تاريخ مصر) والذى طبعت منه ٥٠٠ نسخة عام ١٨٦٥ فى مطبعة بولاق لطلبة المدارس[١١٢] .. كما صدر له فى نفس العام كتاب (أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل) الذى تناول فيه تاريخ مصر الفرعونى واليونانى الرومانى والبيزنطى حتى الفتح الإسلامى[١١٣] .



على باشا مبارك

أما على باشا مبارك الذى شغل وقتها منصب وزير المعارف، فقد كان وراء تأسيس مدرسة اللسان القديم عام ١٨٦٩م. حيث عرض على بروجش عقداً مدته ٥ سنوات لإدارتها[١١٤] .. وهو نفسه الذى كان وراء تعيين خريجى المدرسة فى جهات مختلفة بعد أن رفض ماريت إلحاقهم بالمتحف كما ذكرنا، كما لعب أيضاً دوراً غير مباشر فى تعيين كمال للعمل بالمتحف لأول مرة. هذا بالإضافة إلى أنه قد جمعت بين الطهطاوى ومبارك وبروجش مجلة (روضة المدارس)

---

١١٠ Ibid, pp.202; G.Maspero, Rapports sur la marche du service des antiquités de 1899 à 1910. Cairo, 1912, ix-x

١١١ Reid, Op. cit., pp.180 f.

١١٢ Ibid, p.112

١١٣ عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٢ - ص ٤٦٣

١١٤ Reid, Op. cit, p.116

التى كانت توزع مجاناً على التلاميذ وقام بتحريرها نخبة من العلماء فى كافة مجالات العلم الحديث[١١٥].

رغم أن مجهودات هؤلاء الرواد لم تلق القبول الشعبى الواسع لأسباب عديدة، فإن دعوتهم التنويرية الأثرية قد لقيت على الأقل قبولاً لدى الكثيرين من المثقفين والمستنيرين من المصريين .. والذين بدورهم تبنوها ودعوا إليها .. مما كان السبب فى اتساع جماهيريتها بما كان لهؤلاء من قبول ومصداقية عند طبقات عريضة من الناس .

يقول جمال الدين الأفغانى والملقب (بباعث نهضة الشرق) فى معرض حديثه عن الكرامة الوطنية والاعتزاز بأمجاد السلف: (أنظروا إلى أهرام مصر، ومعابد منف، وبقايا طيبة وسيوة وقلعة دمياط.. جميعها تشهد بعزة آبائكم وقدرة أجدادكم)[١١٦] .

كما انتقد الوطنيون المصريون تعمد سلطات الاحتلال الإنجليزى تجاهل تدريس التاريخ المصرى القديم فى المدارس خشية أن تبث فيهم روح الكرامة الوطنية والمطالبة بالاستقلال، وذلك مثل ما أعلنه صراحة الكاتب والصحفى سلامة موسى بعد أن زار أوروبا وانبهر باهتمامهم بتاريخ مصر القديم مقابل جهله هو شخصياً به، وذلك «بسبب أنظمة التعليم المتحيزة فى مصر[١١٧]» .. وهذا نفسه كان رأى الزعيم الثائر مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطنى الذى اعتبر مصر أول دولة عظمى متحضرة فى التاريخ، و كذلك لطفى السيد من حزب الأمة المنافس له[١١٨] .

لهذا فقد أخذت الدعوة إلى الاعتزاز بتاريخ مصر القديم ـ فى أوساط القلة من المثقفين والمتعلمين على الأقل ـ طابعاً وطنياً لاستنهاض الهمم ومحاولة لبعث الثقة فى النفس لتأكيد القدرة على مواجهة العدو البريطانى المحتل .. لهذا فلم يكتفِ القراء بكتابات المتخصصين فقط أمثال أحمد كمال وزميله أحمد نجيب، لكن لقيت أيضاً كتابات آخرين من غير المتخصصين القبول وخاصة فى الفترة التى تلت الاحتلال الإنجليزى .. فقد كتب أحمد حسن كتاباً بعنوان (لب عن التاريخ العام) حتى الفتح الإسلامى لمصر نشر بالقاهرة فى عام ١٨٨٨، وكتب حسين زكى (تاريخ الأمم الشرقية القديم) ونشر بالقاهرة عام ١٨٩٢ [١١٩] .

لكن مع ذلك يبقى لأحمد كمال فضل السبق فى تأليف أول كتاب متخصص باللغة العربية

---

١١٥ الرافعى : عصر محمد على ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤٨

١١٦ رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ـ القاهرة ـ ١٩٣١ ـ ص ص ٤٦ ـ ٤٧

١١٧ Reid, Op. cit., p. 210

١١٨ Ibid, loc. cit.

١١٩ يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة ـ القاهرة ـ ١٩٢٨ ـ ٣٨٢ ، ٧٧٠

عن تاريخ مصر القديم وهو (العقد الثمين فى محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين) والصادر فى بولاق عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) [١٢٠] ، والذى كان باكورة الأعمال التى لفتت الانتباه إلى هذا التيار (التاريخي) فى مواجهة عهد الاحتلال الوليد .

يقول جورجى زيدان عن هذا الكتاب : « هو أول كتاب نشر فى العربية فى تاريخ قدماء المصريين » [١٢١] . وهو فى الواقع سجل لحضارة وتاريخ وجغرافية وأدب مصر القديمة .. فيشرح فيه كمال فائدة التاريخ، ثم يصف النيل وأسماءه القديمة وفروعه، ثم يتحدث عن أصل المصريين وحدود مصر وأسمائها القديمة، ثم تقسيمها قديماً وحديثاً، وتصنيف العائلات (الأسرات) المصرية .. ثم يختم أخيراً بذكر اجتهادات الأوروبيين فى حل رموز اللغة البربائية * وذكر بعض حروفها، ووعد بطبع أجرومية الهيروغليفية. وقد جاء فى كلمات التقريظ والمدح المتضمنة فى الكتاب للأديب عبد الهادى الإبيارى وأحمد نجيب ومحمد الحسينى ما يشير لدهشتهم الكبيرة وانبهارهم بأخبار وعلوم كانت وقتها مستحدثة تماماً على ذهن القارئ العربى، باعتبارها كشفاً فكرياً مذهلاً .. وقد امتدت تلك الحالة من الدهشة والانبهار التى تسببها كتابات كمال لغرابة موضوعها إلى القرن العشرين ..

بل إنها قد أثرت فى فكر وتوجه واحد من علامات الفكر العربى فى القرن العشرين وهو عميد الأدب العربى طه حسين الأزهرى النشأة.

يتحدث عميد الأدب العربى عن بداياته الفكرية الأولى وكيف أنه « بهت » حين سمع لأول مرة أسماء(رمسيس) و (إخناتون) من الأستاذ أحمد كمال فى غرفة من غرف الجامعة المصرية وهو يتحدث عن الحضارة المصرية القديمة، ويحاول أن يشرح لطلابه مذهبه فى الصلة بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية ومنها اللغة العربية .. والفتى طه حسين ذاهل حين يسمع كل ذلك العلم، وهو أعظم دهشة وذهولاً حين يلاحظ أنه يفهم كل ذلك ويستسيغه فى غير مشقة ولا جهد .. ويضيف د. عبد الرشيد مؤلف الكتاب أن طه حسين بهذا الافتتان قد وجد منفذاً للتحرر من قيود الدراسة الأزهرية التقليدية الجامدة، وهو ما قاده لاحقاً لإعداد دكتوراه عن (أبى العلاء) والتى رسمت شخصيته الفكرية بعد ذلك طيلة حياته [١٢٢] .

بالإضافة لمؤلفاته باللغة العربية والتى وصل عددها إلى ثمانية كتب ومحاضراته فى الجامعة

---

١٢٠ يوسف سركيس: المرجع السابق - ٣٩٧

١٢١ الهلال ١٥ /٧/١٨٩٥ : ص ٨٦٤ ؛ شوقى على هيكل : أول عربى يعشق تاريخ الفراعنة - الهلال - نوفمبر - ١٩٩٣ - ص ٩٤

* هى الهيروغليفية وكانت تسمى بذلك لكثرة وجودها فى المعابد (أى البرابى: ومفردها بربا) المصرية.

١٢٢ د. عبد الرشيد الصادق المحمودى: طه حسين: الكتابات الأولى - دار الشروق - القاهرة - ٢٠٠٢ ؛
قام أحمد كمال بالتدريس فى الجامعة المصرية ما بين عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ بتزكية على الأرجح من ماسبرو الذى كان عضواً فى مجلس إدارتها

المصرية، فقد حاضر كمال أيضاً فى نادى المدارس العليا ـ أى ما يماثل حالياً : رابطة خريجى الجامعات ـ والذى وصل عدد أعضائه عام ١٩٠٩ إلى ٧٧٤ عضواً .. كان كمال دائم التأكيد فى محاضراته على أن الحضارات العظيمة تدين جميعها للمصريين وحضارتهم القديمة [١٢٣] .. وهو الاتجاه الذى قد لقى فى الغالب صدى واسعاً خاصة فى تلك الأوساط من المتعلمين رفيعى الثقافة.

يعتبر سيد باشا خشبة من الشخصيات المصرية النادرة التى تركت بصمتها على مجال الآثار المصرية رغم عدم تخصصه فيها. فقد كان على علاقة وطيدة بأحمد كمال، وتأثر به وبغيرته على تراث بلاده .. مما دفعه لأن يبدى موقفاً وطنياً رائعاً يحسب له، بل ويمثل قدوة حسنة للأجيال المتعاقبة من رجال الأعمال المصريين الذى تقتصر نظرتهم فى الغالب لآثار بلادهم على اعتبارها كنزاً ثميناً تجتنى من ورائه الأموال الطائلة لا أكثر.

كان سيد باشا خشبة من كبار تجار وأعيان أسيوط المشهورين، وتمكن من الحصول على تصريح من ماسبرو ولجنة الآثار المصرية بالحفر بالقرب من أسيوط [١٢٤] .. شمل هذا التصريح مساحة واسعة على ضفتى النيل امتدت ما بين ديروط ودير الجندية أى من باويط فى الشمال وحتى الغنايم. وتتضمن هذه المساحة مناطق «مير» و«قصير العمارنة» الشهيرتين. وقد كانت الحفائر فى هذه المنطقة متقطعة واستمرت ما بين أعوام ١٩١٠ و ١٩١٤م وشاركه فى النفقات المدعو محمد سعودى [١٢٥] .

لكن المثير فى الأمر أن أحمد كمال استطاع أن يقنع خشبة باشا بالتبرع بنصيبه من ناتج الحفائر رغم حقه القانونى وقتها فى الاحتفاظ به وبيعه .. بل وأكثر من ذلك، فبعد أن ذهب جزء من الناتج إلى المتحف المصرى بالقاهرة ،وافق خشبة بتشجيع من كمال على أن يكون نصيبه نواة لمتحف أسيوط الإقليمى . كما زود أيضاً متحفى طنطا - الذى أسس عام ١٩١٣ – والمنيا بما استخرجه من حفائره فى أسيوط ..

لكن للأسف الشديد تبددت مجموعة سيد خشبة وبيعت لعدد من متاحف العالم بعد وفاة أحمد كمال كما ألغيت رخصة الحفر الممنوحة له [١٢٦] !. وقد أشاد به لاحقاً سليم حسن ـ تلميذ أحمد كمال ـ

---

١٢٣ Reid, op. Cit., pp. 203f.

١٢٤ Blackman, Meir I, p.16; Maspero, Rapports sur la marche du service des antiquités de 1899 à 1910, le Caire, 1912, pp. 3-5; D. Abou- Ghazi, ASAE 64, 1981, p.3, notes: 1,3;Reid, Op. cit., p. 204

١٢٥ D.A. Ghazi, Op. cit, p.3

١٢٦ عبد العزيز صادق: ندوة إحياء ذكرى أحمد كمال ـ غير منشورة ـ القاهرة ـ ١٩٧٧؛ Reid, Op. cit, pp.204, 211

PUBLIC WORKS MINISTRY.

ADMINISTRATIVE SERVICE.

Telegraphic Address: "ASHGAL."

CODE USED, A.B.C., 5TH EDITION.

No. 55 21/1

Enclosures 1

Cairo, 22 JUIL 1913 191

Object: Rapport d'Ahmed Bey Kamal sur les fouilles qu'il a surveillées à Meir pour Ahmed Bey Khashaba.

Monsieur le Président,

Par lettre No.55.21/1 en date du 15 Mai écoulé, j'ai eu l'honneur de soumettre à Votre Excellence, aux fins d'approbation par le Conseil des Ministres avant sa publication dans les Annales du Service des Antiquités, un rapport rédigé par Ahmed Bey Kamal, conservateur au Musée, sur les fouilles qu'il a surveillées à Meir pour Ahmed Bey Khashaba.

Avec Sa lettre No.223 du 19 Juin écoulé, Votre Excellence a bien voulu retourner à ce Ministère, les parties de son Rapport Annuel sur l'année 1912 y compris le rapport susvisé, en lui demandant de se conformer, en ce qui les concerne, aux termes de la lettre-circulaire de la Présidence du Conseil des Ministres en date du 19 Juin 1913, No.218.

Comme le rapport en question d'Ahmed Bey Kamal, que je retourne ci-joint à Votre Excellence, ne fait pas partie intégrante du Rapport Annuel de ce Ministère sur l'année 1912, mais doit au contraire, faire l'objet d'une publication à part dans les Annales du Service des Antiquités, je Lui serai très obligé de vouloir bien le soumettre à part à l'appréciation du Consei des Ministres et me le retourner revêtu de son approbation au cas où il en autoriserait la publication.

Veuillez agréer, Monsieur le Président, l'assurance de ma très haute considération.

تقرير أحمد بك كمال عن حفائر (مير) الخاصة بأحمد بك خشبة (٢٢ يوليو ١٩١٣)

فى إحدى مقالاته بالأهرام ودعا الله أن « يهدى أغنياءنا وعظماءنا إلى الالتفات إلى آثار أجدادهم والاهتمام بها حتى تصل إلى مستوى الأجنبى الذى يهتم بتلك الآثار » [١٢٧]، والغريب أن سليم حسن تجاهل ذكر كمال الذى كان وراء إذكاء تلك الروح عند خشبة باشا !!

لم يكتفِ أحمد كمال بنشر الكتب والمقالات العلمية، ولا بإلقاء المحاضرات فى القاعات المغلقة ... فإحساسه المتنامى بأهمية دوره التنويرى فى حث المصريين على الاهتمام بآثارهم جعله لا يترك وسيلة إلا وطرقها .. فقد عمد كمال إلى نشر المقالات المبسطة فى الصحف والمجلات الأكثر انتشاراً فى مصر والشام .. فضمن بذلك جمهوراً أرحب وشيوعاً أكبر لأفكاره وآرائه التى كرس لها حياته. فنشر المقالات فى المقتطف والهلال والمنار والعمران ومجلة الآثار اللبنانية ومجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ومجلة المجمع العلمى المصرى والجمعية الجغرافية الخديوية ومجلة العمران المصرية، بالإضافة للمقطم والأهرام واللواء المصرى والوطن وغيرها من المطبوعات الشعبية والمتخصصة.

واصل كمال نشر دعوته حتى أيامه الأخيرة رغم تخطيه السبعين عاماً، فنشر مقالاً على سبيل المثال فى الأهرام فى فبراير من عام ١٩٢٣ (أى قبل وفاته بستة أشهر) حث فيه مديرى المديريات (أى: المحافظين) على إنشاء المتاحف ودور الكتب فى مختلف أنحاء مصر (حتى لا يحرم أهلها فى هذا العصر الزاهر اقتباس العلوم والصناعات، ولاسيما آثار أجدادهم.. التى تدلهم الدلالة الحقيقية على تمدين البلاد ورقيها فى العصر القديم) .. بل وحث فى نفس المقال المتحف المصرى العام على (أن يورد الآثار التى لا تفيده والتى يبيعها للأجانب فى قاعة المبيعات بأبخس الأثمان) [١٢٨] .. مما ينم عن سخطه على بيع الآثار.

وفى الحقيقة فقد نجح أحمد كمال بمساعدة ماسبرو فى حمل الحكومة على إنشاء المتاحف الإقليمية فى أسوان وأسيوط والمنيا وطنطا، وكان أمله أن تعم جميع عواصم المديريات، بل وأن يكون الحفر والتنقيب بواسطة مصريين أساساً وأن يتولى المفتشون المصريون المتخرجون من مدرسته مرافقة مفتشى المصلحة من الأجانب [١٢٩] .

تمتع أحمد كمال بشخصية كاريزمية جذابة من نوع خاص .. فقد تميز بسعة علمه وتنوع مصادر ثقافته بالإضافة لحماسة البالغ لبلده ولآثارها. كل ذلك جعله مثار إعجاب جميع من اقتربوا منه وعرفوه، وخاصة من طبقة المثقفين الوطنيين الذى استشرفوا فى دعوته روحاً مبتكرة جديدة لإعلاء

١٢٧ يونان لبيب رزق: الأهرام ١٩٩٩/١٢/٢٣ - ص٧ ، والجدير بالذكر أن سيد خشبة نفسه قد نشر مقالاً فى حوليات المصلحة عن حفائره .. أنظر:
S. Khashaba, Rapport sur les fouilles au Deir el-Gabraoui, ASAE13, 1914, p. 161

١٢٨ الهلال - نوفمبر - ١٩٢٣ - ص ص ١٣٩ والتى تليها؛ جمال مختار: مجلة الجمعية التاريخية - مجلد ١٢ - ١٩٦٥/٦٤ - ص ٥٤

١٢٩ المقتطف - نوفمبر - ١٩٢٣ - ص ٢٧٦

راية الكرامة الوطنية وشحذ الهمم ضد الظلم والاحتلال.

كان اللقاء الأول لبشارة تقلا مدير تحرير الأهرام بأحمد كمال حدثاً تاريخياً هاماً .. فقد تم يوم فى ٢ يونيو من عام ١٨٨٦ وكان فاتحة لسلسلة هامة من المقالات (للأديب البارع أحمد كمال سكرتير الأنتيكخانة الخديوية) كما كانت تصفه الأهرام.

كانت مناسبة اللقاء الأول - كما ذكرت الأهرام - زيارة قام بها (الجناب العالى بموكبه الحافل إلى مقر الأنتكخانة فى بولاق .. لحضور نشر اللفائف عن جسد رمسيس الثانى ملك مصر العظيم والفاتح العظيم الذى ملك قسماً عظيماً من الأرض) .. ويصف تقلا هذه المقابلة بقوله: « لقد سرنى أن وجدت حضرة أحمد افندى كمال سكرتير الموسيو ماسبرو مدير دار التحف شاباً أديباً متمكناً من هذا الفن وقد ألف مؤخراً تاريخ رمسيس الثانى وعرضه على دولتو رئيس النظار فشكره ومدح غيرته * ..

ويشير يونان رزق إلى أن ما لم يقله مدير تحرير الأهرام أنه قد تم الاتفاق على استضافة الجريدة لمقالات كمـال [١٣٠].

فبدءاً من العدد ٢٥٤١ من الأهرام الصادر فى يوم الجمعة ١٨٨٦/٦/١١م الموافق ٩ رمضان ١٣٠٣هـ بدأت الجريدة فى نشر سلسلة من مقالات كمال الأثرية وصل عددها إلى ١٢ مقالة. و لنقرأ تفاصيل هذا الحدث المثير الهام على لسان أحمد كمال فى مقال نشره بالأهرام فى نفس الشهر، حيث يقول عن مومياء رمسيس الثانى التى كان قد عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى:

« وللوقوف على حالة هذا الملك الشهير أمر جناب الخديو المعظم بكشف جثته لإظهارها والوقوف على هيئتها وعلى ما يكون مكتوباً فوق الكفن ** فشرف جنابه المتحف يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ شعبان سنة ١٣٠٣ هـ وكان بمعية دولتلو أحمد باشا مختار ودولتلو نوبار باشا وأصحاب السعادة خيرى باشا وعبد الرحمن باشا رشدى وعبد القادر باشا ومصطفى باشا فهمى وجناب السير درومندولف وسالم باشا سالم وجناب قونصل دولة الروسية الجنرال وحضرة مدير جريدتكم وغيرهم من الأعيان. فشرع المسيو ماسبرو مدير المتحف ووكيله إميل بك بروكش فى حل لفائف المومياء فوجد على بعض تلك اللفائف كتابة وصور معبودات ثم وجدت ساقا الموميا ملتفتين بأربطة وعصابات محكمة من لفائف الكفن وظل جناب المدير يحل هذه اللفائف والجميع يراعونه حتى ظهر لهم وجه رمسيس الثانى حليق اللحية كما كانت عادتهم وله شنب قصير جداً أصلع الرأس من الأمام ولكن فى الخلف منه شعراً وخطهُ

---

* الغريب أنه لم يصدر أى كتاب لأحمد كمال عن رمسيس الثانى، ولم يعرف مصير مخطوطته هذه أو سبب عدم طبعه !!

١٣٠ يونان لبيب رزق: الأهرام ١٩٩٤/٦/٣٠ - ص٥

** قد يكون من المفيد هنا أن يتذكر القارئ الكريم ما سبق تفصيله من تحفظ الخديو الأسبق إسماعيل على عرض المومياوات بالمتحف.. بل وحرصه على عدم دخوله والاكتفاء بانتظار ضيوفه عند عتبة احتراماً لقدسية الموتى .. هذا بالطبع عكس موقف الخديو توفيق هنا تماماً.

الشيب لا يتجاوز القفا أما وجهه فمسترسل ويُرى منه كبر السن ولا ريب فى ذلك إذ ثبت من الآثار أنه حكم نيفاً وسبعاً وستين سنة خلا مدة شبيبته التى لا تنقص البتة عن عشرين سنة فعمره إذن سبع وثمانون سنة حتى قيل إنه فى آخر مدته كف بصره واعتراه الصم لكبر سنه أما يداه فقد ألفيتا على صدره وهو ربعة فى القوام...» ..

ثم يستمر فى وصف تفاصيل فك لفائف المومياء الأخرى التى وجدت فى تابوت الملكة نفرتارى.

لم يكن ذلك الحدث هو الاحتكاك الأول ولا الأخير بين كمال وأفراد هذه الطبقة من أهل الحل والعقد، فقد سبق كما ذكرنا تدخل رياض باشا رئيس مجلس النظار قبيل الاحتلال الإنجليزى لمصر لتعيين كمال فى المتحف بإيعاز من وزير الأشغال وقتها على باشا مبارك. كما استغل أحمد كمال قبوله وحظوته لدى المسئولين من أجل دعم فكرة التوسع فى تدريس الآثار المصرية لأهل البلاد لتخريج صف ثانٍ قادر على تحمل مسئولية آثار بلاده بدلاً من انفراد الأجانب بها .. فسعى عام ١٩١٠ لدى حشمت باشا وزير المعارف لتتبنى الحكومة تعليم (اللسان المصرى القديم) لبعض الطلبة حتى كلل سعيه مؤقتاً بالنجاح. وفى عام ١٩٢١ أتيحت له فرصة لقاء الملك فؤاد فانتهزها أيضاً كمال، لا لتحقيق مأرب شخصى ولكن ليبين له عدم وجود أثريين مصريين بالمتحف منذ إحالته للتقاعد عام ١٩١٤، فأمر الملك فى الحال بتعيين ثلاثة مصريين بالمتحف لدرس علم الآثار .. ولم يتقدم للوظيفة سوى محمود أفندى حمزة وسليم أفندى حسن .. و لم يلبثوا أن أرسلتهم الحكومة المصرية لأوروبا ليستكملوا دراساتهم. كما سعى كمال أيضاً عام ١٩٢٣ لدى وزارة المعارف لإنشاء مدرسة عالية لتعليم اللسان المصرى القديم [١٣١]، والتى لم تفتتح إلا عام ١٩٢٤ بعد وفاته بشهور.

كما حرص أحمد كمال على أن يشارك فى الحياة الثقافية العامة .. فسعى إلى الإنضمام لعدد من الجمعيات العلمية التى تضم نخبة المثقفين المصريين والأوروبيين، واعتبرها منابر إضافية لنشر دعوته الأثرية .. سواء بإلقاء المحاضرات على أعضائها أو بالكتابة فى مجلاتها الدورية.

يعتبر المجمع العلمى المصرى [١٣٢] The Institut égyptien واحداً من أهم تلك التجمعات الثقافية والتى مثل الأوروبيون فيها أغلبية الأعضاء .. لهذا فقد حقق انتخاب كمال لعضوية

---

١٣١ المقتطف: نوفمبر - ١٩٢٣ - ص ص ٢٧٤ وما بعدها

١٣٢ هو الهيئة العلمية التى أنشأها المحتل نابليون فى مصر عام ١٧٩٨ وألغى بعد جلائه، ثم أعيد إنشاؤه عام ١٨٥٩ بالإسكندرية قبل أن ينتقل للقاهرة ويصبح اسمه (مجلس المعارف المصرى) - الطريف أن بعض الكتابات قد خلطت بين الإسمين واعتبرتهما هيئتين مختلفتين - ، وهو قائم اليوم بشارع الشيخ ريحان بميدان التحرير لكن دون فعالية ثقافية حقيقية حتى صار أشبه بمتحف كتب قديمة .. أنظر: عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية - الجزء الأول - القاهرة - ص ١١٨ - ط١ ؛ نفس المؤلف: عصر إسماعيل - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ٢٤٤؛
Reid, Op. cit., p.96

١٣٣ Ibid, p.190

هذه الجمعية عام ١٩٠٤ شهرة له خارج حدود مصر فى الأوساط الثقافية الأوروبية [١٣٣] خاصة بعد أن نشر العديد من المقالات فى مجلتها. كما كان كمال عضواً أيضاً فى الجمعية الجغرافية الخديوية [١٣٤]، التى كان وكيلها محمود باشا الفلكى عاشق الآثار، وأول من وضع خريطة طبوغرافية لمدينة الإسكندرية القديمة وآثارها أسفل المدينة الحديثة، وكذلك أول من حدد أهم معالم آثارها الغارقة على السواحل.. وقد كتب كمال أيضاً عدة مقالات فى مجلتها العلمية.

كان كمال عضواً أيضاً بالمجمع اللغوى الذى أسسه نفر من المهتمين بقضايا اللغة العربية عام ١٨٩٢ [١٣٥] وكذلك عضو شرف المعهد العلمى العربى بالشام [١٣٦] (الذى هو نفسه المجمع الدمشقى)، وهو الجهة الوحيدة التى أقامت حفلاً كبيراً لتأبينه بعد وفاته .. هذا بالإضافة لعضويته بجمعية الرابطة الشرقية [١٣٧] .

حصل أحمد كمال - تقديراً لمجهوداته فى مجال الآثار - على وسام (نيشان) عثمانى من الدرجة الرابعة ثم الثالثة، و كذلك النيشان المجيدى من الدرجة الثالثة .. هذا غير حصوله على نوط (ميدالية) المجمع العلمى المصرى، و الرتبة الثانية المتمايزة مع لقب (بك) .. وقبيل وفاته (أى بعد تقاعده بسنوات) حصل على رتبة «ميرميران» (أى : الباشوية) [١٣٨] .

---

١٣٤ أسسها الخديو إسماعيل عام ١٨٧٥ لنشر المباحث الجغرافية والعناية بها بهدف أن ترعى طموحاته فى إقامة إمبراطورية إفريقية أنظر: الرافعى : عصر إسماعيل - مرجع سابق - جـ١ - ص ٢٤٧؛

D.M. Reid, Whose pharaohs?, AUC press, Cairo, 2002, P.96

١٣٥ جمال مختار: مرجع سابق - ص٤٥

١٣٦ المقتطف : نوفمبر-١٩٢٣- ص٢٧٧

١٣٧ مجلة المجمع العلمى العربى: المجلد الثالث - ١٩٢٣ - ص ٣٠٢

١٣٨ المرجع السابق: نفس الموضع؛ جمال مختار: مرجع سابق - ص٤٥

سر تجاهل المصريين لذكراه (الأثرى المنبوذ)!

رغم ذلك التكريم الرسمى الذى لقيه كمال فى حياته، وبالإضافة لبعض التقدير والاستحسان لمجهوداته من نفر قليل من صفوة المثقفين، فإن كمال قد سيطر عليه فيما يبدو شعور بالجحود واللامبالاة من عامة الجمهور المصرى تجاهه ـ بالإضافة بالطبع لمشاعر العداء الأجنبية ناحيته ـ .. فقد أفنى عمره يقاتل فى عدة جبهات بلا كلل لتحقيق هدف واحد أساسى هو (تمصير علم المصريات)، وإتاحة الفرصة لقطاعات عريضة من أهل بلده لدراسته والعمل بحقل الآثار، ومحاولاته الدؤوبة لخلق رأى عام شعبى يتبنى هذه القضية ويدافع عنها. لكنه فى أواخر حياته استشعر علي ما يبدو عدم جدوى ما يدعو إليه، أو على الأقل محدودية صدى مجهوداته عند المصريين .. فكتب آخر مقالاته التى نشرها قبيل وفاته بتوقيع (الأثرى المنبوذ) [١٣٩]. وكما لو كان يتنبأ أيضاً بالمستقبل .. فقد ظل منبوذاً هو وذكراه طيلة ما يقرب من ٨٠ عاماً منذ وفاته وحتى اليوم .

لقد دأب الأثريون المصريون من الأجيال المتعاقبة فى الغالب على الافتخار بانتمائهم للمدرسة الأثرية الألمانية أو الفرنسية أو غيرهما.. ولم يكفوا ـ سواء فى كتاباتهم (القليلة) أو فى محاضراتهم التى يلقونها ـ عن الاستشهاد بآراء أساتذتهم الأوروبيين فى المناسبات المختلفة .. فاستشهدوا بآراء (إرمان) و (بتري) وغيرهما من الأثريين الأوروبيين من جيل أحمد كمال بينما تجاهلوه هو ومقالاته وآراءه ومنهجه الفكرى الفريد الذى استشهد به حتى الأوروبيون أنفسهم مثل بدچ وغيره (كما ذكرنا)!!! ولا يمكن إيجاد تبرير مقنع لهذا سوى أنه نوع من (احتقار الذات) الممزوج (بالانبهار الساذج) بكل ما هو أوروبى، خاصة إذا ما انسحب هذا التجاهل ليس على كمال وحده، لكنه امتد ليشمل غالبية الرواد المصريين من أعلام الآثار المصرية .. ولا أريد أن أزيد في هذا لأن القلب ملؤه المرارة والحزن على مدرسة مصرية (مزعومة) للمصريات لن توجد ولو بعد حين .

عندما توفى (الأثرى المنبوذ) أحمد كمال، لم ينعه فى مصر سوى المجمع العلمى المصرى (الذى غالبية أعضائه من الأجانب) وذلك فى حفل قصير مقتضب اقتصر على كلمات مختصرة من بعض

---

١٣٩ مجلة المجمع العلمى العربى: مرجع سابق ـ ص٣٠٧

١٤٠ V.M.Mosséri: Éloge funèbre de Ahmed Kamal pacha, in: Bid'É VI, le Caire, 1924, pp. 171 f.

أعضائه الذين ارتبطوا به شخصياً[١٤٠] .. كما لم تنعه مجلة مصلحة الآثار بكلمة واحدة - عكس ما اعتادت عليه من أن تفرد صفحاتها لنعى كل أثرى أجنبى - ، بينما نعته مجلة واحدة فقط من بين عشرات المجلات العلمية وهى مجلة الآثار المصرية البريطانية (JEA)، وبكلمات قليلة لم تزد عن بضعة أسطر[١٤١] .. وهو أيضاً ما لفت نظر صديقه عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة الآثار اللبنانية الذى تساءل متعجباً فى مرارة : (لم يكافأ حتى الآن بنشر سيرته وقد مرّ على وفاته نحو شهرين ونصف ! ولا بتثبيت نية وزارة المعارف على طبع معجمه وتجديد مدرسة اللغات ولا بنصب أثر تذكارى تخليداً لإسمه المحبوب .. ولا برثائه بقصائد. ولا بإقامة حفلات تأبينية له. مع إقامة مثل ذلك لمن هو دونه بمراحل فى العلم والفضل)[١٤٢] .

ورغم أن مجلة هيئة الآثار (مصلحة الآثار سابقاً) قد أصدرت بعد وفاته بحوالى ٦٠ عاماً كتاباً تذكارياً بإسم أحمد كمال تضمن مقالاً عنه من خمس صفحات فقط ، فإن ما ذكرته د. ضياء أبو غازى فى ذلك المقال من حوالى عشرين عاماً من أن كتاباً كاملا عن حياة و أعمال كمال سيصدر قريباً[١٤٣] لم يتحقق لليوم !!.

لكن الاحتفال الأهم و الأكبر لتأبين كمال بعد وفاته أقيم للأسف الشديد فى دمشق فى مقر المجمع العلمى العربى عام ١٩٢٣ بينما لم يقم أى نظير له فى مصر. يظهر وصف ذلك الحفل حجم الاهتمام والتقدير لشخصية هذا الرجل فى أوساط المثقفين الشوام، و قد كانت وقائعه كالتالى: ففى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الجمعة التاسع عشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) غصت ردهة المجمع بالمدعوين والمستمعين من الأدباء والعلماء والوجهاء لتأبين العلامة الأثرى اللغوى أحد أعضائه المراسلين فى القطر المصرى .. وكان فى صدر الردهة رسم الفقيد مكبراً ملوناً رسمته ريشة المصور المتفنن الشهير توفيق بك طارق .. منقولاً عن آخر رسم له .. وبعد كلمات التأبين ختمت الحفلة بآيات قرآنية كريمة تلاها شيخ القراء فى الشام عبد الله المنجّد وأعقبها تجويد الأستاذ عبد الوهاب بك العفيفى المصرى لآيات أخرى كريمة ختمها بشكر المجمع والسوريين لعنايتهم بتمجيد مصرى عظيم وثنائهم على المصريين ونهضتهم..[١٤٤] .

أما الحدث الثانى خلال الثمانين عاماً التى انقضت منذ وفاة احمد كمال فهو (ندوة إحياء ذكرى المؤرخ أحمد كمال باشا) التى أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

---

١٤١ جمال مختار: مرجع سابق : ص٥٦ ؛ JEA 9(Oct.1923), pp. 241 f.

١٤٢ مجلة المجمع العلمى العربى: مرجع سابق - ص٣٠٧

١٤٣ ASAE 64 , 1981, pp 1 - 5

١٤٤ مجلة المجمع العلمى العربى: مرجع سابق - ص ص ٢٩٤ والتى تليها

بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، و التى أقيمت فى مقر الجمعية بالقاهرة فى المدة من ١٠ إلى ١٢ ديسمبر من عام ١٩٧٧ - أى منذ ٢٥ عاماً بالكمال والتمام - [١٤٥] مع ملاحظة أن لفيفاً من أبرز رجالات الآثار والتاريخ وقتها قد شاركوا فيها. بدأت الندوة بكلمة المجلس التى ألقاها أ.د. باهور لبيب، تلاه أ.د. إبراهيم نصحى رئيس الجمعية وعضو المجلس، ثم بحث مقدم من أ.د. أحمد عزت عبد الكريم بعنوان (المعالم الأولى للدراسات الإيجبتولوجية فى مصر: من محمد رفاعة الطهطاوى لأحمد كمال) ألقاه نيابة عنه لمرضه د. محمد عبد الرؤوف سليم. ثم بحث لكمال الملاخ بعنوان (أحمد كمال رائداً)، ثم بحث للدكتور لبيب حبشى بعنوان (مآثر غير معروفة لأحمد كمال فى علم الآثار).

وفى اليوم الثانى ألقى أ.د. عبد العزيز صالح عميد كلية الآثار بجامعة القاهرة وقتها بحثاً بعنوان (أحمد كمال ومدينة الشمس) ، تلاه بحث د. عبد العزيز صادق بعنوان (أحمد كمال من خلال حفائره)، ثم بحث للأستاذ يوسف حنا بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية بعنوان (أحمد كمال والآثار اليونانية الرومانية). وفى اليوم الثالث قدم أ.د. منير مجلّى بحثاً بعنوان «أحمد كمال واللغة المصرية القديمة»، تلاه بحث للدكتور الشاب عبد الحليم نور الدين بعنوان «أحمد كمال والنصوص الديموطيقية» .. وأخيراً كلمة الختام للأستاذ الدكتور جمال مختار نائب رئيس الجمعية وعضو المجلس الأعلى.

ورغم أهمية ذلك الحدث .. ورغم أنه قد حمل ضمناً قدراً من الوفاء - المتأخر نسبيا - لهذا الرجل العظيم وذكراه .. إلا أن تلك الندوة ذهبت - كسابق أى محاولات بذلت لتكريمه - أدراج الرياح .. فلا أبحاثها قد نشرت فى مجلة الجمعية، ولا استشعر بما جاء فيها من كلمات ثناء وتقدير لمجهودات كمال أى أثرى أو باحث، و لم تنفذ سوى توصية ثانوية واحدة من عشرات التوصيات التى طرحت وذهبت فى طىّ النسيان !

لكن مع ذلك يمكن استعراض بعض من أهم تعليقات الباحثين فى تلك الندوة:

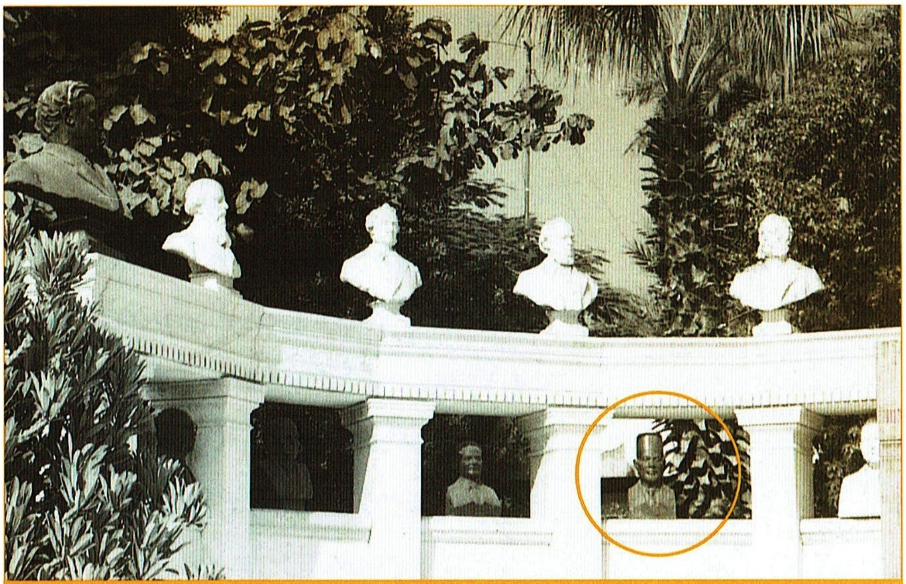
١- قال أ.د. إبراهيم نصحى : (لقد أزال كمال عن جبيننا عورة التخلف عن الأجانب الذين سبقونا فى هذا المضمار).

٢- أما رأى أ.د. عبد العزيز صالح فى كمال وفكره فقد جاء متضمناً بعض التقدير والاستحسان، لكنه عدّد فى نفس الوقت ما أسماه «هنّات» وقع فيها كمال .. فجاء فى كلمته:

إن كمال (لم يجد تناقضاً بين دعوة المصرية التى تحمس لها ودعوة العروبة التى تحمس لها أقرانه أمثال محمد عبده وغيره، وهو ما دفعه لإبراز الطابع السامى فى المصرية القديمة وخاصة

---

١٤٥ حصلت على تسجيل صوتى كامل للندوة من المهندسة منى البارودى حفيدة أحمد باشا كمال والتى حضرت وقائعها


تماثيل العلماء الأوروبيين فى "الأعلى" و من الرخام .. و العلماء المصريين "بأسفل" و بخامات رديئة

العربية فنجح حيناً واشتط حيناً) .. ويضيف د. عبد العزيز صالح : (لابد من المقارنة بين المميزات والأخطاء، فيجب أن نتذكر أن التاريخ لا يكتفى بالمحاسن وحدها وإلا كان شأنه شأن حفلات التأبين التى تقول (أذكروا محاسن موتاكم).. لهذا نضع هنا النقاط فوق الحروف عند التعرض لكتابات كمال وما تميزت به وما فاتها ولا أقوال ما أخطأت فيه. فلا يستطيع أحد منا أن يبلغ الكمال، فالخطأ والصواب نسبى .. ثم يضيف د. صالح (أن أحمد كمال استشعر أنه من الرواد الوطنيين فى تخصصه، فرواد الحركات الفكرية منذ القرن ١٩ شغلتهم روح مشتركة من معالمها : الحماس الوطنى المتقد، والمثابرة على الإطلاع، ومحاولة الأخذ بروح البحث فى الغرب، والاقتباس والترجمة عنها حين الضرورة، والموسوعية فى الإنتاج لملء الفراغ القائم فى دنيا الثقافة و المعرفة، مع شعورهم أنهم يعملون فى أرض بكر كل ما يخرج منها جديد وعجيب .. وإزاء هذه المقاصد غالباً ما تغتفر لهم الهنّات التى وقعوا فيها نتيجة إقبالهم على الترجمة والتجميع والعرض السريع وقلة التدقيق .. لكن يكفيهم أنهم بدأوا وفتحوا لغيرهم أبواباً كانت شبه مغلقة).


تمثال كمال النصفى بالمتحف المصرى

إنتهت كلمات د.عبد العزيز صالح، والتى تحمل نقداً ضمنياً حاداً لأحمد كمال وإنتاجه الغزير ومنهجه ومدرسته الفكرية .. وهو نقد يبدو أنه يتضمن تحاملاً غير مفهوم [١٤٦]. لأن المنهج التاريخى ذاته الذى استشهد به د. صالح كان يستوجب الحكم على أعمال وفكر كمال بمقاييس عصره المنصرم، وليس بمقاييس زماننا ومناهجه فى البحث العلمى التى لو طبقت بدقة لأخرجت الكثيرين من مظلة البحث الدقيق والأمانة العلمية.

١٤٦ ذكرت لى المهندسة منى البارودى حفيدة أحمد كمال والتى حضرت الندوة أن د. عبد العزيز صالح قد رفض بحزم بصفته عميداً لكلية الآثار اقتراحاً بإطلاق اسم كمال على أحد مدرجات الكلية!



حارة ضيقة تحمل إسم أحمد كمال



حارة ضيقة تحمل إسم أحمد كمال

تضمنت تلك الندوة عدداً من التوصيات منها :

-إقتراح من كمال الملاخ بنقش إسم كمال على واجهة المتحف المصرى ضمن أهم علماء المصريات .

-إقتراح من لبيب حبشى بإنشاء جائزة بإسمه تقدم للطالب الأول على دفعته كل عام.

-إقتراح من عبد العزيز صادق بجمع مخطوطات أحمد كمال وتصنيفها وتحقيقها.

-إقتراحات من حازم عطية الله - فى رسالة بعثها للندوة - بإطلاق أسمه على أحد الشوارع المؤدية للمتحف المصرى تأسياً بشامبليون وماربيت، كما اقترح طبع قاموس كمال.

-طالبت د. ضياء أبو غازى المديرة العامة لمتحف القاهرة وقتها بطبع قاموس كمال فى هيئة الكتاب كما هو دون تعديل، لأن قاموس بدج مثلاً لا يزال يطبع ويوزع، فطبعه سيكون تأكيداً لسبق مصر فى هذا المجال مع تميز منهجه، و طالبت د. ضياء بتصويره وطبعه لأن مراجعته علمياً هو قرار بتأجيله لقرون أخرى.

-إلا أن الإقتراح الوحيد الذى نفذ بعد بضع سنين من عقد تلك الندوة هو الذى تقدم به كمال الملاخ و د. حازم عطية الله و من قبلهما عام ١٩٦٤ د.جمال مختار بضرورة إقامة تمثال لأحمد كمال يوضع ضمن تماثيل علماء المصريات فى حديقة المتحف المصرى عند ضريح ماربيت.

و فى زيارة قام بها الباحث للمتحف المصرى وبتفحص التمثال، وجد على جانبه الأيمن توقيع النحات (الفقي) وعام الصنع (١٩٨٢).. فقط لا غير.. وهو فى الحقيقة تمثال متواضع جداً .. سواء من ناحية تنفيذ الملامح التى بدت بلا روح ولا معنى .. أو حتى من ناحية رداءة الخامة المستخدمة.

تصف د. سمية حسن التمثال فتقول: هو تمثال نصفى فى حديقة المتحف المصرى. يبدو فيه كمال بملابس أفرنجية ببدلة وقميص وكرافت ويعلو رأسه طربوش. أما ملامح الوجه فعملت بوضع مواجهة وهو ذو شارب ولحية [١٤٧] .. ولا نعرف ظروف تنفيذ هذا التمثال أو وضعه فى مكانه.

وهكذا .. و بعد أكثر من نصف قرن قضاها هذا الرائد العظيم أبو الأثريين المصريين مدافعاً عن آثار بلاده، لم ينل من التقدير أو الوفاء له سوى تمثال متواضع لا يزيد طوله عن نصف المتر بالإضافة لحارة شعبية ضيقة فى شبرا قرب منزله أطلق عليها اسمه .. و لا تحزنون.

١٤٧ سمية حسن محمد: تماثيل الخالدين فى ميادين القاهرة والإسكندرية - القاهرة - ١٩٩٥ - ص ١٠

أخلاق كمال وتربيته لأبنائه

يوم أن مات أحمد كمال وصفته الأديبة (مي زيادة) بقولها : « كان مثالاً للكمال فى البحث العلمى والعمل العلمى والخلق العلمى، ومثله بين العلماء فى مصر قليل ».

ويقول عنه د. جمال الدين مختار (لقد جبل على الإخلاص والدقة فى العمل والجد والتفانى فى البحث، وتميز بشغفه وميله للدراسة والتحصيل) [١٤٨]. بينما يقول عنه صديقه اللبنانى عيسى اسكندر المعلوف:

(كان مثالاً للجد و الصدق والحزم والروية والإقدام والجلد والثبات والقناعة. قليل الكلام كثير البحث عن الحقائق والأسانيد صالحاً محافظاً على مذهبه محسناً تربية أسرته ومخلصاً فى خدمة وطنه ومنقطعاً إلى أبحاثه ومحققاً فى ما يكتبه ويؤلفه. نزوعاً إلى توسيع دائرة العلوم الأثرية فى قطر هو مبعث الآثار ومصدر العاديات لئلا يُعد الوطنيون مقصرين فى معرفة ما تركه لهم أسلافهم من البدائع فتحط منزلتهم فى عيون عارفيهم) .. ويضيف المعلوف فى إظهار تأثيره فيمن حوله فيقول:

(صرف حياته محرضاً الحكومة وأصدقاءه وأنسباءه على إتقان ذلك، فبرع فيها كثيرون منهم أخصهم ولده الدكتور حسن بك مؤلف كتاب الطب المصرى القديم وغيره وابن شقيقته محمد بك شعبان ونسيبه محمود افندى حمزة وهما الأميناء بالمتحف المصري) [١٤٩].

أما مجلة المنار ذات التوجه الإسلامى فقد قالت عنه فى عددها الصادر فى ١٣ أغسطس عام ١٩٢٣ أى بعد وفاته بثمانية أيام:

(لقد برأ الخالق سبحانه أحمد كمال من معدن من أشرف المعادن معدن العلم والصلاح، فكان منذ نشأته وطفولته إلى وفاته فى شيخوخته طاهراً نقياً.. كان منقطعاً للعلم، معرضاً عن اللهو واللغو، تقياً نقياً متنزهاً عن الفواحش والمنكرات، محتقراً للشهوات، محافظاً على الصلوات) .. وتسوق

---

١٤٨ جمال مختار : مرجع سابق - ص ٤٦

١٤٩ مجلة المجمع العربى : مرجع سابق - ص ص ٣٠٢ والتى تليها

(المنار) هذه الواقعة الطريفة لتدلك بها على التزامه الدينى: فقد حضر كمال فى سن الشباب حفلة رسمية فى حديقة الأزبكية فى عهد إسماعيل باشا فقدم له أحد الكبراء فيها كوباً من الماء الغازى (الغازوزة) ولم يكن يعرفها فظن بها من المسكرات فأنكر على من حاول إكرامه ونهره قائلاً: أنا.. أنا من هؤلاء؟ .. ثم تضيف المنار فى وصف تربيته لأبنائه: (لقد ربى أولاده النجباء على الدين والتقوى والجد والإقبال على العلم، فكان بيته كما قال الله تعالى « واجعلوا بيوتكم قبلة » كان كل من فيه يحافظون على الصلوات الخمس حتى الخدم من رجال ونساء، وكان رحمه الله تعالى فى درجة عالية من مكارم الأخلاق، وأحاسن الصفات والعادات، كعلماء السلف الأعلام صدقاً وأمانة وحلماً وتواضعاً. فهو من شهداء الله وحججه على خلقه) [١٥٠] .

تقول عنه مجلة المقتطف (كان وديعاً أنيس المحضر بعيداً عن الدعوى يتقد غيرة على وطنه وآثاره . جلداً على الاشتغال بها .. ولو عُمل برأيه بشأن تعليم المصريين آثار بلادهم لاستغنت مصر برجالها عن استخدام الأجانب) [١٥١] .

إن شخصية أحمد كمال وأخلاقه كانت فى اتساق تام مع فكره ومنهجه الذى يدعو إليه.. فلم تكن دعوته « للمصرية » وإعلاء قيمة الأجداد وآثارهم تعنى إطلاقاً التنصل من الثقافة العربية والتنكر للأخلاق والقيم الإسلامية.. لكنه رأى فيهما وحدة واحدة تكمل إحداهما الأخرى فى تناغم وانسجام. وهو اتجاه فريد حل إشكالية معضلة لازالت محل جدل علمى وفكرى واسع بين المثقفين، والذى يجسده ذلك الصراع بين الدعوات الشعوبية (أى الإقليمية المحلية) باعتبارها نعرات إنفصالية تدعو للتفتت والتشرذم، والدعوات القومية (أى الوحدوية التكاملية) والتى تدعو لتجاوز الفوارق والاختلافات الإقليمية العربية .. فاستطاع كمال بعبقرية أن يحل هذه الاشكالية فكراً نظرياً ومنهجاً عملياً فى نفس الوقت .. فلقى احترام الجميع من كافة التيارات.

حرص أحمد كمال على أن يستخدم منهجه الخاص فى الدفاع عن القرآن الكريم. فانطلاقاً من النتيجة التى خلص إليها باعتبار أن اللغة المصرية هى أصل اللغة العربية، فند كمال الادعاء باحتواء القرآن على ألفاظ أعجمية. فقد تناول الكلمات التى أوردها الشيخ حمزة فتح الله فى كتابه الصادر عام ١٩٠٢ باعتبارها أعجمية وأثبت أنها كلمات مصرية قديمة أى عربية - باعتبار أنهما شئ واحد - وبالتالى فهى ليست أعجمية [١٥٢] .. ورغم غرابة هذا المنهج فى تناول مصطلحات القرآن الكريم،

---

١٥٠ المنار: الجزء ٨ - المجلد ٢٤ - ١٣ أغسطس ١٩٢٣ - ص ٦٣٧ - ٣٨

١٥١ المقتطف: نوفمبر - ١٩٢٣ ص ٢٧٧

١٥٢ أنظر مقالتيه بعنوان (فى براءة القرآن الشريف عن بعض الألفاظ الأعجمية) فى : المقتطف: نوفمبر ١٩٢١ - ص ص ٤٧٢ - ٧٣ ؛ المقتطف: سبتمبر ١٩٢١ - ص ص ٢٦٣ - ٢٦٦

فلم نسمع لليوم عمن نقده أو ناقشه سواء سلباً أو إيجاباً.. وهو جدير بذلك. كما حرص أحمد كمال فى نفس الوقت على أن يغرس فى أبنائه ومن حوله حب للآثار [١٥٣]، وعندما أرسل ابنه - الذى تتلمذ على يديه فى مصر أولاً - إلى انجلترا لاستكمال دراسة الآثار فوجئ بروح عدائية غريبة تجاهه انتهت برسوبه فى العام الأول له هناك، فعمل بنصيحة أبيه وتحول لدراسة الطب التى نجح فيها بسهولة .. لكنه لم يكف طيلة حياته عن تعاطى الآثار ودراستها والكتابة فيها .

١٥٣ الطريف أن بعض نساء عائلته قد تسمين بأسماء مصرية مثل: (قدرية - نيتوكريس) أو مثل : (ماعت) و (تي) وغيرهما .

٤

مشاريع
أحمد كمال
الكبرى

مشاريع كمال الكبرى .. للإحباط أسباب أوروبية

كان لأحمد كمال هدفان رئيسيان أو فلنقل تحديان سعى لتحقيقهما بلا كلل بكافة ما أتيح له من وسائل .. فقد أراد أولاً أن يثبت للأوروبيين وخاصة الفرنسيين من علماء المصريات أن مستواه العلمى وقدراته التقنية كمصرى لا تقل عنهم بأى حال. كما أراد فى نفس الوقت أن يبشر بين أهله بقضية الآثار وأهميتها لرقى الوطن. لهذا ولتحقيق الهدف الأول فقد نشر عشرات المقالات العلمية باللغة الفرنسية (٢٩ منها فى مجلة مصلحة الآثار) فى الدوريات العلمية المتخصصة. بينما سعى لتحقيق الهدف الثانى إلى نشر وترجمة الكتب و كتابة عشرات المقالات باللغة العربية [١٥٤] .. ومع كل هذا فقد احتفظ بمنهج وبخط فكرى واضح فى غالبية كتاباته سنحاول هنا تلمسها ومعرفة دوافعها.

لاشك فى أنه توجد علاقة جدلية بين المثقف عموماً وما يحمله من أفكار وهموم وبين الثقافة والأفكار السائدة فى مجتمعه. لهذا فكان من الطبيعى أن يتأثر فكر ومنهج كمال بالمفاهيم السلبية السائدة فى عصره عن الآثار المصرية أو بتعبير إلياس الأيوبى : (تلك الهاوية التى حفرتها العقائد بين عقلية « المصريين » وعقلية أجدادهم البعيدين) [١٥٥] .. وهو ما صعب من مهمة كمال، خاصة أن تلك الهاوية اكتسبت بعداً دينياً مضللاً أضفى على العداء للآثار وللمصريات قدسية لا تمس !

لهذا كان الإمساك بذلك الخيط الرفيع الذى تبدى لكمال حلاً عبقرياً .. فالتقريب بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة المصرية القديمة كان مفتاح ذلك الحل .. وكانت فكرة تأصيل مفهوم الأواصر المشتركة بينهما - اعتماداً على التقارب اللغوى بالأساس - هى المدخل لحل شفرة هذا التناقض - الظاهرى على الأقل - فاشتعل حماس كمال فى ذلك الاتجاه .. و أخذ ينادى به ويؤكد عليه فى مقالاته وكتبه أملاً فى اكتساب أرضية أوسع من المتحمسين للآثار المصرية من المصريين.

---

١٥٤ D.M. Reid, Whose pharaohs?, AUC press, Cairo, 2002 , pp. 251 f.

١٥٥ الياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد إسماعيل - مرجع سابق - ص ٢٣٤

لكن يجب فى نفس الوقت ألا نأخذ على أحمد كمال تماديه فى تأصيل تلك العلاقة للدرجة التى أسماها د. عبد العزيز صالح (شططاً) فى التحيز للفكرة.. فرغم أن فرنسا مثلاً كانت تربة أخصب فى تقبل وتقدير تلك الحضارة (الوثنية) ، إلا أن التيار الدينى المتزمت هناك، والذى كانت أفكاره لا تزال متأثرة بآراء العصور الوسطى الظلامية، كان لا زال يتعرض بالتجريح والهجوم العنيف للحضارة المصرية القديمة (الوثنية) !!

لهذا فقد عمد ماربيت نفسه - كما لاحظ (ريد) - إلى الترويج لفكرة (وحدانية الديانة المصرية بهدف كسب الرأى العام فى فرنسا وفى مصر أيضاً [١٥٦] .. وهو نفس ما فعله الطهطاوى وحتى بروجش نفسه، والذى رأى أن بعض صفات آمون وبتاح تتطابق مع أسماء الله الحسنى فى الإسلام [١٥٧] .!!

تبنت غالبية كتابات كمال فكرة (تعريب) الآثار المصرية، أو بتعبير أدق فقد استند على القرائن الأثرية لتمصير اللغة - وبالتالى الثقافة - العربية .. وهو اتجاه يعتبر جد جرئ إذا نظر إليه فى سياقه التاريخى الزمنى. ولتأكيد هذا الاتجاه، ولأن القارئ العربى كان هو المستهدف من هذه الآراء، فقد كتب كمال معظم كتبه بالعربية، وعمد أيضاً للترجمة مثل دليل ماسبرو الخاص بالمتحف وذلك بهدف تشجيع المصريين على ارتياده.

وصلت مؤلفات أحمد كمال باللغة العربية إلى ثمانية كتب [١٥٨] ، إتضح فيها منهجه الفكرى الذى تبناه وخاصة كتابه (الفرائد البهية فى قواعد اللغة الهيروغليفية) .. وهو أول كتاب باللغة العربية فى هذا الموضوع. وقد اتبع فيه كمال منهجاً أقل ما يقال عنه أنه (ثوري) .. فقد سار فى تبويبه وتنظيمه على أسس وقواعد اللغة العربية، وليس تبعاً لأجروميات اللغات الأجنبية كما يتبع حتى اليوم. فتحدث عن أنواع الإسم (مذكر و مؤنث) وأحوال الإسم (مفرد و مثنى و جمع) وأدوات التعريف وأسماء الإشارة والضمائر وأنواع الجمل وتراكيبها.. الخ.

وعليه فقد مثل هذا الكتاب الإرهاصة الأولى فى بلورة فكر أحمد كمال بخصوص العلاقة بين المصرية القديمة واللغة العربية، و التى تجسدت لاحقاً فى عمله العملاق حجماً الأسطورى منهجاً ومصيراً .. (قاموسه الهيروغليفي).

---

١٥٦ Reid, Op.cit., p. 106

رغم أن هذه الإشكالية الخلافية لم تحسم نهائياً بعد، فإن الأرجح أنها لم تكن «وحدانيــة مطلقة» لكنها كانت أقرب ما تكون إلى « الوحدانية المشوبة» Henotheism أى: الإيمان بإله واحد لكن فى نفس الوقت مع عدم إنكار وجود آلهة أخرى لها نفوذ على أشخاص وأماكن أخرى.. أنظر: لؤى محمود سعيد: (الفكر الشعبى الدينى فى مصر القديمة - دراسة تحليلية) - رسالة ماجستير غير منشورة - تحت إشراف أ.د. عبد الحليم نور الدين - كلية الآثار - جامعة القاهرة - ١٩٩٩، وأنظر أيضاً حيث يناقش الموضوع تاريخياً بالتفصيل:

E. Hornung, Der Eine und die Vielen, Darmstadt, 1971

١٥٧ Reid, p. 117; H.Brugsch, Mein Leben und Mein Wandern, Berlin, 1894, p. 299

١٥٨ أنظر : جمال مختار: مرجع سابق - ص ص ٤٦ – ٤٩

لكن الملاحظ فى مجمل كتابات كمال حرصه الواضح على دفع الاتهامات عن الحضارة المصرية القديمة والمصريين .. مثل تفنيده الرأى الشائع وقتها بأن العبرانيين هم من أسسوا مدينة (أونو) فى المطرية، وذلك فى كتابه (ترويح النفس فى مدينة الشمس). ومقالاته العديدة فى جريدة الأهرام عام ١٨٨٦ بالذات والتى يدافع فيها عن الرعامسة عموماً وعن اتهام رمسيس الثانى بالسطو على تماثيل غيره من الملوك (مقال ١٤ يونيو) ١٨٨٦ ... وغيرها من الدفوع التى حرص كمال على تقديمها لقرائه تنقية وتنزيهاً لصفحة الحضارة المصرية.

لكن الحدث الأهم فى حياة أحمد كمال و الذى كان له أبلغ الأثر فى توجهه الفكرى هو اكتشاف نقوش بمعبد الدير البحرى. فقد اعتقد فى البداية كما يروى صديقه المعلوف - أن اللغة العربية هى أصل المصرية لما بينهما من توافق فى كثير من الصور [١٥٩] .. لكن اكتشاف نقش محفور على جدران معبد الدير البحرى بالأقصر جعله يغير فكره الأول وينقلب ١٨٠ درجة، حتى صار يعتقد بالعكس وهو أن المصرية هى أصل اللغة العربية. هذا رغم أن كانت كتاباته فى نهاية حياته كانت تشير لبعض التردد فى حسم موقفه، ولتفضيله الاكتفاء باعتبار أن الاثنين من أصل واحد مشترك لا يعلم بالتعيين أيهما الأصل .. أو من عرقين اشتبكت وشائجهما من ألوف السنين ثم افترقا وعادا فاتصلا بعد الفتح الاسلامى [١٦٠] .. ولنترك كمال يتحدث عن نفسه فى هذه الجزئية الهامة وهو يشير أيضاً لمنهجه فى تنفيذ قاموسه فيقول:

(لا يزال أصل اللغة العربية مجهولاً أى ليس فى كتبها ما يدل على المرجع الذى ترجع إليه ألفاظها. وقد وفقنى الله إلى تمهيد السبيل المؤدى إلى ذلك أى إلى إرجاع كل كلمة إلى أصلها وإلى تدوين قاموس اللغة تدويناً مؤسساً على أصول ثابتة تظهر اللغة بمظاهرها الحقيقية. والذى حملنى على ذلك ما ظهر من نقوش قديمة محفورة على جدران معبد الدير البحرى فى طيبة الغربية وإزاء (لقصر) من الغرب بناء على مقالة للمعلم نافيل نشرها فى Recueil de Travaux تدل على أن المصريين القدماء أرادوا تخليد ذكرى أصلهم فأثبتوه بالحفر على آثارهم قائلين أن أجدادهم يدعون الإعناء (جمع عنو) أى أنهم أقوام من قبائل شتى اجتمعوا فى وادى النيل وأسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية « العين البحرية » ومنها العين الجنوبية وهى أرمنت ومنها عين التى سميت بعد دندرة...).

.. ثم يواصل كمال سرده لنظريته فيؤكد أن هذه القبائل بعد أن كثرت تحرك بعضها (أعناء الحنو

١٥٩ مجلة المجمع العلمى العربى : مرجع سابق - ص ص ٣٠٤ - ٣٠٥

١٦٠ المنار: جزء ٨ - مجلد ٢٤ - أغسطس ١٩٢٣ - ص ٦٣٧، والغريب أن د. جمال حمدان قد قال بنفس الرأى فى كتابه الموسوعى (شخصية مصر)

أو اللوبيين) غرباً إلى بلاد القيروان وتونس والجزائر وسكنوا فيها، وبعضها (أعناء المنتو) هاجر لبلاد الصومال واجتاز البحر الأحمر إلى بلاد العرب وانتشر ممتداً إلى فلسطين. أما البعض الآخر (أعناء الكنوز) فهاجر جنوباً وهم أهل النوبة .. وأخيراً يشير إلى أن هذه الهجرات أدت إلى أن يبث المصريون فيها لغتهم مدة من الدهر فكانت هى لغة البلاد التى تتكلم إلى الآن بالعربية .. ثم يصل كمال للنتيجة النهائية ويقول: (اللغة المصرية أى لغة قبائل الاعناء التى سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هى أصل اللغة العربية بلا مراء بنص النقوش المذكورة) [١٦١]. وقد ترددت هذه النظرية فى محاضرات وكتابات كمال المختلفة وظل يتبناها حتى وفاته [١٦٢].

وبدون أن نعلق على هذه النظرية التى شكلت العمود الفقرى لكتابات ودراسات كمال، نحب أن نشير إلى أن مجمل الدراسات الأثرية الحديثة فى الوطن العربى تشير إلى وجود قواسم مشتركة حضارية مختلفة بين حضارات المنطقة العربية، تؤكد على الأقل بوجود أصل قديم مشترك يسبقها جميعاً (أسماه د. على فهمى خشيم فى كتابه « آلهة مصر العربية » : الأصل العروبى المشترك) وهى نتيجة تتفق مع رؤية كمال فى مجملها، لكنها تختلف معها فى صعوبة تحديد مكانياً وزمانياً مصدر هذا الأصل المشترك، والذى يصعب أن ينتسب لحضارة بعينها دون جيرانها [١٦٣].

إستخدم أحمد كمال الأثرى المحنك كل المادة الأثرية المتاحة له للتدليل على وجهة نظره .. فبالإضافة للتقارب اللغوى الذى أسهب فى الاستدلال به، فقد كتب مقالين بالعربية وبالفرنسية تحت نفس العنوان: (أصنام العرب وأصلها المصري) .. قارب فيه بين آلهة العرب مثل (مناة) و(العزى) و (اللات) وغيرها مع المعبودات المصرية (منيت) و (وازيت أو واجيت) وغيرها [١٦٤]. كما كتب مقالاً مطولاً بالفرنسية فى مجلة المعهد العلمى من أربعين صفحة عن أسماء ملوك مصر التى وردت فى المخطوطات العربية مع التعليق عليها والبحث عن أصلها [١٦٥].

ثم نشر مقالاً بالفرنسية عن أصل اشتقاق إسم Egypt المشتق أصلاً من Aiguptos واعتبرهما مشتقين من إسم مدينة Coptos (قفط) فى صعيد مصر، مخالفاً الآراء الشائعة وقتها ..

---

١٦١ المقتطف ٥٩ - سبتمبر ١٩٢١ - ص ٢٦٣؛ المقتطف ٤٤ مارس ١٩١٤ ص ٢٠٩ - ١٠

١٦٢ أنظر مقالاته فى : مجلة المنار المصرى (٢٦٦ : ١٨) وجريدتى المقطم والأهرام قبيل وفاته

١٦٣ نشرت العديد من المقالات التى تحمل مضمون (التواصل الحضارى بين حضارات الوطن العربي) وذلك فى مجلة جمعية الآثاريين العرب خلال الأعوام الماضية للعديد من الباحثين العرب.

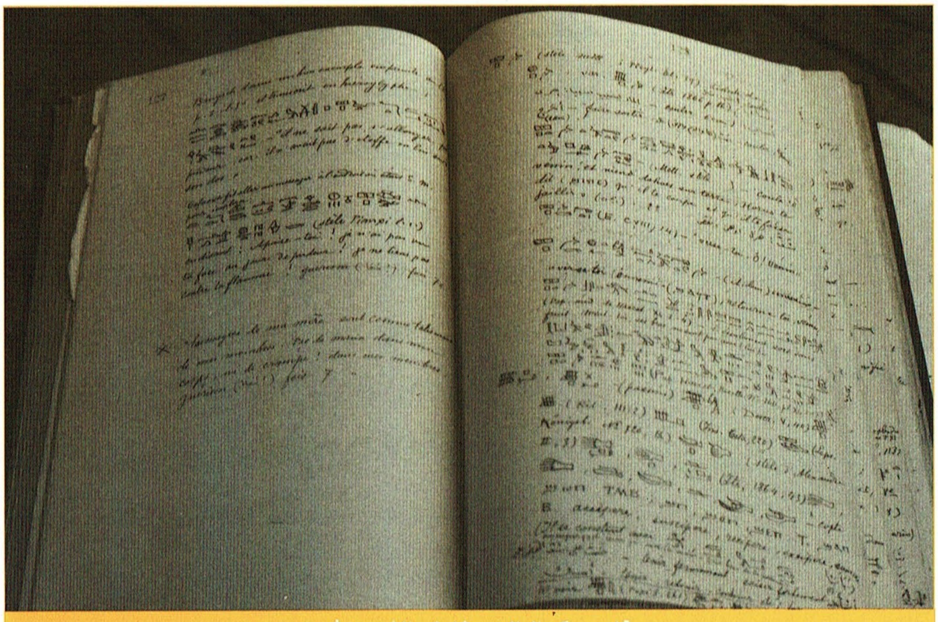
١٦٤ المقتطف: يوليو - ١٨٩٩ - ص ص ٥٠٥ - ٥١٠ ؛ وانظر أيضاً :

Ahmed Bey Kamal, Les Idoles Arabes et les Divinités Égyptiennes, Rec. Trav. 24, pp.11 ff.

١٦٥ Ahmed Kamal Bey, Note sur la rectification des nomes arabes des anciens rois d'Égypte. (S.du2 mars1903, pp. 89 - 127)

كما اعتبر أن لفظ (مصر) مشتق من جذر هيروغليفى وليس من أصل سامى أو عبرى كما هو شائع. فتسببت هذه المقالة فى أن يصب جورج دراسى جام غضبه على رأس أحمد كمال وآرائه وتوجهاته جميعاً، معبراً عن موقف الأوروبيين عموماً من المنحى الذى أخذته كتابات كمال .. فكال له النقد اللاذع والتقريع والاتهامات لدرجة أنه أخرجه من زمرة الأثريين المحترفين العالمين ببواطن المصريات [١٦٦] !! وهو الموقف الذى اعتبره (ريد) تجسيداً (للسياق الإمبريالي) المناوئ لأى فكر يحمل رؤية وطنية مستقلة، خاصة أن هذا الاتهام يأتى من الرجل الثانى فى مصلحة الآثار وقتها، كما يبدو أنه قد استغل القضية لتصفية حسابات قديمة بينهما [١٦٧].

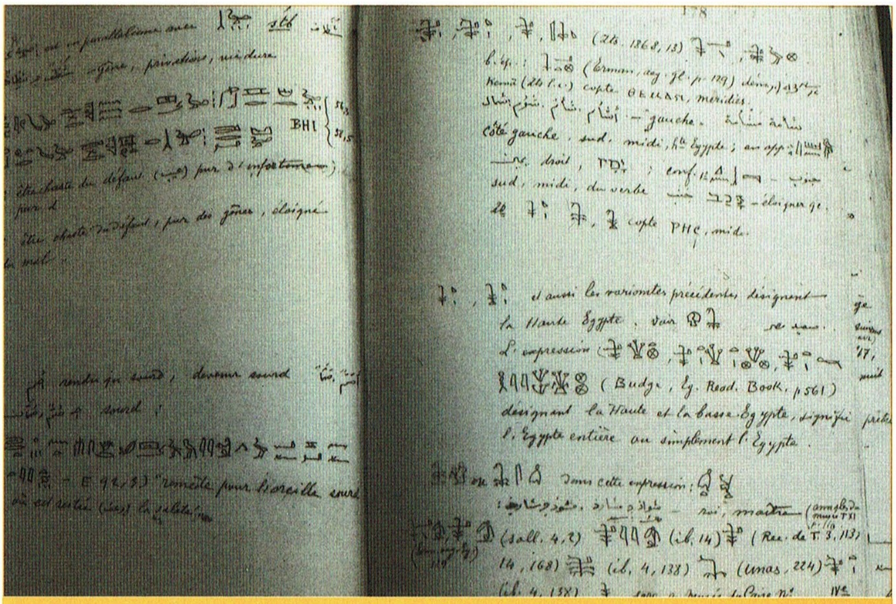
فقد اعتبر دارسى صراحة أن كمال (يرتكب خطيئة كبرى بإعطاء العلامات الهيروغليفية مكافئاً من الحروف العربية، وتغيير ترتيبها حسب الحاجة) أى القلب والإبدال الذى تتميز به العربية والذى اعتمده كمال للتقريب مع الكلمات المصرية .. و إتهم كمال بأنه يتجاهل السياق التاريخى للكلمات الهيروغليفية، كما أنه يبالغ فى إبراز التأثير السامى بما فيهم العرب على مصر القديمة. لكن كمال المقاتل العنيد لم يستسلم .. وانبرى يدافع عن آرائه وعن القائمة الطويلة التى أوردها من الكلمات العربية والمشتقة من المصرية ثم أكد فى وضوح و جرأة (أن المصرية هى اللغة الأم للعربية وبالتالى للعبرية). فكانت هذه المنازلة (علمية المظهر) تمثل على ما يبدو تعبيراً لما يضمره الأوروبيون تجاهه، والذى سيتبلور فى الموقف العدائى السافر من قاموسه فيما بعد.


قاموس كمال الهيروغليفى الغير منشور

اهتم أحمد كمال كثيراً بالمخطوطات العربية وبالاطلاع على كتابات المؤخرين العرب بشأن الآثار المصرية .. و حاول التقريب بين ما جاء فيها وما يقول

١٦٦ A. Kamal, Le procédé graphique chez les anciens égyptiens, l'origine du mot Égypte, les noms géographiqués désignat cette contrée et ses habitants primitifs. (Avec critique et réponse). (s. du 1er mai 1916 et 28 mai 1917). BIÉ, 5e sér., t.X, fasc. 1 , 1916, pp. 133-176;5e sér., t. XI, fasc. 2, 1918, pp. 422 f.; 5e sér., t. XI, fasc. 1, 1917, pp. 325-38; 5e sér. t. XI, fasc. 2, 1918, pp.422-23; 5e sér., t.X, fasc.2, 1916, pp. 359-68

١٦٧ Reid, Op. cit., p.212



المقارنات بين العربية و المصرية القديمة فى مخطوط القاموس

به صحيح علم المصريات. و مثال ذلك اسم (الريان بن الوليد) فرعون مصر الذى كان فى أيام يوسف الصديق كما تقول المصادر العربية .. فقد قرأ كمال اسمه فى آثار تل بسطة « نراوس » فخالفه بعض الأثريين و وافق آخرون، وقد استشهد فى استدلاله بخطط المقريزى التى تقول أن اسم (الريان) فى لفظ القبط هو «نرواس » [168].

فكانت الكتابات الأثرية عند كمال وسيلته لتأكيد الانتماء للهوية العربية عن طريق ربطها بالمصرية القديمة وتذويب الفوارق بينهما، كما كانت سبيلاً وطنياً لبث روح العزة والكرامة فى النفوس عن طريق إبراز أمجاد الأجداد وعظمة حضارتهم.. وكان فى نفس الوقت يتأسى على تدهور الأحوال وما آلت إليه أحوال البلاد من تدهور وانحطاط .. فيقول مثلاً فى مقدمة كتابه (بغية الطالبين) مسفراً عن دوافعه لكتابة هذه المؤلفات:

(إليكم أيها الشبان ويا ذوى العرفان وبنى الأوطان .. لتقفوا على بعض ما كان ببلادكم فى عهد أجدادكم الذين رفعوا المتعلم أعلى منار .. فكانت والله مصر فى أيامهم كعروس تُجلى و آيات فضلها تتلى إلى أن تناوبتها الشئون و تناولتها يد الدهر الخؤون و أخنت عليها الأيام و عليها حام بنو سام وحام.. فانقلبت حكمتها جهلاً وعزتها ذلاً ودارت عليها الدوائر.. وبقيت علومها منقوشة على الأحجار المنبوذة فى القفار ثم جهل الأمة ما كان من أمرها وضاع العلم من صدرها) [169].

---

١٦٨ مجلة المجمع العلمى العربى : مرجع سابق ص ٣٠٣؛ الأثر الجليل : لأحمد بك نجيب ـ مصلحة الآثار المصرية ـ ص ص ١٥٢، ٢٦٦، ٢٨٦

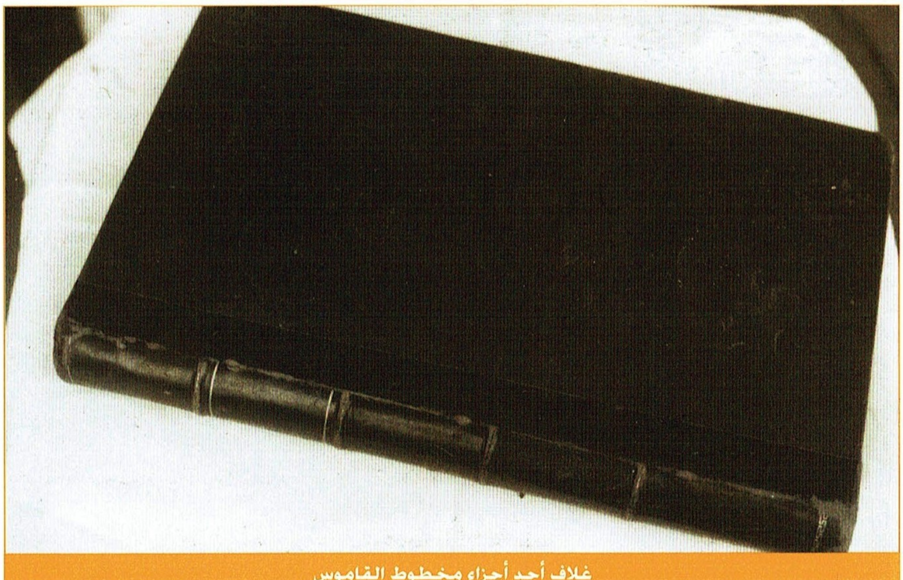
١٦٩ أحمد كمال : بغية الطالبين فى علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين ـ مطبعة مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ببولاق ـ القاهرة ـ ١٣٠٩هـ ـ ص ص ٢ والتى تليها

سر لعنة القاموس

تعتبر حكاية هذا القاموس حدثاً فريداً هو الأغرب من نوعه فى تاريخ البحث العلمى، ليس فى مصر وحدها بل ربما فى العالم أجمع .. قصة تصادمت فيها روح العلم والدأب فى البحث والدوافع الوطنية القومية مع الاستبداد الاستعمارى والغيرة العلمية والانحياز الأعمى ذى الأبعاد السياسية، و التى وقفت ضد هذا القاموس وطبعه وقفة لا يجب أن ننساها أبداً.

يقول أحمد كمال فى محاضرة ألقاها عام ١٩١٤ فى مدرسة المعلمين الناصرية ملخصاً منهجه العلمى وتمرده على الأسلوب الأوروبى فى التعامل مع الحضارة المصرية القديمة ولغتها:

(إعلموا ايها السادة أن كثرة مطالعتى فى اللغة المصرية القديمة منذ كنت فى الثامنة عشر* من عمرى إلى أن بلغت الستين مهدت لى سبل الوصول إلى اكتشاف غريب مفيد ألا وهو أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد وهو لغة الإعناء إن لم تكونا لغة واحدة افترقتا بما دخلهما من القلب والإبدال** كما حصل فى كل اللغات القديمة وكنت قبل الآن أدرس اللغة المصرية على الأسلوب الذى تلقيته من أستاذى هنرى باشا بركش فى مدرسة خاصة على نفقة الحكومة ولبثت مقتفياً مناهجه كغيرى من الأثريين إلى قبل الآن بثمانى سنوات. وفى أثناء ذلك كنت أرى للألفاظ العربية مثيلاً فى اللغة المصرية القديمة وكنت أدونها شيئاً فشيئاً حتى كثرت) [170].



غلاف أحد أجزاء مخطوط القاموس

كان علماء المصريات قد لاحظوا منذ أواسط القرن التاسع عشر أن قواعد اللغة المصرية القديمة بها الكثير

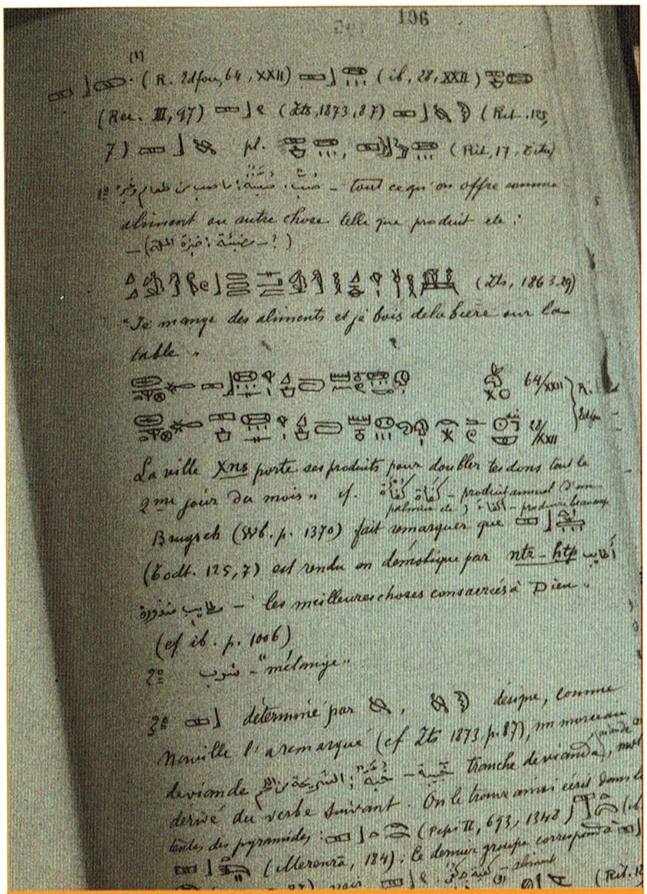
---

* إذا كان قد التحق بمدرسة اللسان المصرى عام ١٨٦٩ كما ذكرنا، فبحسبة بسيطة يتأكد لنا أنه قد ولد عام ١٨٥١ م كما أثبتنا قبلاً ثم التحق بالمدرسة فى سن ١٨عاماً كما يذكر هو هنا .

** المقصود به هو تبديل فى مواضع الأحرف مع احتفاظ الكلمات بمعانيها الأصلية.

١٧٠ المقتطف ٤٤ – مارس ١٩١٤ – ص ٢٠٩؛ إذا كانت هذه المحاضرة قد ألقيت عام ١٩١٤، فيمكننا أن نستنتج أن كمال قد بدأ العمل فى قاموسه تقريباً منذ عام ١٩٠٦ (أى قبل ٨ سنوات كما ذكر هو)

من خصائص ومظاهر ما يُعرف باللغات السامية سواء من ناحية البنية والاشتقاقات أو من ناحية الأجرومية أو حتى من ناحية تشابه الألفاظ بينهما .. وهو ميدان متسع مترامى الأطراف لا يقدر على خوضه سوى عليم باللغة المصرية واللغات السامية وبخاصة العربية مثل أحمد كمال .. فكان لها [١٧١] .



مخطوط القاموس بالهيروغليفية و الفرنسية و العربية

كان على كمال أن يخط لنفسه منهجاً جديداً قُدر له أن يخالف به الآراء السائدة فى عصره .. ولأن الرواد هم من تقتفى خطاهم لا من يتبعون آراء غيرهم، فقد تميز كمال بهذه الروح (التمردية) الرافضة للتقليد، والتى أدت به فى النهاية إلى أن يختط لنفسه ولغيره من بعده طريقاً وفكراً وأسلوباً فريداً نابعاً من ذاته العربية وثقافته المصرية الإسلامية. فبقدر ما أبدع فيه بقدر ما جلب له الشقاء والمتاعب والعداء.

يمكننا أن نستشف روح هذا المنهج التمردى من كلمات كمال نفسه، والتى يعترف فيها فى نفس الوقت بفضل الأوروبيين فيقول:

(لا ننكر أن الغربيين الذين اجتهدوا فى حل رموز هذه اللغة القديمة (الهيروغليفية) منذ ١٢٠ سنة ذللوا مصاعبها بمقابلة ألفاظها بالقبطية أو بالعبرية أو بالعربية أو بالآرامية أو بسياق الكلام.. الخ، وفرضوا لها ألفاظاً متضاربة. فالألمانيون اتخذوا لهم طريقة فى القراءة تخالف الطريقة الفرنسية وكلاهما وضع اللفظ على قدر الاستطاعة مع علمهم أن حقيقة اللفظ واللهجة القومية لا تزال مجهولة. ولم ترق فى نظرى كلتا الطريقتين لذلك اتخذت لقاموسى الذى أنجزت منه إلى الآن ثلاثة عشر مجلداً طريقة سهلة وهى تحليل الكلمة إلى أجزائها) .. ويضيف كمال موضحاً منهجه: (لا ننكر أنهم - الأجانب - بهذا الاجتهاد عانوا مشاق كثيرة فى اللغة مما يثبت لهم الفضل الأكبر عند أهل العلم لكونهم كانوا أول باحث فى اكتشاف غوامض اللغة المصرية وإظهارها من عالم الخفاء إلى عالم الوجود. إلا أنى لما وقفت على أصول اللغتين العربية والمصرية وعلى ما فيهما من القلب والإبدال أمكننى الخوض فى مقارنتها بالبراهين القاطعة التى تظهر لنا حقائق المعانى وتبين لنا فحوى النصوص التى وضعت. لا أفتخر بذلك ولا أبرئ نفسى من الغلط فى مثل هذا المجال

١٧١ جمال مختار: مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مرجع سابق - ص٥١

الواسع. لكنى سلكت طريقاً أضمن وأرقى من غيره وهو تطبيق اللغة المصرية القديمة على اللغة العربية مع بيان القلب والإبدال فى بعض كلماتها إقتداءً بالمصريين أنفسهم حتى تظهر لنا حقيقة المعنى لوجودها محفوظة فى اللغتين) [١٧٢].

ويكشف كمال فى بحث آخر على سبيل المثال عن مفهوم «القلب والإبدال» الذى يقصده، حيث يضرب مثلاً بكلمات (ذبر) و (زبر) و (سفر) فى اللغة العربية وجميعها بمعنى: (الكتاب) .. وهى كما يعتقد كمال كلمة مصرية وتقرأ (سبر) والسين تقلب ذالاً وزاياً والباء فاء. و يعلل ذلك بسبب تعدد القبائل ولهجاتها حيث تشمل اللغة المصرية ـ باعتبارها أصل العربية ـ ألفاظاً مختلفة اللهجة باختلاف القبائل [١٧٣].

أما عن القاموس ومواصفاته ـ وتبعاً لما أدلى به ورثته الذين يحوزون غالبية أجزائه ـ فهو كالتالى : جميع الأجزاء لها نفس الأبعاد لكنها تختلف بالطبع فى عدد الصفحات. كل جزء يضم كلمات علامة هيروغليفية واحدة .. فمثلاً يوجد جزء لحرف القاف وجزء آخر لحرف السين .. و هكذا. أبعاد الجزء الواحد تصل إلى ٣٤ x ٢١سم. وجميع أوراقه حالياً غير مسطرة وذات لون أبيض مائل للاصفرار. وقد استخدم كمال فى كتابة القاموس كله تقريباً الحبر الأسود، وكتب على وجه واحد فقط لكل ورقة. كما حرص على ترك بعض الفراغات بيضاء ربما ليستكمل فيها معلومات ناقصة لاحقاً.

جميع الأجزاء مغلفة بأغلفة مقواة ومكسوة بجلد أسود ومكتوب على كعب كل جزء منها باللون الذهبى العلامة الهيروغليفية الخاصة به والحرف العربى المقابل لها. لكن الأهم هو ما كتب على أحد الأجزاء بالذهبى : (قاموس هيروغليفى ـ عربي) .. وهى التسمية فى الغالب التى أطلقها كمال نفسه على قاموسه الذى احتارت الكتابات المختلفة فى تسميته.

يصل حجم جزء حرف الشين إلى ٣٦٨ صفحة وحرفى اللام والراء (معاً فى جزء واحد) إلى ٣١٨ صفحة [١٧٤]، بينما يصل حجم جزء حرف السين إلى ١٠٧٢ صفحة حافلة جميعها بالمعلومات والمقارنات والملاحظات [١٧٥].

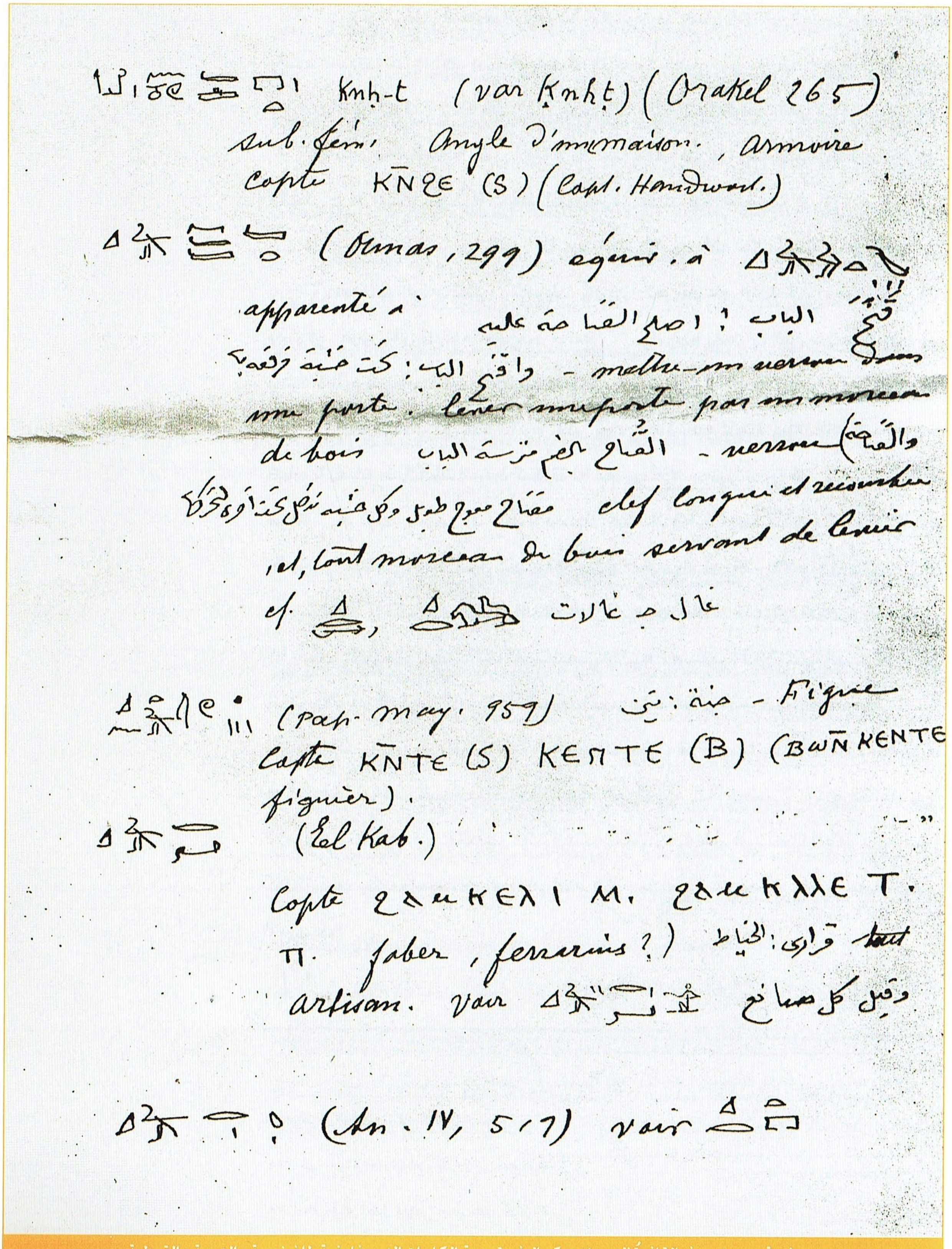
---

١٧٢ المقتطف:٤٤ : مارس ١٩١٤ ـ ص ص ٢١٠ ـ ٢١١

١٧٣ أحمد كمال: فى براءة القرآن الشريف عن بعض الألفاظ الأعجمية ـ المقتطف ٥٩ ـ نوفمبر ١٩٢١ ـ ص ٤٧٢

١٧٤ هذا ما ذكرته لى حفيدته هالة سلام

١٧٥ جمال مختار : مرجع سابق ـ ص٥٢



Knh-t (var Knht) (Orakel 265)
sub. fem. Angle d'une maison, armoire
Copte KNϨE (S) (Copt. Handwort.)

(Ounas, 299) équiv. à
apparenté à
قنع الباب: اصلح القافة عليه
واقنع الباب: كث خشبة ترفعه - mettre un verrou dans une porte. lever une porte par un morceau de bois
والقنعة - verrou - القناع الخشبة المرتسة الباب
مفتاح معوج طويل وكل خشبة تكت او تحركها - clef longue et recourbée et, tout morceau de bois servant de levier
cf. , غال ج غالات

(Pap. may. 959) جنة: تين - Figue
Copte KNTE (S) KEΠTE (B) (BWN KENTE figuier).

(El Kab.)

Copte ϨΑΜΚΕΛΙ M. ϨΑΜΚΛΛΕ T.
Π. faber, ferrarius? قواري: الخياط tout artisan. voir وقيل كل صانع

(An. IV, 5/7) voir

صفحة من جزء حرف القاف تُظهر منهج كمال في ترجمة الكلمات الهيروغليفية للفرنسية و العربية و القبطية

يتفق اسكندر المعلوف صديق كمال مع ابنه د. حسن كمال فى تحديد حجم القاموس باثنين وعشرين جزءاً، لكن يذكر المعلوف أن تنفيذه استغرق نحو ربع قرن، بينما يذكر نجله د. حسن أنه استغرق ٢١ عاماً فقط [١٧٦] .. وعموماً فإذا سلمنا بأن كمال قد انتهى منه قبيل وفاته عام ١٩٢٣، فهذا يعطينا تاريخاً تقريبياً يرجع للسنوات الأولى من القرن العشرين كنقطة بدء لتنفيذ القاموس .. أى أن كمال قد أنفق حوالى ثلث عمره فى إعداد هذا القاموس.

بينما يقول د. منير مجلى أن عدد أجزاء القاموس فقط ٢٠ مجلداً، ويقع فى حوالى ٦٥٠٠ صفحة من القطع الكبير .. لكن يبدو أنه قد اطلع فقط على الأجزاء التى بحوزة الورثة - كما يذكر هو - وليس على كل الأجزاء المفقود بعضها [١٧٧] . وهو أيضاً يؤكد أن المقدمة المفترض فيها أن يحدد كمال منهجه فى تنفيذ هذا العمل مفقودة.

يعتمد كمال فى هذا القاموس على إيراد الكلمة الهيروغليفية ومترادفاتها المختلفة مع تبيان ما يقابلها من الكلمات العربية المطابقة لها معنى ولفظاً - معتمداً نظرية الإبدال والقلب السابق شرحها - مع ترجمة وشرح لكل كلمة بالفرنسية. هذا مع إيراده أحياناً الكلمات المكافئة بالقبطية والعبرية والحبشية والآرامية.. الخ [١٧٨] .. لهذا يعتبره المعلوف (كتاب لغة و تاريخ و آثار و علم اشتقاق و فلسفة لغة)[١٧٩]. لكن رغم هذا فإن المنهج الذى اتبعه فيه كمال قد أخذ عليه البعض - مثل دارسى كما رأينا -، لأنه يحلل بنية الكلمات الهيروغليفية وتراكيبها مع عدم الالتفات كثيراً إلى سياقها الذى وردت خلاله فى النصوص المصرية مثلما يفعل قاموس برلين مثلاً و الذى صدر بعده بعدة سنوات. لكن مع ذلك يلتمس د. منير مجلى لكمال العذر لأنه بمفرده قد أتى عملاً جباراً أنفق فيه جهداً طائلاً وسنيناً طوالاً .. عكس قاموس برلين الذى اجتمع على تنفيذه علماء العالم [١٨٠] .. ومع هذا فالسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: ما الداعى دائماً أن نجعل قاموس برلين أو غيره معياراً للحكم على قاموس كمال؟ وكيف يمكن توجيه نقد لعمل لم يظهر للنور بعد خاصة أنه قد أثار بالفعل حفيظة بعض الأوروبيين؟

١٧٦ تقرير كتبه نجله د. حسن كمال بخط يده عن القاموس. وقد وصلتنى منه نسخة من المهندسة منى البارودى حفيدة أحمد كمال

١٧٧ د. منير مجلى: تسجيل صوتى من ندوة : إحياء ذكرى أحمد كمال - ١٩٧٧ غير منشورة . لكن أخبرنى الورثة أن الأجزاء المفقودة موجودة فى حوزة بعض المهتمين بالآثار من غير المتخصصين !!

١٧٨ منير مجلى: مرجع سابق؛ د. حسن كمال: مرجع سابق

١٧٩ مجلة المجمع العلمى العربى : مرجع سابق - ص ٣٠٦

١٨٠ مجلى : مرجع سابق

يشير حسن كمال إلى أن مقارنة اللغة المصرية القديمة بالعربية موجودة بالفعل فى بعض معاجم الهيروغليفية و خاصة معاجم الألمان .. لكن جهل هؤلاء الأثريين باللغة العربية - على حد قوله - قد أعاق كثيراً من إجراء تلك المقارنات بشكل موسع. ومن البديهى أن شخصاً مثل احمد كمال يلم بالعربية والهيروغليفية كان أجدر من غيره بتطبيق تلك المقارنات.

لكن من ناحية أخرى يعتبر د. منير مجلى أن أهمية طبع هذا القاموس قد تراجعت، خاصة بعد ظهور قاموس برلين للنور. لكن أهميته الأساسية من وجهة نظره هى فى التدليل على علاقة الهيروغليفية بالساميات. لكن مجلى يرفض فى نفس الوقت فكرة عرض مادته على الأثريين، لأن هذا العمل سيتطلب أن يشارك فى تنفيذه كل أثريى مصر وسيستغرق منهم سنيناً طوالاً .. لهذا فهو يفضل أن يتم طبعه تصويراً وليس جمعاً وصفاً.

ومع ذلك فللأسف الشديد فقد مضى على كلمات د. مجلى ربع قرن بالتمام وحوالى ٨٠ عاماً على وفاة كمال ولم يطبع هذا القاموس للآن!!

محاولات طبع القاموس

يقول كمال قبيل إتمام قاموسه متخيلاً أن حلمه على وشك التحقيق: (إنى أوشكت أن أتم القاموس وأقضى الغرض الذى وضعته نصب عيني) [١٨١]. لكنه لم يكن يعلم ما ينتظره ..

تبدأ فصول هذه القصة المحزنة قبيل وفاة أحمد كمال، وبعد أن أنفق حوالى ثلث عمره ليتم حلم حياته الأكبر، وبعد أن انتابه شعور بالسعادة الغامرة والفخر والزهو بما صنعت يداه، وبدأ يتطلع إلى طبعه حتى يخرج للنور .. كانت الصدمة التى لم يتوقعها أبداً .. فاستحالت السعادة حزناً و كمداً، و انقلب الفخر خزياً و شعوراً بالهزيمة و المرارة !!.

يذكر حسن كمال أن المعجم قد سلم إلى وزارة المعارف بعد وفاة صاحبه بأمل طبعه على نفقتها، لكن (المقتطف) وجمال مختار يذكران أن كمال بنفسه قد حاول أن يحمل الحكومة على طبعه على نفقتها، فوعده وزير المعارف أن (ينظر فى الأمر) [١٨٢]. ورغم أن « توفيق حبيب » يذكر أن (وزارة المعارف قد فكرت فى طبع القاموس بعد أن عجز المؤلف عن طبعه، و عينت لذلك مبلغ ٤٠٠٠ جنيه مصرى لولا وفاة المؤلف التى حالت دون ذلك) [١٨٣].. ، لكن يبدو أن الأمور قد اتخذت منحىً

١٨١ مجلة المجمع العربى : ص ٣٠٧

١٨٢ تقرير د. حسن كمال

١٨٣ توفيق حبيب: مجلة الهلال - نوفمبر ١٩٢٣ - ص ١٣٨

آخر تماماً ..

فقد أحالت الوزارة أحد أجزائه المتضمن حرف (القاف) إلى مدير المطبوعات الإنجليزى، والذى أحاله بدوره إلى أحد أبناء جلدته وهو كبير الأمناء بمصلحة الآثار العالم الإنجليزى (فيرث) لإبداء الرأى. فأشرك الأخير معه العالم الفرنسى (لاكو) مدير المصلحة وقتها، وعالم الآثار الأمريكى (رايزنر) مدير بعثة حفائر جامعة « هارفارد » بمنطقة أهرام الجيزة .. فجاءت ردود أفعالهم متباينة وتنم عن توجهات ومصالح بلادهم السياسية ذات الطابع الاستعمارى وليس العلمى على الإطلاق .. فقد امتنع الإنجليزيان عن إبداء الرأى تفادياً لأية حزازيات سياسية لأنهما بالطبع يمثلان سلطة الاحتلال فى مصر. لكن المسيو (لاكو) كان أكثر وضوحاً ورفض صراحة الموافقة على طبعه .. متعللاً بأن القاموس يحتاج إلى تغيير كثير، كما أن لغته الفرنسية تحتاج لبعض الضبط [١٨٤]!!

وأخيراً جاء رأى الأمريكى (رايزنر) أكثر إيجابية، و الذى لم تكن لبلاده وقتها أى مطامع أو توازنات سياسية فى مصر، .. فقد ذكر لأحمد كمال قبل وفاته أن المستر فيرث قد عرض عليه مجلد حرف القاف للنظر فيه فمدحه ووافق على طبعه، وأكد أن مثل هذه المقارنة اللغوية التى اتبعها كمال مفيدة .. وهى وإن لم تكن تامة فى كل الكلمات إلا أن هذا النقصان - فى رأى رايزنر - لا يمنع مطلقاً من طبع الكتاب وترك التصحيح للأجيال القادمة [١٨٥].

كما يذكر د. حسن كمال أن إحدى المطابع الإنجليزية كانت قد قدرت تكاليف طبعه بما يقرب من ٦٠٠٠ جنيه. ثم بعد أن لاح فى الأفق تراجع وزارة المعارف عن وعدها بطبعه، يبدو أن أصحاب المقتطف كانوا ينوون طبع المعجم «على الحجر» على نفقتهم [١٨٦] .. و هو ما لم يتم أيضا.

ثم انحسرت الأضواء مؤقتاً عن المعجم وعن صاحبه حتى أثار جمال مختار القضية مرة أخرى بعد ٤٠ عاماً من وفاة كمال، فكتب مقالاً ضافياً فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية طلب فيه من رئيس الجمعية د. أحمد بدوى ، بصفته مهتما بالربط بين المصرية والساميات، بإعادة النظر فى أمر نشر هذا المعجم [١٨٧] .. لكن شيئاً لم يحدث.

ثم عقدت الندوة الموسعة التى تعتبر الأولى من نوعها فى مصر لإحياء ذكرى أحمد كمال عام ١٩٧٧ – و التى تحدثنا عنها بالتفصيل سابقاً –و التى طالب فيها أكثر من مشارك بضرورة إحياء مشروع طبع المعجم الخاص بأبى الأثريين المصريين جميعاً. لكن مع هذا لم تنفذ أى من توصيات

١٨٤ لاحظ أن كمال عمل مترجماً لماريت وماسبرو لسنين طويلة وكتب عشرات المقالات بالفرنسية.

١٨٥ جمال مختار: مجلة الجمعية التاريخية - مرجع سابق - ص ص ٥٢ - ٥٣ ؛ تقرير د. حسن كمال عن القاموس

١٨٦ مجلة المجمع العربى: مرجع سابق - ص ٣٠١

١٨٧ جمال مختار: مرجع سابق - ص ٥٣

تلك الندوة الهامة، وكل ما حدث - حسب رواية المهندسة منى حفيدة كمال - أن الورثة قد وافقوا على تصوير بعض أجزاء من القاموس لمكتبة المتحف المصرى لكنهم توقفوا لاعتقادهم أن ما تم تصويره قد اختفى ولم يعرف مصيره .. مما ضاعف من الهواجس التى سيطرت عليهم خشية محاولات السطو على مجهود عُمر جدهم الأكبر.

كانت تلك المخاوف هى نفسها التى سيطرت على الورثة وأدت لفشل محاولة جديدة جرت أيام المرحوم د. أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار فى ثمانينات القرن الماضى، والذى كان قد تحمس لطبع المعجم على نفقة الهيئة .. فبدأت الاتصالات بالورثة للحصول على النسخ التى سيتولى (قراءتها) - وليس تحقيقها أو تصحيحها - د. رمضان عبده السيد رئيس قسم الآثار المصرية بآداب المنيا حالياً و د. فايزة هيكل أستاذ المصريات بالجامعة الأمريكية. لكن الورثة تراجعوا عن ترحيبهم بطبعه واشترطوا ألا توضع على الكتاب أية أسماء بخلاف اسم أحمد كمال وتوقف التنفيذ [١٨٨].

وأخيراً فإن المفاوضات قد تجددت هذه الأيام بعد أن قدمت المهندسة منى البارودى حفيدة أحمد كمال طلباً رسمياً للدكتور ممدوح الدماطى مدير المتحف المصرى ود. زاهى حواس أمين عام المجلس الأعلى للآثار لطبع القاموس .. كما قام الورثة بالفعل بتقديم الأجزاء التى فى حوزتهم للمتحف. وقد وافق د. زاهى وأبدت أيضاً د. فايزة هيكل ترحيبها بتجدد المشروع الذى نتمنى أن يكون هذا هو فصله الأخير ويخرج للنور قريباً [١٨٩].

---

١٨٨ حكت لى تفاصيل هذه الواقعة المهندسة منى البارودى حفيدة أحمد كمال وقد أكد لى أيضاً وقائعها د.رمضان عبده السيد الذى أشار إلى أن الهدف كان مجرد قراءة للمخطوطة يتولاها هو ود. فايزة هيكل ولم يكن فى نيتهم إجراء أى تعديل أو إضافة.

١٨٩ كان د. بهجت القبيسى أستاذ الآثار بجامعة حلب بسوريا قد قدم أيضاً عرضاً سخياً للورثة بطبع القاموس على نفقته ولم يحسم بعد.

كمال وتدريس الآثار للمصريين

يقول رفاعة الطهطاوى فى كتابه (أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل) و ذلك قبل عامين من افتتاح أول مدرسة لتعليم المصريين لغتهم القديمة: (وعلى هذه الأحجار توجد كتابة فى المعبد القديم لا يعرف أى مصرى كيف يقرؤها، رغم أن بعض الأوروبيين فى هذا القرن الثالث عشر « التاسع عشر الميلادى » تمكنوا من فك طلاسمها إلى حد ما) [١٩٠].. وما لبث الخديو بعدها بفترة قصيرة وبالتنسيق مع على باشا مبارك أن أصدر مرسوماً فى عام ١٢٨٦هـ (أغسطس عام ١٨٦٩م) بإنشاء مدرسة اللسان المصرى القديم الخصوصية .. وأمر أن تكون نفقاتها من نظارة المالية [١٩١].

ثم قدم على مبارك لهاينرش بروجش عرضاً سخياً لإدارة المدرسة عبارة عن عقد لمدة خمس سنوات بقيمة ٥٠٠ فرنك شهرياً .. كما قام هو والخديو إسماعيل شخصياً باستقبال بروجش فى القاهرة. كما وصلت ميزانية المدرسة لعام ١٨٧٢/١٨٧١ إلى ١٠٠٩ جنيه مصرى لثلاثة أساتذة و ١١٢ جنيهاً كمنح دراسية للطلاب [١٩٢].

كان هدف الخديو إسماعيل ـ طبقاً لما تذكره الوثائق ـ هو تعليم بعض المصريين اللغة المصرية القديمة واللغة الحبشية، على أن يكون الطلاب من (الغلمان السمر) الذين يشبهون غلمان أقاصى الصعيد وكذلك الغلمان السود .. ويعلل (عبد الكريم) هذا بصلات مصر بالحبشة حتى قيام الحرب فى عهد إسماعيل [١٩٣].. وإن كان الأمر يبدو أوسع من ذلك ومرتبطاً برغبة الخديو فى توسيع دائرة التعليم بين المصريين وخاصة فى جنوب الوادى معقل غالبية الآثار المصرية. لكن بروجش قد لاحظ أن بعض الطلاب كانوا من ذوى البشرات الفاتحة (وليسوا سُمراً كرغبة الخديو) وهو ما فسره باحتمال أن تكون أمهاتهم من الأتراك [١٩٤].

ثم اختير عشرة طلاب للانتظام فى المدرسة من النابهين والذين يجيدون الفرنسية وهم:

١ محمد توفيق : (من مدرسة الإدارة).

---

١٩٠ Reid, Op. cit., p. 93

١٩١ الهلال: نوفمبر ـ ١٩٢٣ ـ ص ١٣٧؛ مجلة المجمع العربى : مرجع سابق ـ ص ٢٩٩؛ المقتطف ٦٣ نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ٢٧٤ .. لكن المقتطف تذكر أن الخديو إسماعيل قد أصدر أمره إلى محمد شريف باشا بإنشاء المدرسة !! ولا يبدو أن ذلك صحيح لأن محمد شريف وقتها كان وزيراً للداخلية ولم يتولّ وزارة المعارف إلا فى وقت لاحق.

١٩٢ أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر ـ القاهرة ـ ١٩٤٥ ـ جزء ٢ – ص ص ٥٦٩ – ٧٣ ؛ Reid, Op. cit., p. 116

١٩٣ أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم ـ الجزء ٢ ـ مرجع سابق ص ٥٦٩؛ نفس المؤلف : ندوة أحمد كمال : تسجيل صوتى غير منشور

١٩٤ Reid, Op. cit., p. 117

٢ أحمد نجيب (١٨٤٧-١٩١٠) : (من مدرسة الإدارة)

٣ على جيـد : (من مدرسة المساحة والمحاسبة)

٤ محمد فخرى : (من مدرسة المساحة والمحاسبة)

٥ محمد عصمت : (من مدرسة المساحة والمحاسبة)

٦ محمد وصفى : (من المدرسة التجهيزية - الفرقة الثانية)

٧ إبراهيم نجيب : (من المدرسة التجهيزية - الفرقة الثانية)

٨ أحمـد حسـن : (من المدرسة التجهيزية - الفرقة الثانية)

٩ حسين زكـى : (من المدرسة التجهيزية - الفرقة الثانية)

١٠ أحمـد كمـال : (من المدرسة التجهيزية ذ الفرقة الثانية)

كوّن بروجش منهم فرقة واحدة ودرّس لهم اللغة المصرية القديمة (اللسان المجهول أو البربائى أو الهرمسى كما سماه المصريون)، بينما درس لهم أخوه الأصغر إميل اللغة الألمانية. وبعد أن أمر الخديو بالكتابة للبطرياركية الأرثوذكسية القبطية لترشيح المعلمين اللازمين، تولى ميخائيل أفندى نزيل (جرجس) بطركخانة الأقباط تدريس اللغة الحبشية [١٩٥] ، بينما تولى الشيخ قناوى تدريس اللغة العربية .. كما درس الطلاب أيضاً الفرنسية والإنجليزية وكان بروجش يصطحبهم فى زيارات ميدانية للمتحف المصرى ولآثار الصعيد عبر النيل [١٩٦] .

يقول إلياس الأيوبى عن أثر بروجش على طلبته : (فما زال بالطلبة المتعلمين على يده، حتى أوجد فيهم روح الاهتمام بالماضى المصرى السحيق، بالرغم من الهاوية التى حفرتها العقائد بين عقليتهم وعقلية أجدادهم البعيدين، وحتى تمكن من إنشاء قنطرة على تلك الهاوية بين عصر الفراعنة وعصر « إسماعيل ». و أشهر من نبغ من تلامذته، العالم الإجيبتولوجى الوديع أحمد بك كمال) [١٩٧] .

و بالفعل فقد كانت مهمة بروجش صعبة للغاية، فى مجتمع يخيم على غالبية أهله ظلام الجهل الدامس، وروح العداء للتفكير العلمى عموماً .. فما بالك بدراسة الآثار المصرية وعقائدها (الكافرة) .. فلم يكن أمام البروفسور الألمانى من حل سوى أن يطابق بين الصفات التى حملها

---

١٩٥ يعتقد (ريد) أن المقصود (بالحبشية) هنا هو (اللغة القبطية) .. أنظر: Reid, p.331 note 79 ، لكن إذا أخذنا فى الاعتبار أن الحبشة (إثيوبيا) كانت أرثوذوكسية وتتبع الكنسية المصرية عقائدياً لليوم، فليس من المستبعد أن يتقن رجال الدين المصريون تلك اللغة، وهى المستهدفة غالباً من قبل الخديو إسماعيل الذى كان يحلم بإمبراطورية أفريقية.

١٩٦ Hala Sallam, Ahmed Kamal Pasha, in: Orientalia Lovaniensia Analecta 82, 1998, p. 1015; Reid, Op. cit, p.117; المقتطف ٦٣- نوفمبر ١٩٢٣ - ص ٢٧٤ ؛ أحمد عزت عبد الكريم : ندوة أحمد كمال

١٩٧ إلياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا - المجلد الأول - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٣ - ص ٢٣٤

المعبود آمون فى طيبة أو بتاح فى منف و باقى آلهة مصر القديمة وبين «أسماء الله الحسنى» التسع و التسعين عند المسلمين !! بل وأكد على أن الوحدانية الإلهية هى لب عقيدة قدماء المصريين وما التعددية سوى مظهر سطحى خادع [١٩٨]. أعدت الحكومة فى البداية لبروجش مكاناً ليستخدمه كمقر للمدرسة وكمسكن له فى نفس الوقت وهو سراى الشيخ الشرقاوى بالقرب من مسجد القللى ببولاق فى منطقة قريبة من المتحف. وقد بدأ بروجش ممارسة مهمته فيه عقب وصوله لمصر فى منتصف عام ١٨٦٩، ثم سافر بعد فترة فى إجازة مرضية لبلاده اصطحب معه فيها الطالبين محمد توفيق وأحمد نجيب ليدرسوا على الطبيعة، بينما أعطى لتلاميذه دروساً ليقرأونها فى مدة غيابه.

لكنه بعد عودته اشتكى من برودة المنزل، كما يبدو أنه كان ممتلئاً بالفئران والخفافيش أيضا، فقرر ديوان المدارس نقل التلاميذ لجناح بسراى درب الجماميز والبحث عن مسكن آخر مستقل لأستاذهم [١٩٩].

رغم أن دوره فى البداية لم يكن واضحاً، إلا أن ماربيت كان الوحيد فى مصر المُعادى لفكرة إنشاء هذه المدرسة، لأنها تمثل تهديداً مباشراً لاحتكاره الشخصى واحتكار فرنسا حقل الآثار فى مصر .. لكن ذلك العداء اتضح بشكل سافر فيما بعد مما كان السبب الرئيسى فى إغلاق المدرسة الوليدة لاحقا [٢٠٠].

فى عام ١٨٧٢ إضطر سبعة طلاب من بينهم أحمد كمال إلى ترك دراستهم (قبل إنهائها بعامين) بأمر الحكومة التى عينت بعضهم كمترجمين ومعاونين بديوان المكاتب الأهلية أول إنشائه بإشراف على مبارك، والبعض الآخر كمدرسين للغة الألمانية بعد إدخالها فى المدارس.

وفى عام ١٨٧٤ وأثناء غياب بروجش عن مصر فى زيارة مؤقتة لفيينا، تم إغلاق المدرسة نهائياً بإيعاز من ماربيت [٢٠١] .. ويقول بروجش فى تقريره صراحة عما كان يضمره ماربيت نحو المدرسة: «إن الخديو كان راضياً تماماً عن عملى (بالمدرسة) وكذلك وزير التعليم (على مبارك) لكن صديقى القديم ماربيت كان قلقاً من أن يؤدى هذا (الرضاء) إلى أن يستخدم الخديوى ذلك كورقة جاهزة، فيعين هؤلاء الذين درسوا الهيروغليفية كموظفين فى متحفه !! ولم آلُ جهداً فى محاولة تليين

---

١٩٨ H.Brugsch, Mein Leben und Mein Wandern, Berlin, 1894, p. 299

١٩٩ أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق - تاريخ التعليم - ص ص ٥٧٠ - ٧١ ؛ المقتطف ٦٣ نوفمبر ١٩٢٣ - ص ٢٧٤؛ H.Sallam, Op. cit., p.1015; Reid, Op. cit., p.117

٢٠٠ Ibid, p.93

٢٠١ أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم - مرجع سابق - ص ٥٧٢ ، وهو يعترض على ما أورده أمين سامى فى كتابه: التعليم فى مصر - القاهرة - ١٩١٧ الملحق ٩١ من أن المدرسة قد أغلقت عام ١٨٧٦ ، وقد ذكر هذا التاريخ الأخير أيضاً توفيق حبيب فى مقاله بالهلال - نوفمبر ١٩٢٣ - ص ١٣٧ ، ولا يمكن معرفة سبب ذكره له أو مصدر تلك المعلومة ؛ .Reid, Op. cit., pp.117 f

عريكته، فبقى على شكوكه لدرجة أنه أعطى الأمر لموظفى المتحف بألا يسمحوا لأى من أهل البلد بأن ينسخ الكتابات الهيروغليفية. وبهذا استطاع أن يقصى المعنيين من الطلاب »[٢٠٢].

وبعد أن أغلقت المدرسة تم تسريح باقى الطلبة وتعيينهم فى وظائف إدارية حكومية مختلفة (السكك الحديدية ووزارة الحربية). ويجب هنا الإشارة إلى تقرير مفتش المدارس (دور) بك السويسرى بخصوص مستوى تلاميذ مدرسة اللسان المصرى القديم.

جاء التقرير قاسياً وفيه تجنٍ كبير .. فقد انتقد المستوى العلمى للتلاميذ ووصفهم بأنهم (لم يستطيعوا تحصيل المعارف الفيلولوجية والتاريخية، وليست لديهم القدرة على إدراك الأفكار المجردة والتفكير اللازم لهذه الدراسة الشاقة) .. كما حث (دور) بك الحكومة على أن تكتفى بتوظيفهم كمشرفين على الحفائر أو فى الأعمال المتواضعة بالمتاحف لأنها لن تستطيع أن تأخذ منهم علماء .. [٢٠٣]!!! ورغم أن الأيام قد خيبت ظن ذلك الخبير، لكن تلك الكلمات قد استدعت فى الخاطر على الفور كلمات شبيهة تحمل فى طياتها تلك النبرة الأوروبية المتعالية على الثقافة والفكر المصرى الحديث وربما أيضاً القديم لو تمت مقارنته بالفكر اليونانى الرومانى (الراقى) الذى ينتمى إليه الأوروبيون ..

فها هو والس بدج يتعجب بشدة من محاولة بروجش أن يقارن مفهوم الإله عند شعوب متحضرة كاليونان والرومان بمفهومه عند شعوب أفريقية نصف متحضرة كالمصريين .. [٢٠٤] ! بل إن تلك النغمة قد ترددت كثيراً فى كتابات الأوروبيين وخاصة خلال القرن التاسع عشر وهى الظاهرة التى يسميها (مارتن برنال) بـ : (الإزدراء الآرى لمصر وحضارتها) .. والتى وصلت بأحدهم وهو عالم الأنثروبولوجيا (ويلز) بأن يجرؤ على القول بأن : «المصريين القدامى كانوا من السود وابيضت وجوههم مع تقدم حضارتهم» [٢٠٥] !

لكن يجب أخيراً أن نشير إلى أن عداء ماريت كان من نوع مختلف .. وممزوجاً بمصلحة شخصية أكثر من أى شئ آخر، وهو ما دفعه حتى لأن يرفض اقتراح ماسبرو بخدمة أهل بلاده عن طريق إنشاء مدرسة فرنسية للآثار بالقاهرة كمثيلاتها فى روما و أثينا [٢٠٦].

المحاولة الثانية : عندما توفى ماريت فى يناير ١٨٨١ انتاب كمال على مايبدو إحساس بأن العقبة

٢٠٢ Brugsch, Op. cit., p.282

٢٠٣ أحمد عزت عبد الكريم : ندوة أحمد كمال ؛ Reid, Op. cit., p. 118

٢٠٤ E.A.W. BUDGE, THE GODS OF THE EGYPTIANS, DOVER, NEW YORK, Vol. I, 1969,p. 68

٢٠٥ مارتن برنال: أثينة السوداء - مترجم - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - ١٩٩٧ - ص ص ٢٥ وما بعدها

٢٠٦ Reid, Op. cit., p.173

الكؤود فى وجه تدريس الآثار للمصريين قد انزاحت .. فاستبشر خيراً فى خليفته الأستاذ الأكاديمى الشاب ماسبرو، وألح عليه فور توليه إدارة مصلحة الأنتيقخانة لافتتاح مدرسة ملحقة بالمتحف ليدرس بها خمسة طلاب من المصريين [٢٠٧].

و فعلا وافق مجلس النظار عام ١٨٨١ على افتتاح المدرسة [٢٠٨]، وقد خصص ماسبرو مبلغ ٥٠٠ جنيه لأحمد كمال للإنفاق على المدرسة التى افتتحت فى فبراير من عام ١٨٨٢.

قام كمال فيها بتدريس اللغة المصرية القديمة واللغة الفرنسية مقابل مرتب شهرى قدره ثمانية جنيهات [٢٠٩] .. هذا بالإضافة لمرتبه كموظف بالمتحف والمصلحة والذى كان قدره ١٢ جنيهاً شهرياً فى البداية ثم عُدِّل إلى ١٥ جنيهاً لاحقاً بعد إلغاء مرتب التدريس كما ذكرنا قبلا.

بدأت المدرسة بخمسة تلاميذ هم : محمد شعبان (إبن إخت كمال والذى عمل بالمتحف فى وقت لاحق وحضر افتتاح مقبرة توت عنخ آمون)، وأحمد نجيب*، ومحمود حمدى، وعبد الرحمن فهمى، وحسن حسنى.

فى أبريل من عام ١٨٨٢ (أى بعد شهرين فقط من افتتاح المدرسة) قررت وزارة الأشغال العمومية إضافة عشر طلاب .. أربعة منهم من أعيان الأقباط (باعتبار أن الهيروغليفية هى لغة أسلافهم وأنهم يحتفظون فى لغتهم القبطية بتعبيرات ستسهل لهم تعلمها) [٢١٠] .. كما طالبت بزيادة ميزانية المدرسة ،و لا يمكننا أن نعرف مصير هؤلاء الطلاب الذين يبدو أنهم لم يكملوا دراستهم لسبب أو لآخر، وذلك لعدم ورود أسمائهم فى قائمة المعينين بالمصلحة لاحقاً من خريجى المدرسة.

كما نلاحظ لغة كمال الوطنية واضحة فى مقدمة المذكرة المقدمة لمجلس النظار:

«لما كانت مصر قديمة العهد و كان لسان سكانها قديماً جداً و اندثر، ثم تحصلت الأجانب على هذا اللسان من الكتابة القديمة الموجودة على البرابى و المعابد القديمة الموجودة فى الجبال المصرية، و كان من الضرورى أن أبناء المصريين هم الأولى بتعليم هذا اللسان بما أنه لسان أجدادهم ..»

ثم تجئ الطامة الكبرى التى تؤكد أنه لا فارق بين مارييت وماسبرو، وأن المنظور الذى يحكم فكرهم وتصرفاتهم له نفس المنطلق .. فقد قدمت نظارة الأشغال العمومية مذكرة لرئاسة مجلس

---

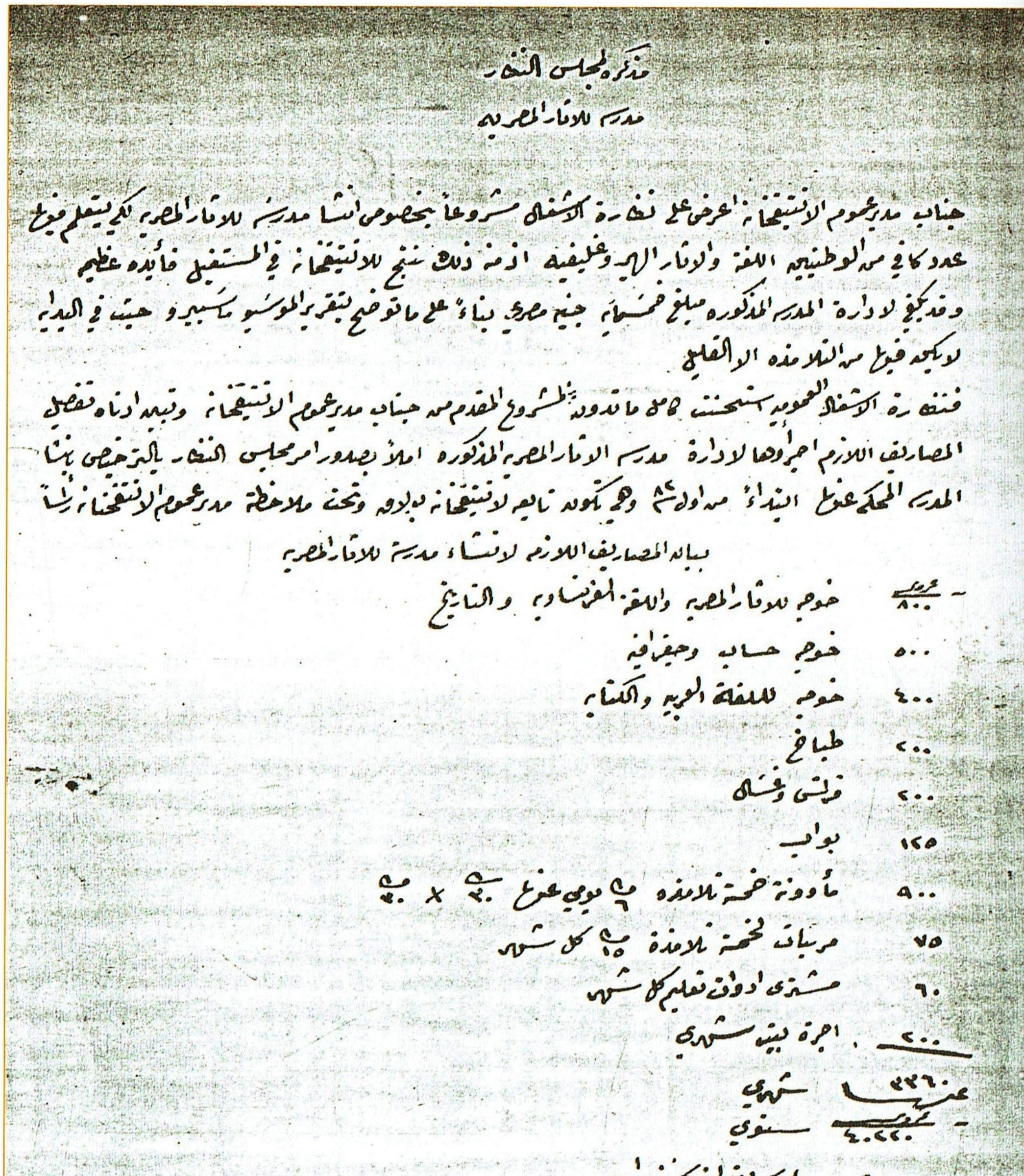
٢٠٧ الهلال ـ نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ١٣٩

٢٠٨ أحمد عزت عبد الكريم : ندوة أحمد كمال ـ ١٩٩٧ .. لكنه يذكر أن هذا القرار لم ينفذ، رغم أن الثابت هو العكس.

٢٠٩ Reid, Op. cit., p. 186

* غير واضح ما إذا كان هذا الطالب هو نفسه أحمد نجيب زميل كمال فى مدرسة بروجش ثم فى مصلحة الأنتيقخانة لاحقاً وصاحب كتاب (الأثر الجليل)، أم أن هذا شخص آخر!

٢١٠ Ibid, pp.186 f.



مذكرة لمجلس النظار

مدرسة للآثار المصرية

جناب مدير عموم الانتيقخانة عرض على نظارة الأشغال مشروعاً بخصوص انشا مدرسة للآثار المصرية لكي يتعلم فيها عدد كافي من الوطنيين اللغة والآثار الأهلية وعليه اذ من ذلك ينتج للانتيقخانة في المستقبل فائدة عظيمة وقد يكفي لادارة المدرسة المذكورة مبلغ خمسماية جنيه مصري بناءً على ما توضح بتقرير الموسيو ماسبيرو وحيث في البداية لا يكون قبول من التلامذة الا القليل

فنظارة الأشغال العمومية استحسنت كل ما تدون بالمشروع المقدم من جناب مدير عموم الانتيقخانة وتبين ادناه تفصيل المصاريف اللازم اجراؤها لادارة مدرسة الآثار المصرية المذكورة املاً بصدور امر مجلس النظار بالترخيص بانشا المدرسة المحكي عنها ابتداءً من اول سنة ٨٢ وهي تكون تابعة لانتيقخانة بولاق وتحت ملاحظة مدير عموم الانتيقخانة

بيان المصاريف اللازمة لانشاء مدرسة للآثار المصرية

غرش ٨٠٠	خوجه للآثار المصرية واللغة الفرنساوية والتاريخ
٥٠٠	خوجه حساب وجغرافية
٤٠٠	خوجه للغة العربية والكتابة
٢٠٠	طباخ
٢٠٠	فراش وغسال
١٢٥	بواب
٩٠٠	مأكولات خمسة تلامذة في يومي عن غ ٦ × ٣٠
٧٥	مرتبات لخمسة تلامذة في كل شهر
٦٠	مشترى ادوات تعليم كل شهر
٢٠٠	اجرة بيت شهري
غرش ٣٤٦٠	شهري
٤٠٥٢٠	سنوي
٢٠٠٠	ملبوسات لزوم سنة واحدة
٢٠٠٠	كتب مجلدات لزوم السنة الأولى
٢٠٠٠	اسرة ولحافات ومراتب ولوازم
٣٤٨٠	مبلغ احتياطي
غرش ٥٠٠٠٠	سنوي
جنيه مصري ٥٠٠	

فاذا استحسن ذلك مجلس النظار يصير درج مبلغ الخمسماية جنيه مصري المذكور في ميزانية مصلحة عموم الانتيقخانة

عن سنة ٨٢

١٦ اوكتوبر ٨١

ميزانية مقترحة قدرها ٥٠٠ جنيه لإنشاء مدرسة لتعليم الآثار للمصريين (بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٨٨١)

MINISTÈRE DES TRAVAUX PUBLICS

نظارة الأشغال العموميه

SECRÉTARIAT GÉNÉRAL

السكرتاريا العموميه

نمرة ٩٩

مذكرة لمجلس النظار

لما كانت مصر قديمة العهد وكان لسانها يستلزم قديماً جداً وأنه قد تحصلت الأجانب على هذا اللسان من الكتابات القديمة الموجودة على أحجار البرابي والمعابد القديمة الموجودة في الجبال المصرية وكان من الضروري أن أبناء المصريين هم الأولى بتعليم هذا اللسان بأنه لسان أجدادهم

رأت نظارة الأشغال ضرورة لزوم إنشاء مدرسة بالأنتيقخانة لكي يتعلم فيها عدد كاف من الوطنيين هذه اللغة والآثار الهيروغليفية وقد تصرح من مجلس النظار بعلاوة مبلغ خمسمائة جنيه على ميزانية الأنتيقخانة ١٨٨٢ لتعليم خمسة تلامذة وصدر قراره رقم ٣٠ أكتوبر سنة ٦٢ وبمقتضاه جرى العمل ولما رأينا أن هذا العدد غير كاف استصوبنا ضم ثلاثة تلامذة على الخمسة الموجودين الآن منهم أربعة من أولاد مسيحيي الأقباط حيث كان هذا اللسان هو لسان أسلافهم ويوجد معهم بعض كلمات تسهل عليهم تعليم هذا اللسان فبناء عليه تقدم حساب المصاريف اللازمة لذلك سنوياً كالآتي إيضاحه

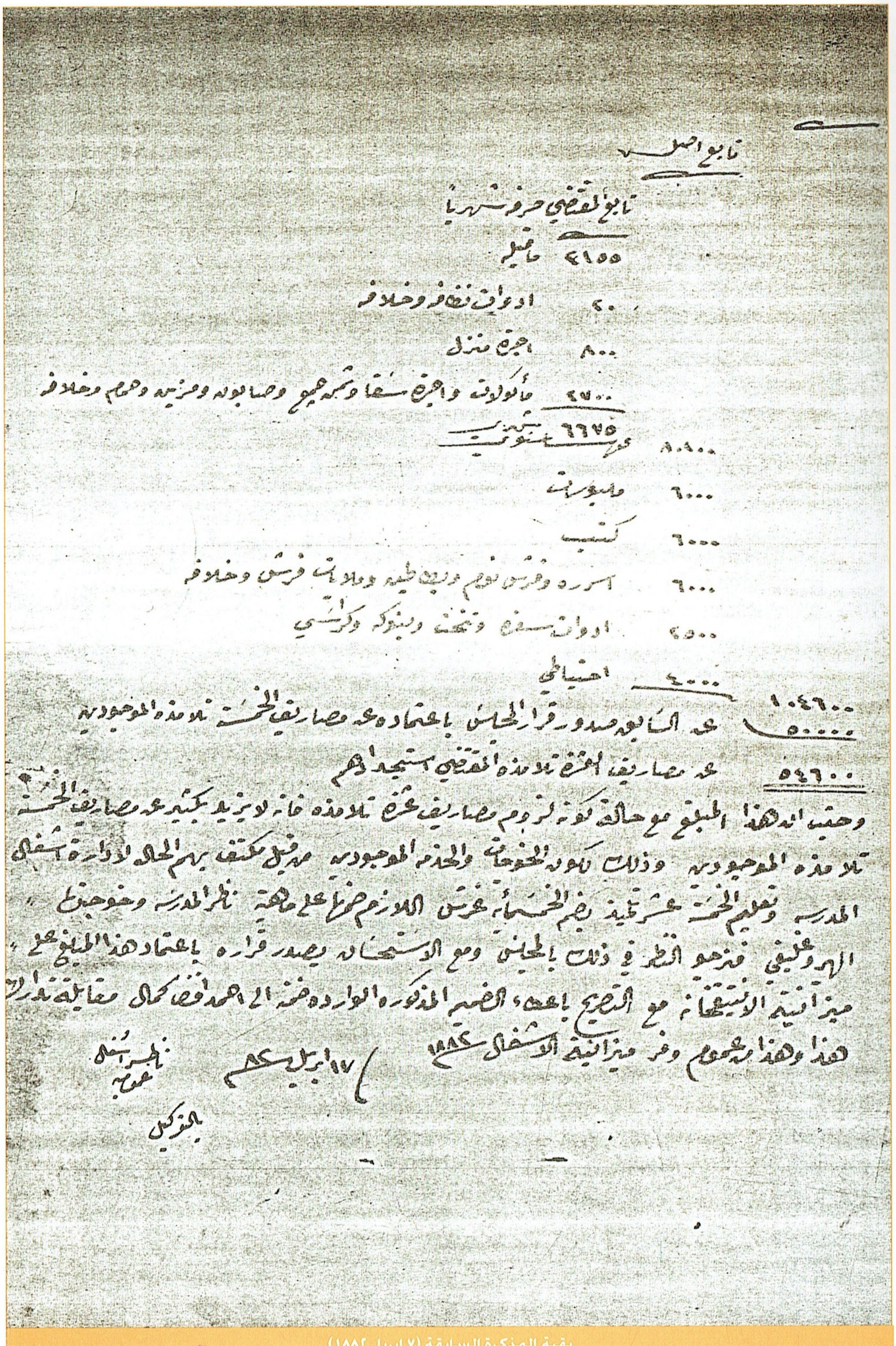
جملة مصاريف خمسة عشر تلميذ

ناظر المدرسة ومعلم هيروغليفي وتاريخ مصر القديم وفرنساوي وهو حضرة أحمد أفندي كمال المترجم بالأنتيقخانة

قيمة ما سبق التصريح به بقرار مجلس النظار الصادر في ٤ مارث سنة ٧٩

٥٠٠	لتكملة مربوطه شهري ١٥٠٠
	قيمة المقتضى ضمه الآن لتكملة مربوطه شهري ٢٠٠٠ لما هو عليه من الاستعداد والدراية والاستحقاق
٨٠٠	
٢٠٠	خوجه عربي
٤٠٠	خوجه حساب وجغرافيه
٥٠٠	خوجه رسم وتشييد
٢٠٠	خوجه خط
٢٠٠	فراش وطباخ
٢٠٠	عشي
١٥٠	بواب
٢٢٥	تغذية التلامذة لكل تلميذ شهري ١٥
١٨٠	أدوات تعليم ١٢
٢١٥٥	

مذكرة لزيادة ميزانية المدرسة لإضافة طلاب بينهم أقباط و تذكر تولى كمال الإدارة و التدريس (٧ إبريل ١٨٨٢)



تابع اصله

تابع لمقتضى جرو شهريا

٤١٥٥ ماهية

٢٠٠ ادوات نظافة وخلافه

٨٠٠ اجرة منزل

٢٧٠٠ مأكولات واجرة سقا وشمع وصابون ومزينه وحمام وخلافه

٦٦٧٥ شهري

٨٠١٠٠ مصروف سنوية

٦٠٠٠ ملبوسات

٦٠٠٠ كتب

٦٠٠٠ اسرة وفرش نوم وبطاطين ولوازم فرش وخلافه

٥٥٠٠ ادوات سفرة وتخت وبنوك وكراسي

٤٠٠٠ احتياطي

١٠٤٦٠٠

٥٠٠٠٠ من المأمول صدور قرار المجلس باعتماده من مصاريف الخمسة تلامذة الموجودين

٥٤٦٠٠ من مصاريف العشرة تلامذة المقتضى استجدادهم

وحيث ان هذا المبلغ مع حالة كونه لزوم مصاريف عشرة تلامذة فانه لا يزيد بكثير عن مصاريف الخمسة تلامذة الموجودين وذلك لكون الخوجات والخدم الموجودين من قبل يكتفى بهم الحال لادارة شغل المدرسة وتعليم الخمسة عشر تلميذ بضم الخمسة عشر اللازم حضورهم على ماهية ناظر المدرسة وخوجتها الاول [illegible] فنرجو النظر في ذلك بالمجلس ومع الاستحسان يصدر قراره باعتماد هذا المبلغ على ميزانية الاشغال مع التصريح باعطاء الخمسة المذكورة الواردة منه الى احمد افندي كمال معاونة تدريس هذا وهذا بعموم وفر ميزانية الاشغال سنة ١٨٨٢

١٧ ابريل سنة ٨٢

ناظر الاشغال العمومية [illegible]

الوكيل

بقية المذكرة السابقة (٧ إبريل ١٨٨٢)

نظارة الاشغـال العموميه

١

SECRÉTARIAT GÉNÉRAL

السكرتاريا العموميه

N° 99

Note au Conseil des Ministres

Depuis une époque très-reculée, la langue primitive de l'Egypte était tombée complètement en oubli, lorsque plus tard et grâce aux inscriptions dont sont recouverts les monuments de l'ancienne Egypte, des étrangers sont parvenus à la reconstituer et à en acquérir une parfaite connaissance.

Pénétré de l'importance majeure qui s'impose plus particulièrement au pays d'étudier et d'apprendre la langue hiéroglyphique, le Ministère des Travaux Publics a proposé, il y a quelque temps, de créer, dans ce but, au Musée de Boulaq, une école où serait admis un nombre d'indigènes suffisant, et par une décision en date du 30 Octobre 1881 sub N° 62 à laquelle le Ministère s'est empressé de donner suite, le Conseil des Ministres a bien voulu accorder au budget du Musée pour l'exercice 1882, un crédit supplémentaire de L.E. 500 destiné aux frais d'enseignement de cinq élèves.

Or, ce nombre restreint ne me paraissant pas suffisant, j'ai l'honneur de proposer au Conseil de l'augmenter de dix autres élèves, dont quatre seraient pris parmi les enfants des notables de la nation copte, que la langue hiéroglyphique intéresse d'autant plus qu'elle a été la langue de leurs ancêtres

النص الفرنسى للمذكرة السابقة لتعديل ميزانية المدرسة و إضافة ١٠ طلاب بينهم ٤ أقباط (٧ إبريل ١٨٨٢)

et qu'ils en possèdent encore une certaine quantité d'expressions dont la connaissance leur en facilitera l'étude.

Les dépenses annuelles auxquelles donnera lieu cette augmentation d'élèves et que j'ai l'honneur de soumettre à l'approbation du Conseil, peuvent être évaluées comme suit :

	Par mois.	Par an.
	F:	F:
Directeur de l'école, professeur d'hiéroglyphe, d'histoire ancienne d'Égypte et de français Ahmed Effᵈⁱ Kamal, traducteur du Musée: Augmentation accordée en vertu d'une décision du Conseil des Ministres en date du 4 Mars 1882 N° 23 . . . . F: 300		
Nouvelle augmentation proposée " 500	800	
Professeur d'arabe.	300	
-id- d'arithmétique et de géographie.	400	
-id- de dessin (nouveau)	500	
-id- de calligraphie.	200	
Farrache et laveur.	200	
Cuisinier.	200	
Portier.	150	
Traitement alloué aux élèves ; 15 P. chacun	225	
Fournitures d'enseignement : 12 P. id.	180	
-id- de nettoyage, etc.	20	
Loyer d'une maison.	800	
Nourriture, saka, bougies, savon, barbier, bain, etc.	2.700	
	6.675	80.100

تابع النص الفرنسي للمذكرة السابقة لتعديل ميزانية المدرسة و التى تذكر تولى كمال الإدارة و التدريس (٧ إبريل ١٨٨٢)

Report :	80.100
Vêtements	6.000
Livres	6.000
Lits, matelas, couvertures, draps de lit, etc.	6.000
Ustensiles de table, tableaux noirs, bancs et chaises	2.500
Frais imprévus.	4.000
Total pour quinze élèves	104.600
A déduire : Crédit accordé par le Conseil des Ministres pour les cinq élèves existant déjà	50.000
Soit pour les dix nouveaux élèves proposés.	54.600

Cette somme, qui représente les dépenses que nécessiteront les dix élèves supplémentaires, n'excède pas de beaucoup celle qui a été allouée pour les cinq premiers. Cela tient à ce que le personnel existant déjà à l'école suffira pour l'enseignement et le service des quinze élèves, sans autres augmentations que celle de cinq Livres par mois à accorder au Directeur de l'école.

J'espère que le Conseil voudra bien approuver ce nouveau crédit pour le budget du Musée, y compris la nouvelle augmentation d'Ahmed Effd. Kamal, crédit qui sera pris sur les économies générales du budget de 1882 du Ministère des Travaux Publics.

Caire le 17 Avril 1882.

P. le Ministre

le Secrétaire autorisé

تابع النص الفرنسي للمذكرة السابقة (٧ إبريل ١٨٨٢)

النظار نمرة ٣٢١ فى ديسمبر ١٨٨٥تقترح فيها التصديق على إلغاء (مدرسة الآثار التاريخية) بناء على طلب الموسيو ماسبرو والذى غلف بالطبع طلبه هذا بحرصه على المصلحة العامة.

فقد اقترح ماسبرو تعيين الطلاب الخمس الذين تخرجوا من المدرسة فى مصلحة الأنتيقخانة - وهو مطلب وطنى يرحب به أى مصرى - .. لكن ماسبرو يسارع بتطمين الحكومة أنه لن يكلف موازنة الدولة (و التى أقرت بالفعل ميزانية العام الجديد ١٨٨٦ م) مليماً واحداً .. بل و سيوفر لها مبالغ إضافية .. كيف ؟!

لا يلبث ماسبرو أن يطرح حله العبقرى لهذه المعضلة .. وهو أن تُلغى المدرسة وبالتالى إلغاء ميزانيتها بالكامل .. مقابل تخصيص جزء من تلك الميزانية لبند المرتبات التى ستدفع لخريجيها الذين سيتم تعيينهم بالمصلحة .. أما الجزء الإضافى الذى سيتبقى منها فتسترده الدولة !! وبهذا يكون قد تمكن من أن يصيب عصفورين بحجر (فرنسي) واحد. وهكذا تم التصديق على اقتراحه، وأغلقت المدرسة نهائياً بعد أن خرجت دفعة واحدة فقط !؟

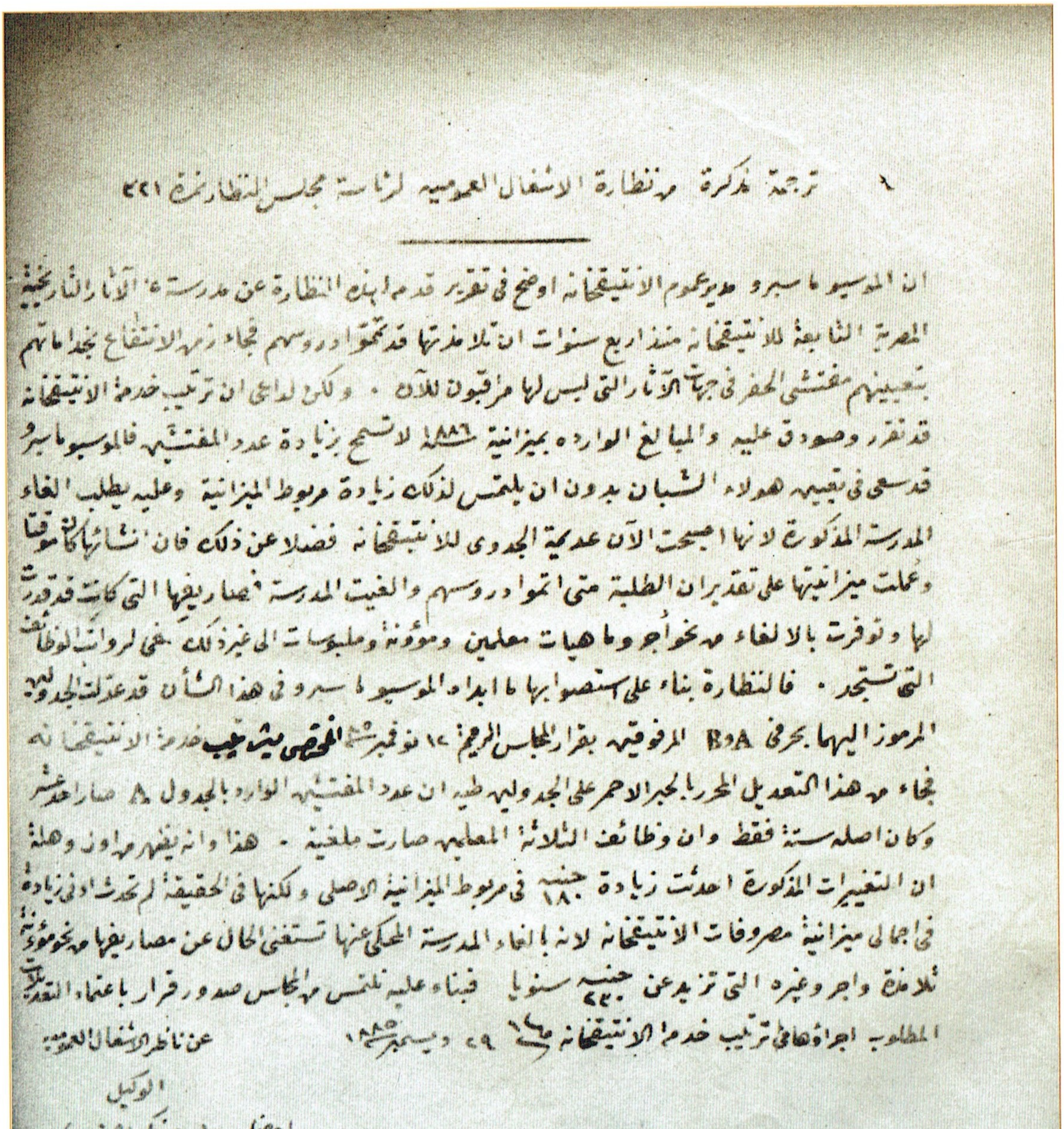
لكن من أغرب ما تمدنا به تلك الموازنة التى أعدها ماسبرو لإعادة توزيع ميزانية المدرسة هو مرتبات العاملين بالمصلحة .. فعلى حين يتقاضى ماسبرو مدير عموم الانتقخانة مرتباً سنوياً قدره ألف جنيه مصرى (حوالى ٨٣ جنيهاً شهرياً)، فإن معاونه بركش بك يتقاضى ٤٢٠ جنيه سنوياً (بواقع ٣٥ جنيهاً شهريا)، بينما معاونه الثانى موسيو بورياك يتقاضى ٣٠٠ جنيه مصرى (بواقع ٢٥ جنيهاً شهرياً).

بينما فى غياب درجات (مفتشين درجة أولي)، فإن مفتشى الدرجة الثانية من المصريين كان يتقاضى كل منهم تسعين جنيهاً مصرياً سنوياً (بواقع سبعة جنيهات ونصف شهرياً)، أما المفتشين درجة ثالثة (الطلاب المعينون حديثاً) فتقاضى كل منهم ستين جنيهاً سنوياً (بواقع ٥ جنيهات شهريا). لكن الملفت للنظر هو اقتراح ماسبرو تعديل مرتبات القائمين على المدرسة (والذى يبدو كتعويض لهم عن فقدهم دخل إضافى بإغلاق المدرسة).. فيقترح زيادة مرتب محمد أفندى خورشيد (ناظر) من ١٩٨ جنيهاً إلى ٢٤٠ جنيه سنوياً (أى من ١٦ ونصف جنيه إلى ٢٠ جنيه شهرياً) .. و أحمد افندى كمال (سكرتير) من ١٨٠ جنيه إلى ٢١٦ جنيه سنوياً (أى من ١٥ جنيه إلى ١٨ جنيه شهرياً). ذلك مع ملاحظة أن التعديل المقترح فى الميزانية قد نص فى نفس الوقت على إلغاء مرتبات ودرجات ٣ من المدرسين (خوجة) الوافدين من خارج المصلحة [٢١١].

الجدير بالذكر أن هؤلاء الطلاب الذين تعلل ماسبرو بتعيينهم لإغلاق المدرسة قد تم فصلهم

---

٢١١ من وثائق وزارة الأشغال العمومية



ترجمة مذكرة من نظارة الاشغال العمومية لرئاسة مجلس النظار نمرة ٢٢١

ان المسيو ماسبرو مدير عموم الانتيقخانه اوضح فى تقرير قدمه الى النظارة عن مدرسة الآثار التاريخية المصرية التابعة للانتيقخانه منذ اربع سنوات ان تلامذتها قد تمموا دروسهم فجاء زمن الانتفاع بخدماتهم بتعيينهم مفتشى الحفر فى جهات الآثار التى ليس لها مراقبون للآن . ولكن لدى ان ترتيب خدمة الانتيقخانه قد تقرر وصودق عليه والمبالغ الوارده بميزانية سنة ١٨٨٦ لا تسمح بزيادة عدد المفتشين فالمسيو ماسبرو قد سعى فى تعيين هؤلاء الشبان بدون ان يلتمس لذلك زيادة مربوط الميزانية وعليه يطلب الغاء المدرسة المذكورة لانها اصبحت الآن عديمة الجدوى للانتيقخانه فضلا عن ذلك فان انشاءها كان موقتا وعملت ميزانيتها على تقدير ان الطلبة متى اتموا دروسهم والغيت المدرسة فمصاريفها التى كانت قد قدرت لها توفرت بالالغاء من خواجه وماهيات معلمين ومؤونة وملبوسات الى غير ذلك يفى لرواتب الوظائف التى تستجد . فالنظارة بناء على استصوابها ما ابداه المسيو ماسبرو فى هذا الشأن قد عدلت الجدولين المرموز اليهما بحرفى B و A المرفوقين بقرار المجلس الرقيم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٥ المختص بترتيب خدمة الانتيقخانه فجاء من هذا التعديل المحرر بالحبر الاحمر على الجدولين طيه ان عدد المفتشين الوارد بالجدول A صار احد عشر وكان اصله ستة فقط وان وظائف الثلاثة المعلمين صارت ملغية . هذا وانه يظهر من اول وهلة ان التغييرات المذكورة احدثت زيادة ١٨٠ جنيه فى مربوط الميزانية الاصلى ولكنها فى الحقيقة لم تحدث ادنى زيادة فى اجمالى ميزانية مصروفات الانتيقخانه لانه بالغاء المدرسة المحكى عنها تستغنى الحال عن مصاريفها من خواجه ومؤونة تلامذة واجر وغيره التى تزيد عن ٢٢٠ جنيه سنويا فبناء عليه نلتمس من المجلس صدور قرار باعتماد التعديلات المطلوب اجراؤها فى ترتيب خدمة الانتيقخانه مع ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٨٥

عن ناظر الاشغال العمومية

الوكيل

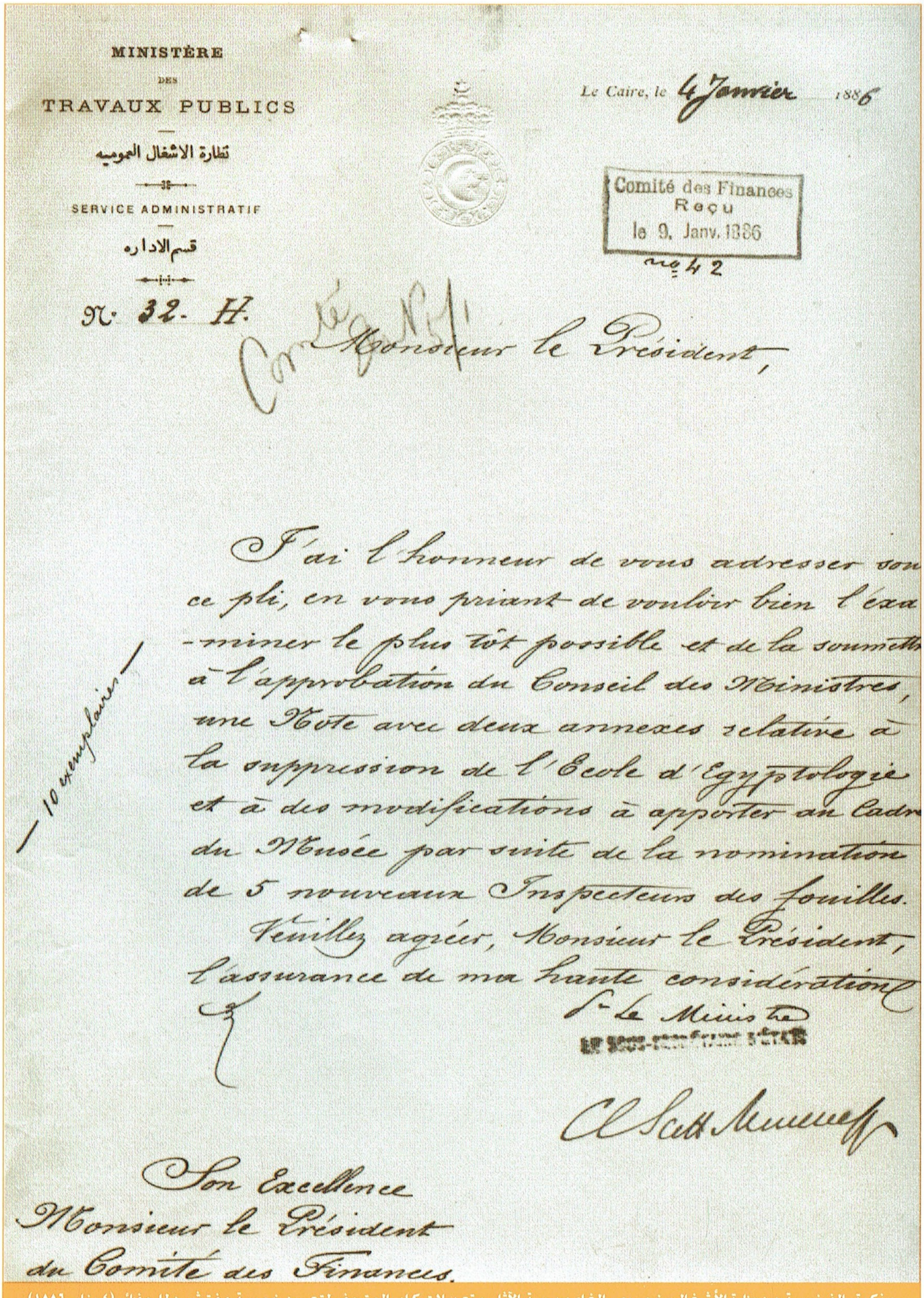
امضا (مونكريف)

هذه صورة الاصل طبق

رئيس الادارة

امضا (فريد اباظة)

مذكرة لإلغاء مدرسة الآثار وتعديل ميزانيتها بحجة تعيين خريجيها للعمل بمصلحة الآثار (٢٩ ديسمبر ١٨٨٥)



MINISTÈRE
DES
TRAVAUX PUBLICS
نظارة الاشغال العموميه
SERVICE ADMINISTRATIF
قسم الاداره

N. 32. H.

Le Caire, le 4 Janvier 1886

Comité des Finances
Reçu
le 9. Janv. 1886
no 42

Comité Fin.

Monsieur le Président,

J'ai l'honneur de vous adresser sous ce pli, en vous priant de vouloir bien l'examiner le plus tôt possible et de la soumettre à l'approbation du Conseil des Ministres, une Note avec deux annexes relative à la suppression de l'Ecole d'Egyptologie et à des modifications à apporter au Cadre du Musée par suite de la nomination de 5 nouveaux Inspecteurs des fouilles.

— 10 exemplaires —

Veuillez agréer, Monsieur le Président, l'assurance de ma haute considération.

p. le Ministre
LE SOUS-SECRÉTAIRE D'ÉTAT

C. Scott Moncrieff

Son Excellence
Monsieur le Président
du Comité des Finances.

مذكرة بالفرنسية من وزارة الأشغال بخصوص إلغاء مدرسة الآثار و تعديلات كادر المتحف لتعيين خمسة مفتشين للحفائر (٤ يناير ١٨٨٦)

من وظائفهم على يد خليفته المسيو (جريبو) لاحقاً، الذى عين بدلاً منهم موظفين عاديين لايفقهون فى الآثار شيئاً [٢١٢] !!!

ورغم أن الظروف لم تعد مواتية ، إلا أن حلم أحمد كمال فى توسيع نطاق الاهتمام بالآثار بين المصريين لم ينقطع أبداً، والتمس لتحقيقه وسائل عديدة كالكتابة فى المجلات والجرائد .. أو كإلقاء المحاضرات العامة. ثم تمكن كمال فى الأعوام ما بين ١٩٠٦ و ١٩٠٨ من أن يبشر بفكره فى منتدى ثقافى هام ومؤثر، وهو نادى المدارس العليا الذى أسس عام ١٩٠٥ وضم ٢٤٠ عضواً لم يلبثوا أن أصبحوا ٧٧٤ عام ١٩٠٩ [٢١٣] . وقد وفر هذا العدد الضخم حضوراً كثيفاً وتأثيراً واسعاً لمحاضراته فى أوساط الصفوة من المتعلمين والمثقفين فى فترة كانت تموج بروح متزايدة من الرفض والتمرد على الاستعمار خاصة بعد حادثة دنشواى فى ١٣ يونيو ١٩٠٦ .. مع تنامى الدعوات الوطنية المطالبة بالاستقلال والداعية للتشبث بالهوية المصرية.

يقول لطفى السيد الكاتب والمفكر وأحد زعماء حزب الأمة فى عام ١٩١٢ : (أنا لا أطالب كل مصرى أن يبدى قدرة على الملاحظة مثل شامبيلون ، ولامعرفة موسوعية بالآثار المصرية مثل ماسبرو ، ولامنافسة أثرية لكمال بك .. لكن ما نحتاجه هو محاضرات منتظمة وتعليم مستمر، سواء فى الجامعة المصرية أو فى أى هيئات علمية، بصورة تمكن أبناء مصر من أن يتآلفوا مع تاريخهم .. ليس بصورة علمية دقيقة، لكن بالشكل الذى نعهده فى السائحين الأوروبيين الذين يزورون بلادنا ويعرفون تاريخنا وتاريخ أجدادنا) [٢١٤] .

كما استطاع كمال أيضاً أن يقوم بالتدريس بالجامعة المصرية ما بين عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩، وتتلمذ على يديه الكثيرون (أمثال طه حسين كما ذكرنا)، وذلك غالباً بمساعدة ماسبرو عضو مجلس إدارة الجامعة الذى ربما يكون قد رشحه للتدريس بحكم منصبه [٢١٥] .

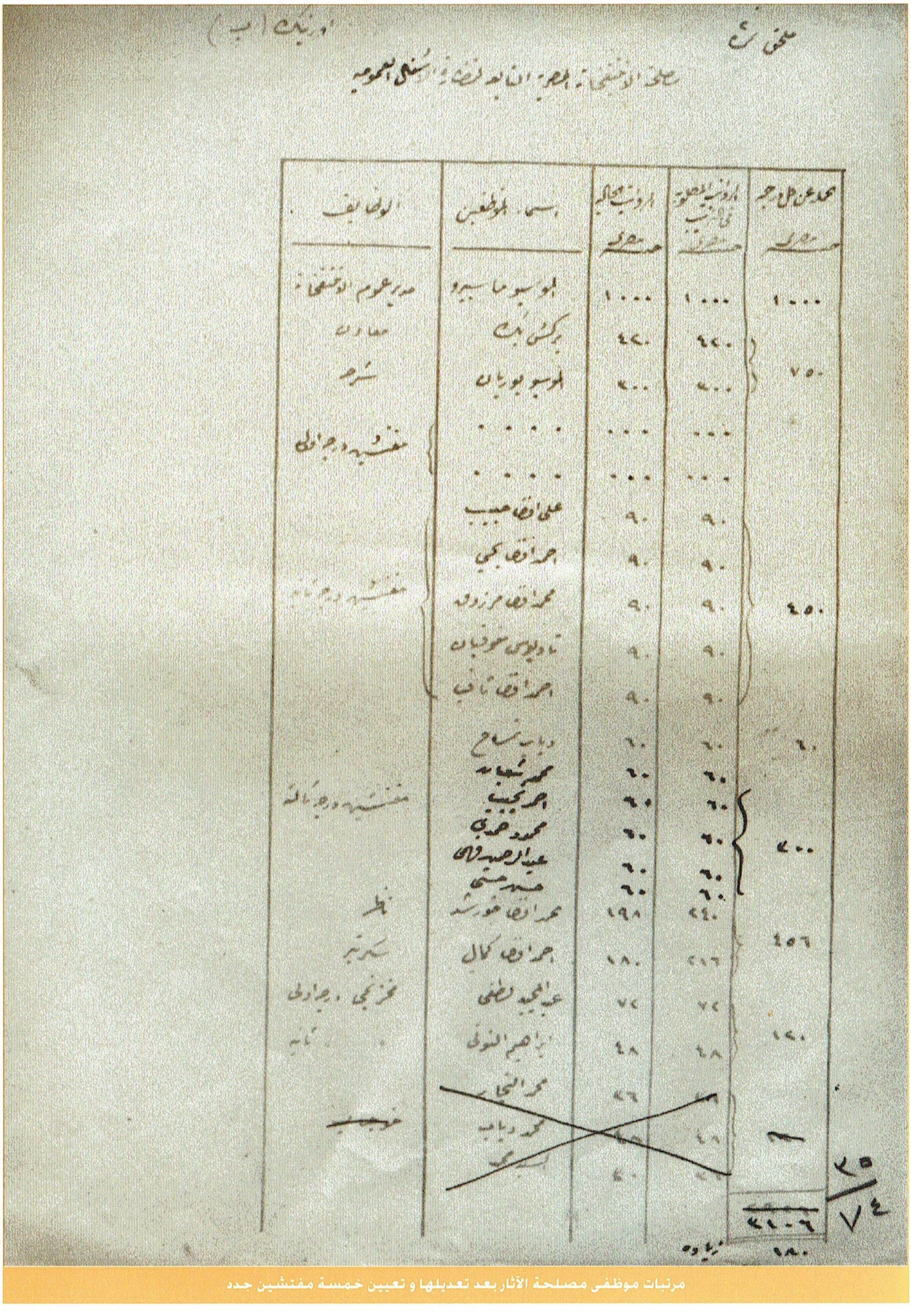
المحاولة الثالثة : تمكن أحمد كمال عام ١٩١٠ من إقناع أحمد باشا حشمت وزير المعارف بالموافقة على إنشاء فرقة لتدريس الآثار المصرية بمدرسة المعلمين الخديوية العليا والتحق بها سبع طلاب هم : سليم حسن (دكتور لاحقاً) وأحمد عبد الوهاب (باشا لاحقاً) ومحمود حمزة (بك لاحقاً) و رياض جندى ملطى وأحمد البدرى ورمسيس شافعى ومحمود فهيم بالإضافة الى إبن حسن كمال (الطبيب لاحقاً)، والذى كان يحضر الدروس، ثم انضم إليهم فى الفرقة الثانية محمد شفيق غربال.

٢١٢ الهلال : نوفمبر ١٩٢٣ - ص ١٣٩

٢١٣ Reid, Op. cit., p. 203

٢١٤ Ibid, p . 210 لم أتمكن من الوصول للنص العربى الأصلى، فاضطررت لترجمته من الإنجليزية

٢١٥ Ibid, Op. cit., p. 203



ملحق ش

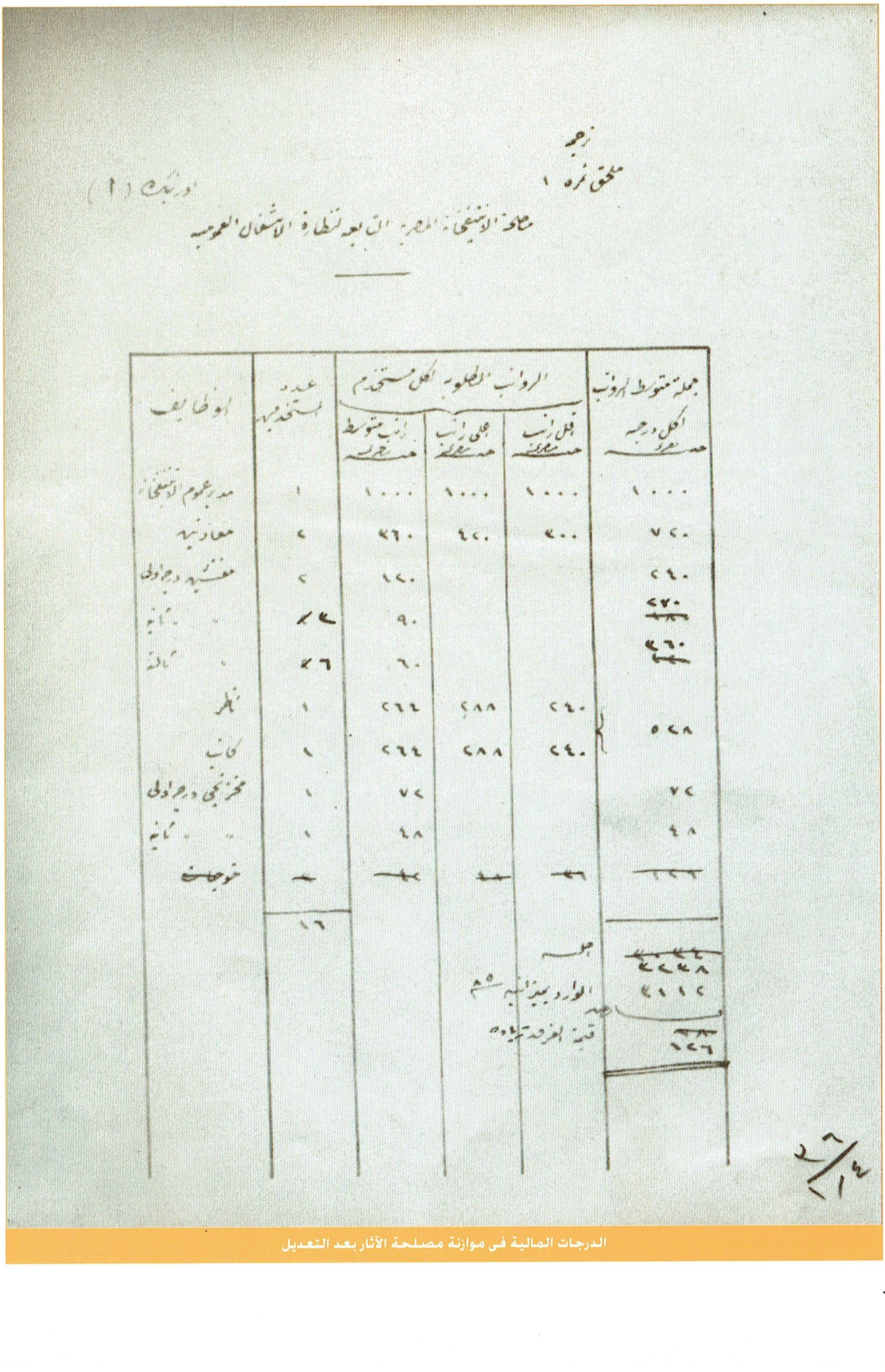
[illegible] (ب)

[illegible]

مجموع [illegible]	الرواتب [illegible]	الرواتب [illegible]	أسماء الموظفين	الوظائف
١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	الموسيو ماسبيرو	مدير عموم الانتيكخانة
٧٥٠	٤٢٠	٤٢٠	بركش بك	معاون
	٤٠٠	٤٠٠	الموسيو بوريان	مترجم
	٠٠٠	٠٠٠	.....	مفتشين درجة أولى
	٠٠٠	٠٠٠	.....	
	٩٠	٩٠	علي أفندي حبيب	
	٩٠	٩٠	أحمد أفندي [illegible]	
٤٥٠	٩٠	٩٠	محمد أفندي [illegible]	مفتشين درجة ثانية
	٩٠	٩٠	تادرس [illegible]	
	٩٠	٩٠	أحمد أفندي [illegible]	
٦٠	٦٠	٦٠	دياب [illegible]	
	٦٠	٦٠	محمد شعبان	
	٦٠	٦٠	أحمد [illegible]	مفتشين درجة ثالثة
٤٠٠	٦٠	٦٠	محمود [illegible]	
	٦٠	٦٠	عبد الحميد [illegible]	
	٦٠	٦٠	[illegible]	
	٢٤٠	١٩٨	أحمد أفندي خورشيد	ناظر
٤٥٦	٢١٦	١٨٠	أحمد أفندي كمال	سكرتير
	٧٢	٧٢	عبد المجيد لطفي	مخزنجي درجة أولى
١٢٠	٤٨	٤٨	إبراهيم [illegible]	ثانية
	[illegible]	٤٦	محمد [illegible]	
[illegible]	٤٨	[illegible]	محمود دياب	[illegible]
	[illegible]	٤٠	[illegible]	
٢١٠٦				
زيادة ١٨٠				

٢٥ / ٧٤

مرتبات موظفي مصلحة الآثار بعد تعديلها و تعيين خمسة مفتشين جدد



ترجمة

ملحق نمرة ١

ورقة (١)

ماهيات الأنتيكخانة المصرية التابعة لنظارة الأشغال العمومية

جملة متوسط الرواتب لكل درجة (جنيه مصري)	الرواتب المطلوبة لكل مستخدم: أقل راتب (جنيه مصري)	أعلى راتب (جنيه مصري)	راتب متوسط (جنيه مصري)	عدد المستخدمين	الوظائف
١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١	مدير عموم الأنتيكخانة
٧٢٠	٣٠٠	٤٢٠	٣٦٠	٢	معاونين
٢٤٠			١٢٠	٢	مفتشين درجة أولى
٢٧٠			٩٠	٣	" ثانية
٣٦٠			٦٠	٣٦	" ثالثة
٥٢٨	٢٤٠	٢٨٨	٢٦٤	١	ناظر
	٢٤٠	٢٨٨	٢٦٤	١	كاتب
٧٢			٧٢	١	مخزنجي درجة أولى
٤٨			٤٨	١	" ثانية
—	—	—	—	—	خوجات
				١٦	

جملة ٢٢٢٨

الوارد بميزانية ٩٥ ٢١١٢

قيمة الزيادة ١٢٦

الدرجات المالية في موازنة مصلحة الآثار بعد التعديل



تمثال سليم حسن بحديقة المتحف المصرى

كان كمال يلقى عليهم محاضرتين أسبوعياً إحداهما بالمدرسة والثانية فى المتحف، كما صحبهم لزيارة آثار الصعيد [٢١٦] . ثم بعد أن أكملت الفرقة الأولى دراستها عام ١٩١٢ م ونالت دبلوم مدرسة المعلمين الخديوية العليا حاول كمال كعادته إلحاق تلاميذه بالمتحف المصرى أو بأحد التفاتيش .. لكن هيهات والأجانب متربصون بالمصريين حتى لا يزاحمونهم، فاضطر الخريجون للعمل بالتدريس وتشتتوا فى البلاد عدا محمود حمزة و سليم حسن، اللذان عملا بمدارس القاهرة مما مكنهما من استكمال دراسة الآثار فى منزل كمال وفى المتحف (حتى تمكن عام ١٩٢١ من أن يلحقهما به أخيراً بعد أن التمس من الملك فؤاد تعيين مصريين بالمتحف لخلوه منهم) .[٢١٧]

وفى عام ١٩١٣ اختارت وزارة المعارف ستة طلاب آخرين ليدرسوا الآثار المصرية، على أن يعينوا جميعاً فى المدارس الأميرية. فدرّس لهم كمال وزار معهم الآثار لمدة عامين حتى ألغى هذا الدرس أيضاً عام ١٩١٤ من مدرسة المعلمين لعدم وجود المال الكافى [٢١٨] ..!! وهكذا أجهضت محاولة تدريس الآثار للمصريين لثالث مرة .

المحاولة الرابعة : ولأن أحمد كمال قد جبل على الروح القتالية كما رأينا، فإنه لم يستسلم أو يفقد الأمل .. فبعد اكتشاف آثار توت عنخ أمون عام ١٩٢٢، وبسبب الصدى الكبير الذى أحدثه هذا الكشف فى مصر والعالم، أراد كمال أن يستثمر ذلك .. فتفاوض مع يحيى ابراهيم باشا وزير المعارف حينذاك على فكرة إنشاء مدرسة مدتها أربع سنوات لتعليم عشرة من التلاميذ الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية والقبطية والعبرية واليونانية واللاتينية. ثم اتفقا على ضمان إلحاق خريجى أول دفعة بمصلحة الآثار المصرية.

ثم تولى توفيق باشا رفعت وزارة المعارف خلفاً ليحيى إبراهيم، فعقد جلسة ضمت أحمد كمال والمسيو لاكو (مدير المتحف المصرى) وإسماعيل حسنين باشا وكيل المعارف ومغربى باشا. واتفقوا جميعاً على تعيين كمال لتدريس اللغة المصرية وعلم العاديات (الآثار) طبقاً للبرنامج الذى يضعه، وذلك بمرتب سنوى قدره ٤٠٠ جنيه مصرى .

---

٢١٦ مجلة المجمع العلمى العربى : سبتمبر ١٩٢٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠٣ ، يذكر المعلوف خطأً أنه قد افتتحت مدرسة لتعليم اللسان المصري القديم، والصحيح أنها كانت مجرد فرقة بمدرسة المعلمين ؛

توفيق حبيب : الهلال ـ نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ١٣٩ ، حيث يذكر : محمود عبد الوهاب ومحمد فهيم بدلاً من أحمد عبد الوهاب ومحمود فهيم، كما لم يأتِ على ذكر محمود حمزة ضمن هؤلاء الطلاب ؛

المقتطف : نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ٢٧٥؛ جمال مختار : مجلة الجمعية التاريخية : مرجع سابق ـ ص ٥٥ ، وقد أسقط كلاً من : حسن كمال ومحمود فهيم من أسماء الطلاب

٢١٧ المرجع السابق : ص ٥٦ ؛ الهلال : نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ١٣٩ .

٢١٨ المقتطف : نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ص ٢٧٥ – ٧٦

كما اتفقوا على أن يتولى د. جورجى صبحى تدريس القبطية والدكتور العنانى (من أساتذة الجامعة المصرية) تدريس العبرية. وعهدوا للمسيو لاكو اختيار أحد رجال المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة لتدريس اليونانية واللاتينية .. وذلك مقابل ٢٠٠ جنيه سنوياً لكل من الأساتذة الثلاثة نظير إلقاء ثلاثة دروس أسبوعياً. وكذلك قرروا تعيين مبلغ ١٥٠ جنيهاً لشراء الكتب بالإضافة إلى ٥٠ جنيهاً لزيارة الآثار فى الجيزة وسقارة وغيرهما فى ضواحى القاهرة.

لكن القدر لم يمهل كمال ليحصد بفرحته ما ظل يزرعه ويحاول غرسه طيلة حياته .. ففى اليوم الذى أصدرت فيه وزارة المعارف أمرها بتعيينه مديراً وأستاذاً للمدرسة، صدر أيضاً تصريح دفن جثة أحمد باشا كمال من طبيب الصحة [٢١٩]. لكن غرس كمال لم يمت، وقدر لزرعته أن تنمو و تزدهر .. فما ينفع الناس يمكث فى الأرض.

تعطل مؤقتاً افتتاح مدرسة اللسان المصرى القديم بموت مؤسسها، لكنها افتتحت أخيرًا فى يناير ١٩٢٤ بعد وفاته بخمسة أشهر كقسم للآثار ملحق بمدرسة المعلمين العليا، والتحق بها ١٧ طالباً من الحاصلين على البكالوريا .. حيث تولى الأستاذ الروسى جولنشيف تدريس الهيروغليفية بدلاً من كمال. ثم انضم إليهم عشرة طلاب مستمعين من غير ذوى المؤهلات المدرسية.

و فى عام ١٩٢٥ إفتُتحت الجامعة المصرية بعد ضمها للحكومة، فأنشئت بها كلية الآداب التى ضمت قسماً للآثار ضمن أقسامها، وجعلت مدة دراسة الآثار أربع سنوات يحصل بعدها الطالب على شهادة ليسانس فى الآداب، وبعد سنتين على الأقل يقدم أطروحة للحصول على الماجستير ثم سنتين أخريين للحصول على الدكتوراه [٢٢٠] .. وهكذا أورقت وأزهرت شجرة الآثار التى غرسها أحمد كمال أبو الأثريين المصريين، والتى لم يقدر له أن يشهد تفتحها وإخراجها الثمار من كل لون .. وإن كانت بعد تحتاج لجهد وعرق أمثال كمال، ليشتد عودها وتتعمق جذورها فى أرض شديدة الخصوبة لم نستثمرها كغيرنا بعد.

---

٢١٩ توفيق حبيب: الهلال ـ نوفمبر ١٩٢٣ ـ ص ص ١٤٠ – ٤١

٢٢٠ توفيق حبيب: المقتطف ـ إبريل ١٩٢٨ ص ص ٤٣٩ ـ ٤٠ ؛ جمال مختار : مرجع سابق ـ ص ٥٦

حفائره و قصة الخيبة

رأينا كيف استطاع كمال أن يقتحم بعد عناء «قلعة» مصلحة الأنتيقخانة الموصدة فى وجه أى أثرى مصرى. ورغم قبول الأوروبيين به وسطهم على مضض، فإن محاولات تهميشه والإقلال من حجمه وقدراته لم تنقطع .. وهى المحاولات التى دفعته لمزيد من الجد والاجتهاد، وللإستغلال الأمثل للركن الضيق المظلم الذى سمحوا له بالقبوع فيه.

فبينما استأثر الأجانب بالحفر فى المواقع الأثرية الثمينة مثل الجيزة وسقارة والكرنك ووادى الملوك ذات الآثار الضخمة العملاقة والحفائر الواعدة المثمرة، فلم يسمح لأثرى مصرى بالتنقيب فيها .. وتركوا لأمثال كمال ما اعتبروه فتاتاً .. فاكتفى بالحفر فى المواقع ضئيلة النواتج التى يصعب الوصول إليها، ولكن بهمة عالية وبحماسه المعهود الذى لم ينقطع عنه يوما.

استطاع ماسبرو أن يقصى كافة المصريين من الحصول على تصاريح بالحفر، وذلك بوضعه شروطاً تعجيزية، تمثلت ليس فقط فى ضرورة أن يكون طالب التصريح دارساً للمصريات، لكنه أيضاً يجب أن يكفله متحف أو معهد أكاديمى . فقد كانت حجة ماسبرو أن المصريين يريدون فقط الحفر من أجل الكنوز وليس بدافع الرغبة العلمية .. [٢٢١] ! وهو ما قد يكون صحيحاً إلى حد ما .. ولكن، ألم تكن هذه (الكنوز) تصب فى النهاية عند الأوروبيين ومتاحفهم ؟ أليسوا هم وحدهم دون غيرهم الذين استثاروا فى بعض المصريين شهوة البحث عنها لصالحهم؟ ألم تمتلئ مصر وقتها باللصوص الأوروبيين الذين تمكنوا حتى فى وجود مارييت وماسبرو - بل وبموافقة منهما أحياناً - من اقتناص الكثير ؟..

و مع ذلك فقد تمكن كمال متأخراً نسبياً من أن يحفر فى مواقع عديدة فى صعيد مصر ودلتاها، واستخرج منها الكثير من القطع التى ازدانت بها متاحف مصر .. فقد حفر فى قوص (١٨٩٨م)، ودير البرشا فى المنيا (أعوام ١٩٠٠ و ١٩٠١و ١٩٠٢)، والحيبة (١٩٠٠)م، وعرب البرج (١٩٠١)، والمطرية (١٩٠٢)، وكفر أبو شهبة (ببا - بنى سويف)(١٩٠٢م)، وجبل الطير وطهنا وأوسيم وزيتون (١٩٠٣)، وتل قرب المحلة الكبرى (١٩٠٦)، وأطفيح بالجيزة (١٩٠٦)، والجنادلة (حفائر سيد خشبة) ومنقباد (١٩١٠ و ١٩١٢)، ودير ريفة (مقبرة قبطية) (١٩١١/١٩١٢) , ودارة فى الصحراء الغربية (١٩١١)، وقصير العمارنة (١٩١١)، ودير الجبراوى (١٩١٢)، والمنطقة الواقعة بين (مير) والأخصاص (١٩١٢)، ووادى حميد (جبل أبو فدا) (مقبرة

---

٢٢١ Reid, Op. cit., p. 202

قبطية (١٩١٢)، وتل جمهود (بين الفيوم وبنى حسن غرب الفشن) (١٩٠٧)، (وتل الأشعار (البرلس) وبلطيم (معبد بطلمى صغير) (١٩٠٨)، وغرب معبد أبو الهول (١٩٠٧)، والمنطقة الواقعة بين دير البرشة وشيخ زبيدة (بتمويل إدريس بك راغب) (١٩٠٩)، وتل الأتامنة (جنوب دارة)، وشريفة فى الصحراء الغربية، وتتاليا (جبانة يونانية رومانية) (١٩١٣)، (ومير) بأسيوط (١٩١٣)، ودير درنكا بأسيوط (١٩١٣)، وحفائر أسيوط (١٩١٣)، وجبل الشيخ سعيد، ودمية السباع (شمال بحيرة قارون).. هذا غير التقارير التفتيشية Inspections عن مناطق مختلفة مثل: تل فرعون (بوتو القديمة)، وأسيوط، ومحاجر زاوية ناصرة، والجيزة، وتل بسطا، وهليوبوليس وغيرهم [٢٢٢].

إلا أن أهم حفائره لتلك التى فى ديروط (كتب مقالاً عنها فى مجلة حوليات مصلحة الآثار فى ١٤٠ صفحة) .. بالإضافة إلى ما عرف باسم (خبيئة الدير البحري) وهى من أهم اكتشافات الآثار المصرية على الإطلاق.

لكن تجدر الإشارة لنقطة هامة تتعلق بالتساؤل عن سبب إحجام كمال عن الكتابة حول اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون الذى أثار اهتمام العالم ؟ .. خاصة أن الكشف قد تم عام ١٩٢٢ أى قبيل وفاته بنحو عام. والسبب ببساطة يكمن فى أن كمال وقت الكشف كان قد تجاوز السبعين عاماً ولم يعد فى الغالب يقوى على تحمل مشاق رحلة طويلة نحو الأقصر لمشاهدته. كما أن الكشف ذاته حتى وفاته لم تكن المعلومات العلمية المتاحة بشأنه كافية للإدلاء بأى رأى علمى حوله. وهو ماتؤكده كلمات كمال نفسه فى مقال نشر له بعد شهور من الكشف فى يناير من عام ١٩٢٣ بعنوان (توت عنخ آمون وبالإدغام توتعنخامون):

« وهذا الملك هو الذى اكتشف الآن قبره وأثاثاته كاملة سليمة فى مدينة طيبة الغربية فى الجهة الشهيرة ببيبان الملوك على يمين المداخل من الدرب الذى هناك بين مقبرتى الملك منفتاح وهو محب خلف المكان المقام فيه مخفر الحرس المعين من قبل مصلحة الآثار لحفظ قبور الملوك) [٢٢٣].

تميزت حفائر كمال فى عمومها بقصر المدة التى استغرقها كل منها بشكل ملحوظ، فاستغرقت مثلاً حفائر الحيبة ٧ أيام فقط، بينما استغرقت حفائر أطفيح ٣ أيام، ودير الجبراوى ٨ أيام، ووادى حميد ١٠ أيام، وتل جمهود أسبوعاً، والمنطقة بين دير البرشة والشيخ زبيد ٨ أيام، ودير درنكا ٢٠ يوماً، وبعضها استغرق شهرين أو أكثر أو أقل [٢٢٤] ..

---

٢٢٢ D. A. Ghazi, ASAE 64, 1981, pp. 1 - 5; H.Sallam, Op. cit., p. 1017 ؛ جمال مختار: مرجع سابق ـ ص ص ٥٣ – ٥٤

٢٢٣ المقتطف ٦٢ : يناير ١٩٢٣ ـ ص ص ٦ –٨

٢٢٤ ASAE 64, Op. cit., pp. 1 - 5

ولا نعرف لهذا سبباً محدداً .. إلا أن قلة الاعتمادات المالية بسبب التضييق على عمل المصريين بالحفائر قد تكون سبباً مقنعاً .. لكن الأهم كما يبدو هو رغبة كمال الشخصية - بدافع إحساسه بالمسئولية بصفته الأثرى المصرى الوحيد بالمصلحة - فى تنفيذ أوسع مسح أثرى ممكن وفى أقصر وقت .. بهدف تحديد أهم مواقع الآثار فى مصر، وذلك حتى تتمكن السلطات من أن تبسط يدها عليها حماية لها من عبث العابثين. وهو ما نجح فيه فعلاً واستطاعت المصلحة أن تضم إلى حوزتها أراضٍ واسعة بسببه. فلم يكن كمال يسعى مثل ماربييت مثلاً إلى استخراج الكنوز والآثار الثمينة أو حتى لتخليد اسمه وتحقيق مجد شخصى .. فقد كان رجلاً وطنياً مخلصاً بالدرجة الأولى، تحدوه آمال وطموحات وطنه .. مقدماً الصالح العام على أى شئ آخر وهو ما تدلنا عليه كافة مواقفه.

تميز كمال أيضاً فى حفائره بعدد من الصفات الهامة: فقد تمتع بمقدرة عالية على الرسم الهندسى، وكانت تقاريره عن الحفائر دقيقة ومركزة وشاملة أيضاً لكل ما يعثر عليه من نواتج الحفر، كما كان يحرص على تحديد مكان كل قطعة. هذا بالإضافة لأمانته العلمية التى حرص بسببها على نسبة كل معلومة لصاحبها. كما تمتع كمال بحس أثرى عالى وعين لاقطة مكنته أثناء تنقله وترحاله بين ربوع مصر من التحليل الدقيق للمعلومات، وكذلك الربط بين القديم والمعاصر فيما يتعلق بمفردات الحضارة [٢٢٥].

٢٢٥ د. عبد العزيز صادق: ندوة أحمد كمال - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - غير منشورة ١٩٧٧ (تسجيل صوتى)

الخبيئة

يقرأ (ماسبرو) بصوت عميق هادئ فى اجتماع لعلماء الآثار حضره كمال:

« لك الخشوع يا رب الضياء

يا من تسكن فى قلب البيت الكبير

يا أمير الليل والظلام

جئت لك روحاً طاهرة

فهب لى فماً أتكلم به عندك

وأسرع لى بقلبى يوم أن تتثاقل السحب ويتكاثف الظلام..

إعطنى اسمى فى البيت الكبير

وأعد إلىّ الذاكرة .. يوم أن تحصى السنين » ..

ثم يواصل ماسبرو حديثه لمن حوله: « صدى بعيد يأتى من طيبة البعيدة، يفصله عن يومنا هذا ثلاث آلاف سنة .. لعلكم تبينتم أنه فصل من كتاب الموتى وترديد هذه البردية يعيد للميت قدرته على أن يتذكر اسمه .. أى روح بلا إسم تهيم فى عناء دائم .. فضياع الإسم يساوى ضياع الشخصية »[٢٢٦] ..



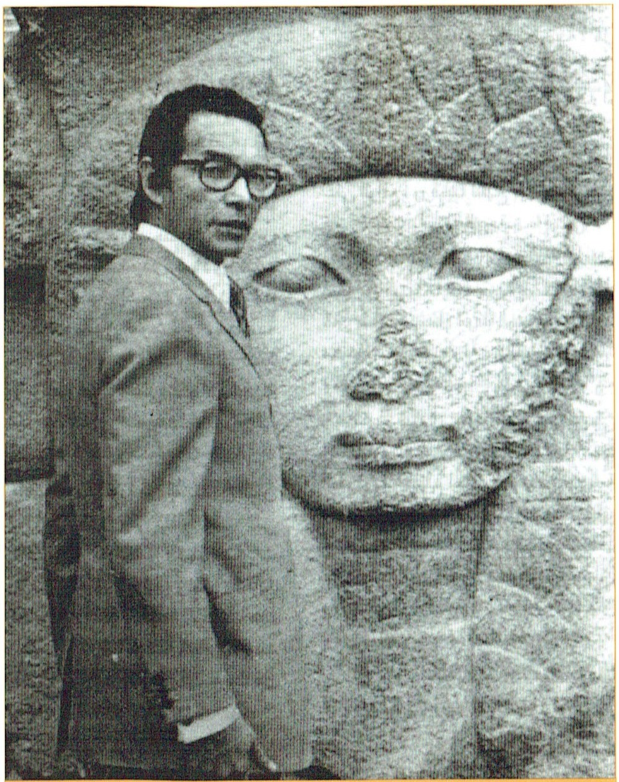
فيلم المومياء

بهذه الكلمات العميقة بدأ المخرج المصرى الرائع شادى عبد السلام أول مشاهد فيلمه الفريد (المومياء)، والذى استقى أحداثه من الوقائع الحقيقية لقصة اكتشاف خبيئة الدير البحرى على يدى أحمد كمال وإميل بروجش. وقع اختيار شادى ـ أهم مخرجى السينما المصرية ـ على هذا الحدث الهام فى تاريخ اكتشافات الآثار المصرية لسبب بسيط .. فقد أراد أن يوجه رسالة للمصريين ـ كما يبدو من كلمات ماسبرو السابقة ـ مفادها : لو انفصلتم عن حضارتكم القديمة ونسيتموها وضاعت منكم فأنتم أرواح تائهة هائمة كتب عليها العناء الأزلى، لأنها صارت «بلا شخصية».

بل ليس من المستغرب أو من قبيل المصادفة أيضاً أن يقع اختيار شادى على شخصية أحمد كمال ـ بطل هذا الحدث ـ كتجسيد للمثقف المصرى المستنير الذى يتفانى فى الدفاع والحفاظ على تراث أجداده، بصفته حاملاً للعلم والمعرفة، وذلك مقابل أفراد قبيلة (الحُرابات) - أسرة عبد الرسول فى الحقيقة - الذين يجسدون الصورة النقيضة المفعمة بالجهل والانفصال عن هذا التراث .. وبالتالى يعيشون على انتهاك حرمات الموتى والاتجار بمحتويات مقابرهم .. فالآثار و النقوش على الجدران

---

٢٢٦ من سيناريو فيلم المومياء: مجلة القاهرة ـ ١٤٥ ـ ديسمبر ـ ١٩٩٤ ـ ص ١٧٨


المخرج شادى عبد السلام

لديهم ليست سوى (رجال يسيرون إلى لا مكان، وسفن ترحل إلى لا مكان وأعمدة لا ترفع سقفاً) [٢٢٧].

لهذا كان الاحتكاك بين أحد أفراد هذه القبيلة من ذوى الضمائر (ونيس)، وبين العلم والمعرفة اللذين يمثلهما كمال، حدثاً مفصلياً فى دراما هذا الفيلم. فقد أحدث فعله التنويرى المتوقع، والذى أفضى فى النهاية (لإعادة بعث) مومياوات الخبيئة كرمز للحضارة المصرية القديمة كلها (وخروجها إلى النهار) prt m hrw بعد أن نُطقت أسماؤها واستردت كيانها .. وهو ما جسده شادى فى مشهد فريد لا يُنسى.

فالإشكالية الأساسية فى الإهمال والتجاهل – كما يطرحها الفيلم – هى الجهل بالأشياء وطبائعها .. فعندما سأل ونيس أحد الغرباء عما يبحث عنه (أفندية القاهرة) الذين يمثلهم كمال فى جوف جبلهم أجابه : (يقولون أنهم يبحثون عن قوم نعيش اليوم على أطلالهم .. يسمونهم الجدود ويقرأون على الحجر كتاباتهم وأسماءهم ويهتمون بهم ويحافظون على ...) ... فيقاطعه ونيس منفعلاً : (كفى.. إنهم موتى موتى .. لا أحد يعرف لهم آباء أو أبناء.. كفى ما قلت .. جعلت الأحجار تبدو حية أمامي) [٢٢٨] . وهكذا .. عندما بدأ الجهل يغادر عقله، انتابه إحساس بحيويتها، مما سيتبعه بالضرورة شعور بالانتماء لها وبوجوب صيانتها.

كان شادى يكره القبح بكافة ظواهره، ويرى أن الجمال الذى يسعى للكمال هو القيمة الأساسية فى الوجود. وهو جزء من القداسة والخير [٢٢٩] . فمثلت شخصية كمال فى الفيلم (إسماً وفعلاً) تلك القيمة الجمالية الساعية للكمال .. لكن شادى فى نفس الوقت لا يُدين تلك القبيلة من اللصوص لأنها كما يقول : (ترمز للشعب الذى يحتفظ بالثقافة القومية). فهو يرى (أن ونيس وكمال وإن لم يتحدثا قبل لقائهما الواحد بالآخر أبداً، إلا أنهما كانا أخوين، فهما يمثلان قطبين من أقطاب المجتمع المصرى. وسوف يجئ يوم تشترك فيه كل الجماهير المصرية فى ثقافة واحدة) [٢٣٠] .. والغريب والمثير

---

٢٢٧ المرجع السابق: ص ١٩٦

٢٢٨ المرجع السابق : ص ٢٠٧

٢٢٩ المرجع السابق ـ من مقال يحى عزمى ـ ص ٥٨

أن هذا كان أيضاً بالفعل حلم كمال الذى سعى طيلة حياته إلى تحقيقه عن طريق الكتابات والمحاضرات والتدريس الخ .

لكن وجه التشابه الأهم بين فكر كمال و رؤية شادى تتمثل فى ذلك المناخ الفكرى والثقافى العام الذى أطلق كل منهما فيه دعوته .. فقد أنتج فيلم المومياء عام ١٩٦٨ فى الفترة التى تلت نكسة ١٩٦٧ مباشرة، والتى شاع فيها الإحساس بالمرارة والانكسار، والرغبة فى استدعاء المجد البائد من خلال هوية صلبة تواجه ذلك الشعور بالتفسخ وفقدان الثقة بالنفس. فتلمس البعض وقتها تلك الهوية فى الثقافة العربية الإسلامية، بينما التمسها آخرون مثل شادى فى الثقافة المصرية القديمة كبديل صلب، خاصة أن الانكسار من وجهة نظر أصحاب تلك الدعوة وقتها قد حدث فى ظل وتحت رايات (القومية العربية) وتنحية إسم (مصر) من لقب الدولة الرسمى لصالح الاتجاه الوحدوى.

وهى نفس الأجواء تقريباً التى سادت الحقبة التى شهدت أوج نشاط كمال العلمى والأثرى .. وهى السنوات التى تلت الاحتلال الإنجليزى لمصر وحتى وفاته فى نهاية الربع الأول من القرن العشرين، لكن كمال اختلف عن شادى فى كونه حاول التقريب بين الدعوتين والهويتين: العربية والفرعونية، ولم يجد بينهما أى تناقض، بل رآهما على العكس مكملين لبعضهما البعض.

تعود وقائع القصة الحقيقية لكشف خبيئة الدير البحرى إلى عام ١٨٧١م، عندما توصل ثلاثة أفراد من عائلة عبد الرسول المقيمة فى (القرنة) بغرب الأقصر إلى خبيئة مثيرة فى جبل الدير البحرى. حيث تمكنوا من العثور على عدد كبير من المومياوات والأثاث الجنزى مخفية بعناية فى جزء ناءٍ بالجبل .. فتصرفوا بحذر شديد، ولم يأخذوا شيئاً من هذا الكنز سوى ثلاث مرات خلال عشر سنـوات [٢٣١].

لكن لم تلبث أن ظهرت فى الأسواق قطع أثرية هامة جداً بدا أنها جاءت من مقابر ملكية (من بينها بردية « باى نجم » الأول). و أشارت التحريات إلى أن أفراد من عائلة عبد الرسول وراء هذه السرقات، وأنهم على صلة بالوكيل القنصلى لبريطانيا وبلجيكا وروسيا معاً وهو (مصطفى أغا عياط) ، وأنهم ربما يقومون بتسويق مسروقاتهم تحت حمايته.

أرسل ماسبرو فى البداية مساعده «إميل بروجش» متنكراً فى زى سائح ثرى لتقصى الحقيقة. وقد عُرض على بروجش بعد مدة طويـلة تمثال صغير أصلى تبين أنه من مقبرة ملكية ويعـود للأسـرة ٢١. فدفع بروجش ثمنه وطلب المزيد، فاصطحبوه لمنزل عبد الرسول وأروه مجموعة قطع جنائزية من مقابر الأسرتين ١٩ و ٢٠. بادر بروجش بطلب القبض على المتهم وأخذه للمديرية

٢٣٠ المرجع السابق ـ حوار مترجم ـ ترجمة كاميليا صبحى ـ ص ١٦٥

٢٣١ عبد الحليم نور الدين: دراسة فى تاريخ وحضارة مصر القديمة ـ القاهرة ـ ١٩٩٧ ـ ص ٢٥٥

للتحقيق، لكنه فوجئ بسيل من شهادات أهل بلده والموظفين وأقاربه تشهد له بالأمانة والاستقامة.

و رغم تعذيبه هو و أخوته فلم يغير أحدهم أقواله، وفشلت المحاولة وأغلق التحقيق [٢٣٢] .

لكن حدث أنه فى صيف ١٨٨١، وأثناء قضاء ماسبرو لأجازته الصيفية فى باريس [٢٣٣]، أن أرسل الخديو كلاً من أحمد كمال وإميل بروجش إلى الأقصر بناء على إشارة عاجلة غالبا، بهدف مفاجأة اللصوص الذين اعتادوا مجئ رجال الآثار صيفاً وليس شتاء.

كانت المفاجأة الغير متوقعة قد حدثت، وانقلب أحد الأخوة على أخوته. فبعد أن تم تعذيبه وخرج من السجن، طالب بأن يرتفع نصيبه من حصيلة المسروقات للنصف بدلاً من الثلث، لكن شريكاه رفضا.. فأضمرها فى نفسه . ثم توجه لمدير قنا وأبدى استعداده للإرشاد عن الموقع المنشود، فسارع الأخير بدوره بإرسال الخبر للقاهرة يستعجلهم فى الحضور [٢٣٤].

يحكى د. حسن قصة طريفة - نقلاً عن والده أحمد كمال - وقعت لكمال وبروجش عند توجههما لمقابلة مدير قنا .. فعندما نزلا من السفينة تراءى لهما السير على الأقدام هذه المسافة الطويلة من النيل لديوان المديرية فى لهيب شمس يوليو. وحدث أن ألمت ببروكش نوبة مغص كلوى شديدة اضطر من جرائها إلى الاستراحة قليلاً تحت شجرة وبجانبه كمال يواسيه. ولما ذهب عن بروجش الألم وشرعا يستعدان لمواصلة المسير تفقد أحدهما حذاءه اللامع فوجد طبقته اللامعة قد سالت وخلفت قماشاً أسوداً من شدة الحر !! ولما وصلا إلى ديوان المديرية لمقابلة المدير علما أنه فى الحمام يطفئ لهيب الحر.. [٢٣٥] ! ولنا أن نتوقع بعد ذلك حجم المعاناة التى لقياها بعد العثور على الخبيئة فى تلك الأجواء الملتهبة.

إصطحب محمد أحمد عبد الرسول كلاً من أحمد كمال وإميل بروجش فى الخامس من يوليو إلى المكان الذى يفضى إلى المقبرة، وذلك بعد أن أدلى بتفاصل شهادته رسمياً مقابل حصوله على حصانة لعدم الإضرار به، وكذلك ٥٠٠ جنيه كمكافأة له بالإضافة إلى تعيينه فى وظيفة رئيس عمال حفائر.

توجهوا للدير البحرى وتسلقوا تلاً شديد الانحدار، إلى أن وصلوا عند ارتفاع ١٨٠ قدماً إلى فتحة بين الصخور تقود إلى بئر على عمق ٣٥ قدماً . فأدلى بروجش بحبل إلى القاع حيث وجد

---

٢٣٢ بيتر فرانس: إغتصاب مصر - ترجمة محمد مستجير - سينا للنشر - القاهرة - ١٩٩٨ - ص ١٦٩

٢٣٣ D. M. Reid, Whose pharaohs?, AUC press, Cairo, 2002, p. 186

٢٣٤ بيتر فرانس: مرجع سابق - ص ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ عبد الحليم نور الدين : مرجع سابق - ص ٢٥٥

٢٣٥ د. حسن كمال : مصلحة الآثار المصرية.. - المقتطف ٨٧ - ديسمبر ١٩٣٥ - ص ٧٩

سرداباً متعرجاً بطول ١٥٠ متراً، وينتهى بحجرة واسعة طولها حوالى ٨ أمتار تحوى عجائب تجاوزت الخيال [٢٣٦] .. وأول ما وقع نظرهما كان على تابوت (نسى خونسو) ثم سيتى الأول .. و تحت بصيص ضوء شمعة شاهد المكتشفان لمدة ساعتين ما لم يخطر على قلب بشر من قبل [٢٣٧].

يقول ماسبرو ـ استناداً إلى ما تلقاه من تقارير ـ :

« إن تقرير محمد أحمد عبد الرسول الذى كان يبدو لأول وهلة مبالغاً فيه كان تعبيراً متواضعاً عن الحقيقة، فحيثما كنت أتوقع أن أعثر على ملك أو ملكين من صغار الملوك خاملى الذكر، كان العرب (الأهالى) قد كشفوا عن مقبرة مملوءة عن آخرها بالفراعنة. و أى فراعنة! ربما كانوا من أشهر فراعنة تاريخ مصر .. وظن السيد إميل بروكش أنه كان ضحية حلم، إذ وجد نفسه فجأة وسط مثل هذه الجماعـة »[٢٣٨]

فقد عثر المكتشفان على أربعين مومياء تحمل كل منها اسم صاحبها مكتوباً على بطاقة معلقة فى رقبته، وتنتمى هذه المومياوات للفترة ما بين الأسرة ١٧ إلى الأسرة ٢١ .. ومن أهمها مومياوات: سقنن رع (والد أحمس وكامس وشهيد حرب التحرير)، وأحمس الأول وأمنحتب الأول وتحتمس الأول والثانى والثالث (المحارب العظيم) وسى آمون وعشر أميرات وملكات من بينهن أحمس نفرتارى، وسيتى الأول ورمسيس الثانى ورمسيس الثالث والتاسع، وباى نجم الأول والثانى و(جد بتاح إيوف عنخ)، و ٨ أميرات وكبيرات كهنة منهن «حنيت تاوى» و ٨ مومياوات مجهولة [٢٣٩] .. هذا بالطبع بالإضافة إلى أكوام البرديات والأثاث الجنزى و أدوات الزينة و تماثيل المقابر التى كانت مكدسة بغير نظام.

تبعاً لما ذكره ماسبرو فقد استغرقت عملية تفريغ محتويات الخبيئة ستة أيام بواسطة ٣٠٠ عامل، بينما يذكر حسن كمال أن والده و بروجش قد أخذا يتسلمان الآثار قطعة قطعة لمدة ٤٨ ساعة متواصلة دون أدنى راحة، وتم نقلها بواسطة ٢٠٠ من الأنفار. و أنه فى ١١ يوليو ـ أى بعد ٦ أيام من دخول الخبيئة ـ كانت جميع الآثار على شاطئ النيل بالأقصر، ثم وصلت السفينة النيلية

---

٢٣٦ بيتر فرانس: مرجع سابق ـ ص ١٧٠

٢٣٧ حسن كمال : المقتطف ـ ديسمبر ١٩٣٥ ـ ص٧٨

٢٣٨ G.Maspero, Les Momies Royales de Déir el Bahari, MMAF I, 4 , 1889, pp. 511 ،
مع ملاحظة تعمد ماسبرو تجاهل ذكر أحمد كمال

٢٣٩ ر. ليشتنبرج ، ف. دوناف : المومياوات المصرية ـ مترجم ـ دار فكر ـ القاهرة ـ ١٩٩٧ ـ ص ٤٤



أحمد كمال بجوار إحدى معثورات الخبيئة - بعدسة إميل بروجش

فى ١٤ يوليو إلى الأقصر حيث قامت بنقل الآثار إلى متحف بولاق.*

هذا بينما - بناءً على رواية ماسبرو - احتشدت النساء النائحات والرجال الذين أخذوا يطلقون الأعيرة النارية فى أعقاب القارب البخارى العجوز المتجه شمالاً .. ربما تكريماً للماضى.

لكن الاختلاف الأهم بين الروايتين والذى قد يسبب ارتباكاً حقيقياً هو فى تحديد تاريخ الكشف ذاته فرغم أن ماسبرو يذكر - وبالتالى تبعته كافة المراجع الأثرية فى تحديد تاريخ الكشف - أنه قد حدث فى ٥ يوليو من عام ١٨٨١ [٢٤٠].. فإن حسن كمال يذكر فى مقاله أن والده و بروجش قد دخلا هذه الخبيئة فى يوم الأربعاء ٦ يوليو سنة ١٨٧٩ [٢٤١]..!! وهو ما قد يثير نقطة فى غاية الأهمية فى حالة التسليم بصحته، وهى أن هذا الكشف قد وقع فى عهد (أوجست ماربيت) و الذى توفى فى يناير ١٨٨١ وليس فى عهد خلفه (جاستون ماسبرو) .. خاصة أن ماسبرو - حسبما يذكر هو فى كتابه الذى أصدره بعد حوالى ٨ سنوات من الكشف - لم يكن موجوداً فى مصر وقت العثور على الخبيئة !!

فهل يكون حسن كمال قد سمع بهذا التاريخ من والده ؟ أم أنه قد اعتمد فقط على بعض المراجع التى لم تتحرّ الدقة ؟.. لكن لحسن الحظ - وبعد بعض الحيرة - فقد وقع تحت يدى مقال هام لأحمد كمال نفسه نشره فى جريدة الأهرام بتاريخ ٥ يونيو من عام ١٨٨٦، أى بعد ٥ سنوات فقط من الكشف وقبل أن ينشر ماسبرو كتابه عن الخبيئة فى عام ١٨٨٩ .. يقول كمال فى مقاله عن رمسيس الثانى - بمناسبة حضور الخديو توفيق للمتحف لمشاهدة فك لفائف مومياء الملك العظيم - «و فى سنة ١٨٨١ ميلادية عثر على جثة هذا الملك فى مقبرة بالقرنة بمديرية قنا وكان معها جملة من جثث الملوك من العائلة السابعة عشر إلى الحادية والعشرين وآثار أخرى ثمينة فوضعت داخل

---

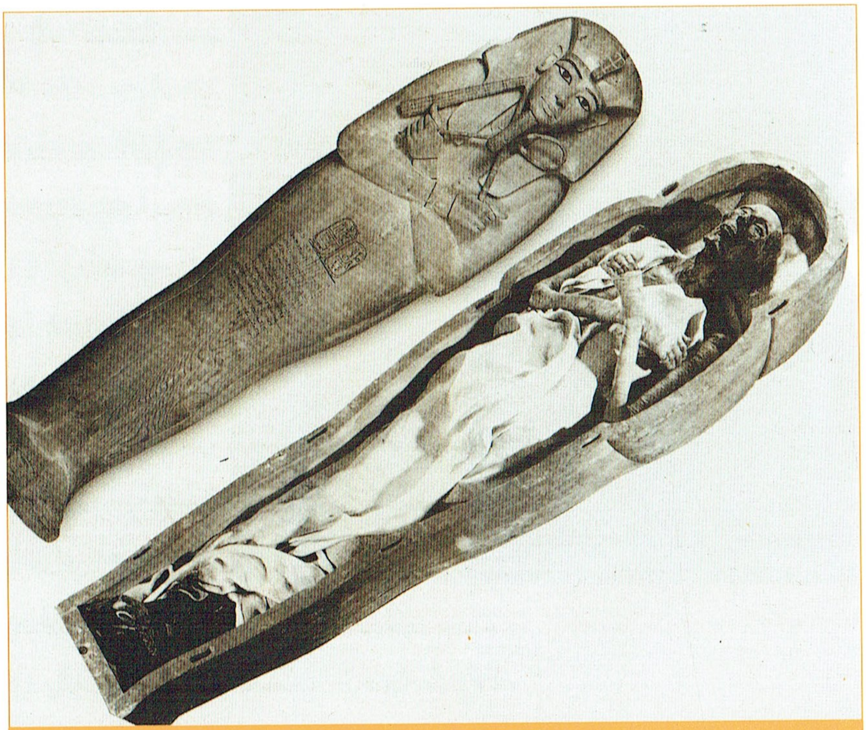
* إذا أخذنا فى الاعتبار أن عملية الفحص والتسجيل وتفريغ المقبرة من محتوياتها قد استغرقت يومين كاملين، ثم استغرقت عملية النقل عبر دروب الجبل لشاطئ النهر ٤ أيام، أمكن قبول الرأيين معاً

٢٤٠ Maspero, les Momies, Op. cit.; LÄ I, col. 892;...

٢٤١ حسن كمال: المقتطف - ديسمبر ١٩٣٥ - ص ٧٨؛ وقد ذكر جمال مختار أيضاً نفس التاريخ فى : ندوة أحمد كمال - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - ديسمبر ١٩٧٧ - غير منشورة (تسجيل صوتى)

المتحف ببولاق وشيد لها محل مخصوص سمى بالقاعة الملوكية نسبة لهؤلاء الملوك ».. وفى مقال آخر له بنفس الجريدة منشور بتاريخ ١٤ يونية ١٨٨٦ يذكر أيضاً عام ٨١ كتاريخ للعثور على الخبيئة وبهذا ينتفى القول بأن الكشف كان عام ١٨٧٩. ويمكن ببساطة أن نتوقع أن ذاكرة حسن كمال قد خانته، خاصة أن الشكوك حول موقع الخبيئة ومحاولات الوصول إليها كانت مستمرة لسنوات قبل الكشف عنها، فالتبس ربما تاريخ إحدى هذه الزيارات على ذاكرة حسن كمال و ظنها تاريخ العثور على الكشف.

أما عن تفسير تكدس هذا العدد الكبير من المومياوات الملكية والأثاث الجنزى فى دفنة واحدة يقول أحمد كمال بالحرف: « وجد فوق تابوت هذا الملك (رمسيس الثانى) كتابة بالقلم الديموطيقى يستفاد منها أن الملك حرحور أصلح ما تلف من لفائف هذه الجثة وأن الملك سيامون نقلها من مقبرة الملك سيتى الأول وهو والد رمسيس هذا إلى مقبرة آمة (ربما: آمنة) التى كان فيها الملك أمنحت (؟) وذلك فى السنة الخامسة عشر من حكم سيامون المذكور ويستفاد من كتابة فوق رأسه أن الملك بينوزم نقل فى السنة العاشرة من حكمه جثة أبيه وجثة رمسيس هذا إلى مقبرة الملك أمنوفيس وكان هذا النقل والإصلاح عادة يجريه قدماء المصريين كل خمس سنين أو ست سنين »[٢٤٢].


مومياء رمسيس الثانى داخل تابوته الذى عثر عليه بالخبيئة

و نفهم من هذا أن النقل قد تم فى عصر الأسرة الحادية والعشرين نتيجة تزايد انتهاك حرمات مقابر الملوك والكهنة، و تزايد سرقات محتوياتها فى الأسرة العشرين .. فأريد لها أن تختفى عن الأعين فى مكان آمن يجمعها معاً.

٢٤٢ جريدة الأهرام - ٥ يونيو ١٨٨٦ - ص ٢

وفاته

يقول كاتب المنار عن ظروف وفاة كمال:

(كان مكباً على تنقيح معجمه للغة الهيروغليفية بداره التى فى شبرا إلى أصيل النهار، ترك الكتب مفتحة وذهب إلى داره التى فى جوار الأهرام * فتوضأ وصلى المغرب وشرع يغير ثياب النهار بلبوس الليل والنوم فخر ميتا، ولم يكن يشكو من شئ)[٢٤٣].

ففى الساعة العاشرة من مساء الأحد ٥ أغسطس [٢٤٤] من عام ١٩٢٣، أسلم كمال الروح إلى بارئها واسترد الخالق وديعته عن عمر يناهز الثانية والسبعين [٢٤٥].. بعد رحلة كفاح مشرفة ومضنية امتدت لحوالى نصف قرن من الزمان. وفى يوم السابع من أغسطس (أى بعد وفاته بيومين) نشرت الأهرام نعيه .. وهو ما سنورده بنصه لأن المفترض، كما هو شائع فى مثل هذه الحالات، أن عائلته وقتها - أو أحد المقربين منه على الأقل - كانت هى مصدر ما جاء به من معلومات:

جاء النعى تحت عنوان: (مصاب مصر الجلل .. وفاة صاحب السعادة أحمد باشا كمال .. العلامة الأثرى المصرى الكبير) .. (فى الساعة العاشرة ** من مساء أمس الأحد انتقل إلى رحمة الله فجأة المرحوم المغفور له أحمد باشا كمال أمين شرف المتحف المصرى وعضو المجمع العلمى وصاحب التآليف العديدة فى تاريخ مصر القديم واللغة الهيروغليفية وصاحب مشروع مدرسة اللسان المصرى القديم وذلك بينما كان يجهد نفسه فى إتمام قاموسه الضخم الخاص باللغة المصرية القديمة - توفاه الله عن أربع وسبعين سنة قضاها فى خدمة العلم وهو والد حضرات الدكتور حسن كمال والدكتور زكريا كمال والدكتور أحمد كمال وصهر حضرات محمود افندى حلمى خورشيد من أعيان ميت العز دقهلية وحسن بك صفوت مأمور إصلاحية الرجال وحسن افندى فهمى أمين الأستاذ بوزارة المعارف ومحمود افندى

---

* ذكر أيضاً جمال مختار أنه توفى فى منزله الذى بجوار أهرام الجيزة، (والذى ربما كان يقع فى قرية نزلة السمان الحالية).. أنظر : مختار: مجلة الجمعية التاريخية - مرجع سابق - ص ٤٦

٢٤٣ المنار: جزء ٨ - مجلد ٢٤ - ١٣ أغسطس ١٩٢٣ - ص ٦٣٧

٢٤٤ يذكر كل من D. A. Ghazi, ASAE 64, p. 5; W. R. Dawson, Who was who in Egyptology, Op. cit., p.3 أن كمال قد توفى فى الرابع من أغسطس وليس الخامس منه و هو ما يخالف ما ذكرته بقية المصادر.

٢٤٥ رغم أن المقتطف والمنار ونعى جريدة الأهرام يتفقون على أن وفاته كانت فى سن الرابعة والسبعين، إلا أن الباحث فضل عدم الاعتداد بها بناءً على ما أثبتته الدراسة بشأن مولده فى عام ١٨٥١ م وليس عام ١٨٤٩.

** يذكر المقتطف ٥٨ نوفمبر ١٩٢٣ - ٢٧٧ أن الوفاة كانت فى الساعة الثامنة مساءً

مصلحة الضرائب العقارية

مأمورية المطرية

رقم ٢٠٦٩٢٤

ضريبة دمغة .... ١٥٠ مليما

الثمن ١٥٠ مليما

المجموع .... ٣٠٠ مليما

(نموذج رقم ٢٢)

محرر بمعرفة [illegible]

مجموعة رقم آ

١٤/٥/١

صورة قيد وفاة

للواقعات المقيدة قبل أول يناير ١٩٦٢

بيانات المتوفى

اسم المتوفى ولقبه: احمد باشا كمال

اسم الوالد ولقبه: المرحوم حسن عبد الله

اسم الأم ولقبها: المرحومة زكية عبد الله

محل الوفاة: شارع [illegible] قرية / مركز/قسم / محافظة القاهرة

تاريخ الوفاة كتابة: ١٩٢٣/٨/٥

الساعة: /

التاريخ: خمسة

الشهر: اغسطس

السنة: الف تسعمائة [illegible]

نوع المتوفى: ذكر

سن المتوفى: ثمانون سنة — الحالة الاجتماعية: / — المهنة: [illegible]

الجنسية: مصرى — الديانة: مسلم

ملاحظات

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

المتوفى مقيد بدفتر واقعات الوفاة بمكتب صحة شبرا محافظة القاهرة

بتاريخ ١٩٢٣/٨/٥ تحت رقم ٢/١٢٨ جزء [illegible] صفحة [illegible]

تحريرا فى ١٤ / ٨ / [illegible]

اسم المحرر بالكامل: كوثر كمال — اسم المراجع أو رئيس القسم

وظيفته — وظيفته

توقيعه — توقيعه

يعتمد — رئيس المأمورية

مستخرج من شهادة وفاة كمال بها إسم والده و والدته

حمزة أمين بالمتحف المصرى ونسيب صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكرى وخال كل من حضرات محمد بك شعبان أمين بالمتحف المصرى ومحمود افندى حسنى المهندس بوزارة الأوقاف. شيعت الجنازة أمس الإثنين الساعة الرابعة بعد الظهر إلى مدفن العائلة بقرافة جلال الدين السيوطى من منزله بشارع جزيرة بدران نمرة ٦١ حيث تقام ليالى المأتم الثلاث تغمده الله برحمته وعزى مصر خيراً بفقده وألهم آله وذويه الصبر والسلوان).

كتبه و مقالاته

كتب أحمد كمال و ترجم العديد من الكتب و العشرات من المقالات فى الجرائد و المجلات المصرية و العربية و الدوريات العلمية بالعربية و الفرنسية مما يصعب حصره .. و هذه قائـمـة بأهم أعماله التى تمكن الباحث من الوصول إليها، و التى إستخدمها كمراجع أساسية فى هذا الكتاب:

الكتب العربية و المترجمة:

- الكمالات التوفيقية في الأصول الجبرية – القاهرة – مطبعة المعارف – ١٢٩٩هجرية (جزءان فى مجلدين).
- العقد الثمين فى محاسن و أخبار و بدائع آثار الأقدمين من المصريين (٢٤٤ صفحة) - المطبعة الأميرية - بولاق - ١٣٠٠ هجرية (١٨٣٣م)
- الفرائد البهية فى قواعد اللغة الهيروغليفية (بوبه إعتماداً على قواعد اللغة العربية لا الإفرنجية) - مطبعة مدرسة الفنون و الصنائع الميرية - طبع حجر - بولاق - ١٣٠٣ هجرية.
- اللآلئ الدريـة فى النبـات و الأشجار القديـمة المصريـة (٣١٦ صفحة) - مطبعة الفنـون و الصنائع - ١٣٠٦ هجرية (يحتوى على أسماء النباتات بالهيروغليفية ومرادفاتها العربية و الفرنسية و أحياناً القبطية أو الديموطيقية أو العبرية أو اليونانية)
- بغية الطالبين فى علوم و عوائد و صنائع و أحوال قدماء المصريين - مطبعة مدرسة الفنون و الصنائع الخديوية - القاهرة - ١٣٠٩ هجرية (٥٨٤ صفحة) - طبع حجرى على خط إبراهيم مرزوق.
- الخلاصة الوجيزة ودليل المتفرج بمتحف الجيزة - ١٣١٠ هجرية.
- ترويح النفس فى مدينة الشمس المعروفة آلآن بعين شمس (٢١٠ صفحة) - المطبعة الأميرية - (١٨٩٦ م).
- المنتخبات الحديثة فى علم الحساب - ألفه بمشاركة على أفندى لبيب - بولاق -١٣١٥ هجرية -٤٣ صفحة.
- الخلاصة الدرية فى آثار متحف الإسكندرية - تأليف الدكتور بونى (أمين متحف الإسكندرية) – (مترجم عن الفرنسية) – مطبعة عين شمس – ١٣١٩هجرية

(١٩٠١م) - ٦٣٩صفحة.

- دليل دار التحف المصرية الفاخرة لمدينة القاهرة - ترجمة أحمد كمال - تأليف جاستون ماسبرو - المطبعة الأميرية - بولاق - ١٩٠٣ - ٧٥٦ صفحة.
- الدر المكنوز و السر المغروز فى الخبايا و الدفائن و الكنوز (جزءان أحدهما عربى و الآخر فرنسى) - القاهرة - مطبعة مجلس المعارف الفرنساوى الخاص بالعاديات الشرقية - ١٩٠٧- نقل عن النسخة رقم ١٣٠٠ و ٣٧٢٦ المحفوظة فى مكتبة المتحف المصرى.
- الحضارة المصرية القديمة فى مصر و الشرق (مجلة الجامعة المصرية) - القاهرة - الجزء الأول - بدون تاريخ (ألقيت فى الجامعة المصرية الأهلية فى عامى ١٩٠٨/١٩٠٩ - ٣٨٣ صفحة و تتقدمه ترجمة للمؤلف.
- الدر النفيس في مدينة ممفيس - ١٩١٠م.
- صفائح القبور فى العصر اليونانى و الرومانى (جزءان يحتوى أحدهما على النقوش مرسومة و الآخر على ٩٠ صورة لها).
- الموائد القديمة من الطبقة الوسطى إلى عهد الرومان (جزءان يشمل أحدهما النصوص و الآخر ٥٥ صورة لها).
- رسالة فى الملابس المصرية.
- رسالة فى الإشارات الهيروغليفية.
- رسالة فى التحنيط و الجنازة عند القدماء المصريين.
- أجرومية ألمانية عربية.
- أثر الملك نقطانبو الثانى - ترجمة محمود على حمزة - مراجعة أحمد كمال - مطبعة المعارف - ١٩٢٧ (مترجم من المصرية القديمة للعربية).

أهم المقالات فى الجرائد و المجلات:

- العقد الثمين فى محاسن أخبار و بدائع آثار الأقدمين - المقتطف ٩ - ١٨٨٥ - ص ٣٨٣.
- أبو الهول - المقتطف ١٠ - ١٨٨٦ - ص ٧٢٠.
- آثار الملوك الفراعنة - رسالة من حضرة الأديب البارع أحمد أفندى كمال سكرتير جناب المسيو ماسبرو مدير متحف بولاق - الأهرام - ٥ يونيو ١٨٨٦.
- خلاصة القول فى الرعمسيسيين لحضرة الأديب البارع أحمد أفندى كمال سكرتير

الأنتيكخانة المصرية – جريدة الأهرام – الجمعة ١١يونيو (حزيران)- ١٨٨٦.

- خلاصة القول فى الرعمسيسيين لحضرة الأديب البارع أحمد أفندى كمال سكرتير الأنتيكخانة المصرية (تابع ما قبله) – جريدة الأهرام – الإثنين ١٤يونيو (حزيران)- ١٨٨٦.
- خلاصة القول فى الرعمسيسيين لحضرة الأديب البارع أحمد أفندى كمال سكرتير الأنتيكخانة المصرية (تابع ما قبله) – جريدة الأهرام – الإثنين ٢١ يونيو (حزيران)- ١٨٨٦.
- خلاصة القول فى الرعمسيسيين لحضرة الأديب البارع أحمد أفندى كمال سكرتير الأنتيكخانة المصرية (تابع ما قبله) – جريدة الأهرام – الجمعة ٢٥ يونيو (حزيران)- ١٨٨٦.
- حكم المصريين القدماء و مواعظهم – الأهرام – الجمعة ٩ يوليو – (تموز) ١٨٨٦.
- حكم المصريين القدماء و مواعظهم – الأهرام – الجمعة ١٦ يوليو – (تموز) ١٨٨٦.
- خلاصة القول فى الرعمسيسيين لحضرة الأديب البارع أحمد أفندى كمال سكرتير الأنتيكخانة المصرية (تابع ما قبله) – جريدة الأهرام – الجمعة ٢٥ يوليو (تموز)- ١٨٨٦.
- خلاصة القول فى الرعمسيسيين لجناب الأديب البارع أحمد أفندى كمال سكرتير الأنتيكخانة المصرية (تابع ما قبله) – جريدة الأهرام – ١٦ نوفمبر – ١٨٨٦.
- جزيرة أصوان – المقتطف ١٥ – ١٨٩١ –ص ٥١٣.
- مدينة الشمس – المقتطف ١٧ – ١٨٩٣ – ص ٧٢٢.
- تاريخ مدينة منف – المقتطف ٢٢ (١٨٩٨) – ص ص ٨٣٠، ٩٠٥، ٢٣ (١٨٩٩) – ص ٤١.
- بغية الطالبين – المقتطف ٢٣ – ١٨٩٩ – ص ٢٢٣.
- ترويح النفس فى مدينة الشمس – المقتطف ٢٣ – ١٨٩٩ – ص ٢٢٤.
- الفرائد البهية – المقتطف ٢٣ – ١٨٩٩ – ص ٢٢٤.
- أصنام العرب و أصلها المصرى – المقتطف ٢٣ – يوليو ١٨٩٩ –ص ص ٥٠٥ – ٥١٠
- تأليه الفراعنة عند المصريين و اهتمامهم بالصناعة و الأدب – (مجلة العمران المصرية ألقيت فى الإسكندرية فى ١٢ يونيو ١٩٠٨
- الحضارة القديمة – المقتطف ٣٥ – ١٩٠٩ – ص ١٢١٠

- الفنون و الصناعات المصرية القديمة – الجزء الأول (أقوال المؤرخين) – (مجلة الآثار اللبنانية – أكتوبر ١٩١٣ – ص ص ٥٤ – ٥٨
- الفنون و الصناعات المصرية القديمة – الجزء الثانى (المرايا) – (مجلة الآثار اللبنانية – ديسمبر ١٩١٣ – ص ص ١٠٣– ١٠٦).
- الفنون و الصناعات المصرية القديمة – الجزء الثالث (المرايا) – (مجلة الآثار اللبنانية – ديسمبر ١٩١٣ – ص ص ١٥٢– ١٥٥).
- العربية و المصرية القديمة (ألقاها فى مدرسة المعلمين الناصرية فى أوائل ١٩١٤) – المقتطف ٤٤ – مارس ١٩١٤ – ص ص ٢٠٩–٢١٣
- بحث لغوى فى براءة القرآن الشريف عن بعض الألفاظ الأعجمية – المقتطف ٥٩ – أغسطس ١٩٢١ – ص ص ٢٦٣ – ٢٦٦
- بحث لغوى فى براءة القرآن الشريف عن بعض الألفاظ الأعجمية – المقتطف ٥٩ – نوفمبر ١٩٢١ – ص ص ٤٧٢ – ٤٧٣
- الأعجمى فى العربية – المقتطف ٦٠ – ١٩٢٢ – ص ٢٧٥
- توت عنخ آمون – و بالادغام (توتعنخامون) – المقتطف ٦٢ – يناير ١٩٢٣ – ص ص ٦ – ٨

الكتب و أهم المقالات فى الدوريات العلمية باللغات الأجنبية:

- كتابات فى الكاتالوج العام للمتحف المصرى (C.G.):

Ptolémaique et Romaine, IFAO, 1904, 1905 (CG 22001 - 22208)

- Stèles hiéroglyphiques d'Epoque

(جزءان وصف و سجل نصوص ٢٠٨ لوحة مع تدوين ملاحظاته عنها و أفرد الجزء الثانى للصور)

- Tables d'Offrrandes, IFAO, 1906, 1909, (CG 23001 - 23256)

(جزءان تناول فيهما ٢٥٦ مائدة قرابين من العصور الوسطى حتى العصر الرومانى بالوصف و النسخ)

- (With H. Brugsch: Discours prononcé a l'ouverture de l'Ecole d'égyptologie, Caire, 1870
- Vocabulaire hiéroglyphique comprenant les noms des plantes, Madrasset el-Fonoun wal-sana'e, 1890
- Rapport sur les Fouilles à Deir-el-Barsheh, mars-avril 1900, ASAE 2 (1901), pp. 13-45
- Rapport sur les Fouilles de Deir-el-Barshé, jan.-mars1901, ASAE 2, 1902, pp.206-22

- Fouilles à Deir el- Barché exécutées dans les six premiers mois de l'annee par M.A. de Mallawi, ASAE 3, p.276, Caire, 1902.
- Excavations in zone between Deir El-Bersheh and Sheikhah Zobeida sponsored by S. E. Idris Bey Raghib in area used as cemetery by Hermopolitans of Old Kingdom, ASAE 10, (1910), 145-152.
- Description générale des ruines de Hibe, de son temple et de sa nécropole, ASAE 2, 1902, pp. 84-91.
- Une nouvelle table d'offrandes de Séti 1er, ASAE 2, 1901, p. 95
- Rapport sur une statue recueillie à Kom el-Shatain dans le Gharbieh, ASAE 2, 1902, p. 126.
- Tell Far'on(Bouto), ASAE 3, 1903, p. 7-14.
- Fragments de monuments provenant du Delta, ASAE 5, 1905, p. 193
- Note sur un fragment de naos, ASAE 2, p. 129, Caire 1902.
- Exploration de la province de Siout, ASAE 3, pp.32-37, Caire, 1903.
- Rapport sur la nécropole d'Arabe el Borg, ASAE 3, p.80-84, Caire, 1903.
- Sur un monumentnt d'Amasis qui se trouve à Boulaq, ASAE 3, p. 92-93, Caire, 1903.
- Le pylôn de Qous, ASAE 3, Caire, 1903. pp. 213-235
- Stele d'Acoris, duxième roi de la XXIX dynastie, ASAE 3, p. 243, Caire, 1903. (Publication of stela of Achoris from Kafr Abou- Shahaba near Bibeh, Beni Suef)(JE 35553)
- Fouilles à Gebel-el-Teyr, ASAE 4, p. 85, Caire, 1903
- Quelques fragments provenant d' Oussim, ASAE 4, p. 21, Caire, 1904
- Un tombeau à Zeitoun, ASAE 4, p.95, Caire, 1904.
- Fouilles à Tehneh, ASAE 4, p.232, Caire, 1904.
- Sebennytos et son temple, ASAE 7, p.87, Caire, 1907.
- Results of inspections in 1905, ASAE 7, 238-239
- Rapport sur quelques localités de la Basse-Egypte, ASAE 7, p.232, Caire, 1907.
- Rapport sur une inspection faite à Tell el-Waqa, ASAE 8, p.1-2, Caire, 1908.
- Fouilles à Gamhoud, ASAE 9, p. 8-30, Caire, 1909. (Report on excavations at Tell-Gamhoud, west of El Fashn, tomb discovered by Mohamed Fath al-Bab and Tawdros and worked on by Smolenski, continued by Ahmed Kamal; Ptolemaic cemetery with no type of wooden sarcophagus, some cartonnages, and other objects now in Cairo, Budapest, Vienna, Cracow)
- Notes prises au cours des inspections, ASAE 9, p.85, Caire, 1909.
- Report on sites in Giza, and Tell Basta, ASAE 9, 85-91
- Activities in 1908, ASAE 9, BIE, 5e serie II, pp. 92-98
- Fouilles à Atfih, ASAE 9, p.113-117, Caire, 1909.
- Borollos, ASAE 9, p.141-147, Caire, 1909. (Examination of door used in building at Tell el-Ashaar (in Borollos region), the tell and Baltim Results of

excavations at Baltim, at E extremity of Lake Borollos, debris of small Ptolemaic temple)
- Notes prises au cours des inspections, ASAE 9, p. 191, Caire, 1909.
- Rapport sur les fouilles du Comte de Galarza, ASAE 10, p.116, Caire, 1910. (west of Sphinx temple; interesting objects discovered)
- Rapport sur les fouilles faites dans la montagne de Sheikh Said, ASAE 10, p.145, Caire, 1910
- Bringing two cornice fragments from Heliopolis, ASAE 10, 154
- Record of inscription on statue base, ASAE 10, 154
- Un monument nouveau du roi Khatoui, ASAE 10, p.185, Caire, 1910.
- Rapport sur les fouilles exécutées dans la zone comprise entre Deirout, au nord, et Deir el- Ganadlah, au sud, ASAE 11, p.3-39, Caire, 1911, Tomes 12.14.15. (Results of excavations of Sayed Khachabeh, a merchant from Asyut who obtained a permit to excavate on both banks of Nile between Deirut and Deir el Ganadlah, a large area including Meir and Quseir el Amarna; at Ganadlah discovered a cemetery for princes of Aphroditopolis with wooden sarcophagi and new texts (= CG 28091-28095-28097, 28098, 28123-28125, Lacau, Sarcophages ant.); Mallawy Museum, el-Ganadlah, 559, 560, 563, 569; BM 34259 and 55315; Louvre A23; MMA and Cleveland also have examples from this site.)
- Note additionnelle, ASAE 11, p.43, Caire, 1911.
- Fouilles à Dara et à Qoceir el-Amarna, ASAE 12, p.128-142, Caire, 1912 (Results of excavations of Sayed Khachabeh).
- Le pain de nebeq des anciens Egyptiens, ASAE 12, 1912, p. 240.
- Excavations at Deir el-Gebrawi (concession of S. Khachaba), ASAE 13, 161-163
- Excavations between Meir and El Akhsas in western mountain, ASAE 13, 163-165
- Excavations at Hamid valley in Abou Fida mountain, discovery of Coptic tomb with several interesting objects and textiles, ASAE 13, 165-166
- Results of excavations of Sayed Khachabeh, ASAE 14, 45-87
- Excavations at Deir Rifa, 52 objects; Coptic tomb with 6 objects, ASAE 14, 67-72
- Results of excavations of Sayed Khachabeh, ASAE 15, 77-206.
- Excavations at cemetery north of Mangabad (north of Siut), ASAE 15, 179-85
- Excavations at Manqabad, many objects including a fine set of jewellary, ASAE 15, 179-185
- Excavations at el-Atamneh, south of Darah, ASAE 15, 184-191
- Results of excavations at Sherifeh, on Libyan border west of Mesra and Beni Ghalib, ASAE 15, 191-195
- Excavations at Titalieh, with Graeco-Roman cemetery facing Titalieh, ASAE 15, 195-198
- Excavations at Meir, ASAE 15, 198-206, 177

- Le tombeau nouveau de Meir , ASAE 15, 1915, p. 209.
- Fouilles à Deir Dronka et à Assiout (1913-1914), ASAE 16, 1916, p. 65-114. (mostly Coptic finds)
- Quelques jours de fouilles à Dimeh-es-Sebaâ, ASAE 16, p.183, Caire, 1916.
- Les idoles arabes et les divinités égyptiennes, RTEA 24, , p.11, Paris, 1902.
- Chapelle d'un Mnévis de Ramsès III, RTEA 25, p.29-37, Paris, 1903. (Results of excavation of Matariah with hypogee of Ramesses III Mnevis transferred to Cairo museum in July, 1902).
- Sur une Stèle aujourd'hui perdue, RTEA 27, p.29, Paris, 1905.
- Results of inspections in 1905, RT 28.
- Stèle de l'an VIII de Ramsès II, RTEA 30, p. 213, Paris, 1908
- Kamal,A. & Maspero, G., Un monument nouveau de sheshonq Ier, RTEA 31, p.33, Paris, 1909.
- Le procedé graphique chez les anciens Egyptiens; l'origine du mot Egypte; les noms géographique designant cette contrée et ses habitants primitives, BIE, 1916
- Les noms des vêtement, coiffures et chaussures chez les anciens Egyptiens comparés aux noms arabes, BIE, 1917, p. 93
- Réponse à la critique de M. Daressy publiée dans le Bulletin de l'Institut Egyptien, mars, BIE, 1917, p. 107.
- (with Maspero and E. Brugsch: La trouvaille de Deir-el-Bahari. Vingt photographies, BIE, Caire, 1881
- Les vases égyptiens et quelques, mesures identifiés avec leurs noms arabes, BIE, p.107, Caire, 1918.
- Activities in 1904, BSGE, 6e serie, no 6,pp. 281-312
- Ezbet Ezzeitoun, BSG, 6eme Sie.,p.144, Caire, 1902.
- Héliopolis et son mur d'enceinte, BSG 6eme Sie, p.28l, Caire,1904.
- Note sur les idées cosmogoniques et théologiques de l'Egypte primitive, BSG 6eme Sie, p.697, Caire, 1907.
- Les idées cosmogoniques des anciens habitants de l'Egypte, BSG 7emeSie,p.41,Caire,1907.

أحمد يوسف..

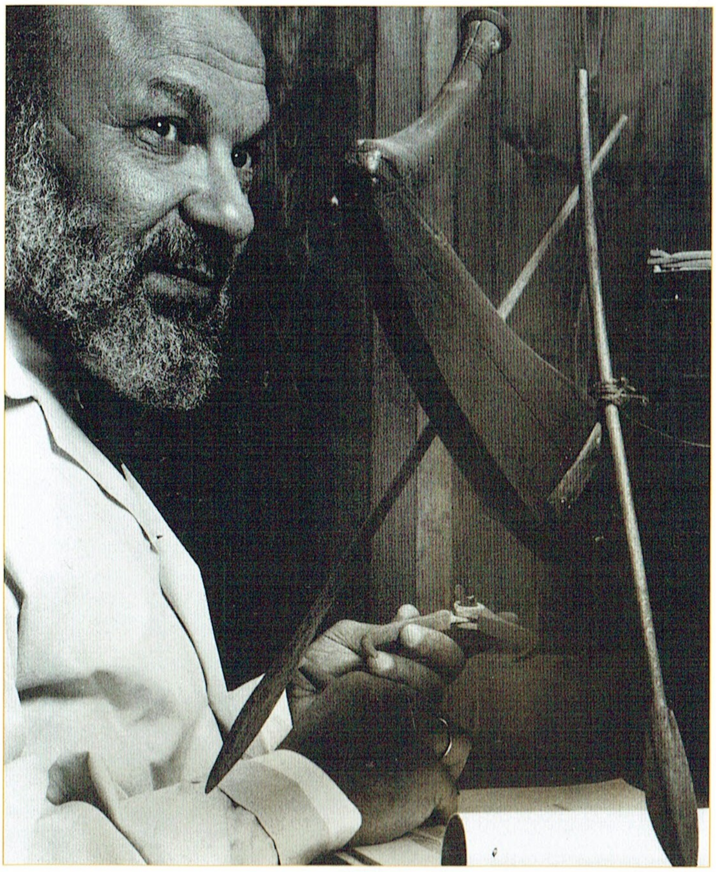
معجزة الترميم المصري

مادة تاريخية: محمود عبد المنعم القيسوني

إعداد: لؤى محمود سعيد

أحمد يوسف ..

معجزة الترميم المصرى



ولد الحاج أحمد يوسف مصطفي في ١٧ مايو من عام ١٩١٢ بحى الدرب الأحمر بالقاهرة ... وقد تخرج عام ١٩٢٨ من مدرسة الفنون و الصنايع بتفوق و كان ترتيبه الأول على دفعته فعين معيداً بالمدرسة ... وقد دفعه حبه للنحت أن يعمل مساعداً للمثال المصرى الكبير محمود مختار، واشترك معه فى إعداد تمثالى الزعيم سعد زغلول بالقاهرة و الإسكندرية ... وظل يعمل معه حتى انضم لمصلحة الآثار عام ١٩٣٠.

بدأ أحمد يوسف عمله بالمصلحة فى معهد النماذج، وكان يهوى مراقبة المرممين الأجانب وكيفية تعاملهم مع أجزاء التماثيل الأثرية المحطمة وإعادتها إلى أصلها.. وقد لاحظ أنهم يقتصرون فى عملهم على ترميم التماثيل الحجرية فقط ولا يتعاملون مع الخامات الأخرى كالخشب و المعادن .. مما خلق بداخله تحدياً بدأ ينمو مع الوقت لإقتحام هذا المجال.

لكن الملاحظة الأهم التى لفتت انتباهه هى أن هؤلاء الخبراء الأجانب كانوا يستغلون زياراتهم الشتوية لمصر بهدف السياحة أساساً ليقوموا بتنفيذ مهام الترميم التى توكل إليهم فى مقابل بدلات السفر و الإقامة الباهظة .. ذلك طبعاً لم يكن يقابله المستوى الفنى المقبول، خاصة أن تلك المهام لم تكن تؤدى بالإهتمام المفروض لها لكنها فى الغالب كانت مجرد أعمال ثانوية عابرة.

لذلك .. و لعدم وجود مصريين فى هذا التخصص ، فلقد عمد أحمد يوسف إلى التطوع للقيام بمهام ترميمية محدودة بالمتحف المصرى .. عمل خلالها بإخلاص محاولاً إقناع المسئولين

الأجانب بقدرة المرمم المصرى وكفاءته بهدف الإعتماد عليه و توفير النفقات الباهظة التى يتكلفها عمل الأجانب ...

لكن هيهات ، فلم يدرك يوسف في هذه السن الصغيرة أن الكفاءة وحدها لم تكن هى المعيار الوحيد ، فقد فوجئ بمعارضة شديدة له و تحيزاً ضده لصالح الأجانب غير مبرر ، لكن ذلك لم يفت فى عضده .. بل زاده حماساً و تصميماً و رغبة فى إثبات الذات. فعزم على تغيير مسار حياته واتخاذ ترميم الآثار مهنة وحيدة له، فما كان منه إلا أن أعد معملاً صغيراً في منزله .. لكنه كان مكتمل الأدوات والخامات، واجتهد فى العمل به بإخلاص ودقة، واستغل الأعمال الثانوية المحدودة التى كلفته بها مصلحة الآثار لإثبات قدرته من ناحية، وكذلك لصقل موهبته وكفاءته من ناحية أخرى.

لكن بدلاً من أن يقابل اجتهاده ذلك بالتقدير اللازم ، فإن الأجانب قد أبدوا استياءاً من إصراره و تصميمه على اقتحام ذلك المجال، وفضلوا طرده من المصلحة حتى تبقى هذه المهنة حكراً عليهم!! لكن لحسن طالعه أن العالم الأثرى الإنجليزى انجلباخ كبير الأمناء بالمصلحة وقتها إعترض على فصله تعسفياً بدون إبداء أسباب ، فقد كان أثرياً له وزنه وله مؤلفاته العلمية ويحتاج لمتخصصين من أمثال أحمد يوسف. لذلك .. وحتى يبدو محايداً غير منحاز لطرف، فقد اتفق انجلباخ مع زملائه من الأجانب المطالبين بطرد يوسف على أن يعطوا له فرصة أخيرة، فيكلفوه بمهمة ترميم صعبة لدرجة الإستحالة حتى يعجزوه عن تنفيذها، فيتوفر لهم بهذا سبب وجيه لفصله.

و هكذا .. تم تسليم أحمد يوسف جزءاً من قاعدة إناء فخارى (شقفة بلاص) تحتوى على خليط من أتربة خامات مختلفة كسن الفيل و الأبانوس ذات أحجام صغيرة جداً، وطلبوا منه ترميمها!! و رغم أنهم قد سخروا منه وشككوا فى قدرته على إنجاز المهمة فقد قبل التحدى.. بل و حدد لتنفيذها حوالى أربعة أشهر. فما كان منهم إمعاناً فى الإستهزاء به إلا أن قالوا له : بل نعطيك مهلة عشرين عاماً ، ولن تتمكن من أدائها لا أنت ولا حتى إبنك من بعدك.

بل وأكثر من هذا ، فقد اعترضوا على صرف راتبه أثناء تنفيذ هذه المهمة بإعتبار أنها ستطول - من وجهة نظرهم - ولتشككهم فى تنفيذها أصلاً. فما كان منه إلا أن تنازل عن راتبه بعزة نفس حتى ينتهى منها ، شريطة أن يُصرف له كل المجمد من مرتبه عن الشهور السابقة فى حالة نجاحه فى الترميم ...

و لم تمر أكثر من ثلاثة شهور حتى تمكن المرمم المصرى أحمد يوسف بتوفيق من الله من تحقيق أول إعجاز له فى حياته ، واستطاع بحنكته وذكائه أن يبث الروح فى تلك الأتربة والشظايا الصغيرة ويعيدها لصورتها الأولى على شكل صندوق مجوهرات إخناتون المعروض حالياً بالمتحف

المصرى .. وقد اتبع فى ترميمه الخطوات التالية:

- قام بتغطية رماد صندوق المجوهرات الموجود بشقفة الفخار بورق حمام مشبع بشمع البرافين، و تركها لتجف حتى يضمن تثبيت جزيئات الرماد بالترتيب ودون بعثرة.

- رفع الورقة بعد التصاق الجزيئات بها ، وقام بتسجيل و تدوين المعلومات والرسومات الخاصة بالصندوق ، وحرص على تصوير و توثيق العمل خطوة بخطوة حتى تمام التنفيذ.

ما أن وقعت عينا انجلباخ على صندوق المجوهرات بعد ترميمه حتى أسقط فى يده وأصابته حالة انبهار بالغة .. فما كان منه إلا أن أصدر قراراً فورياً بإلحاق أحمد يوسف كموظف ثابت بالمصلحة للإستفادة بكفاءته العالية.

كانت هذه الواقعة فاتحة خير على يوسف ، وقادته الأقدار للحدث الأهم فى حياته و الذى استغرق منه سنيناً طوالاً.

فقد ترددت أصداء ذلك الإنجاز المعجز حتى وصلت لآذان العالم الأثرى الأمريكى جورج رايزنر و الذى كان يقوم بالتنقيب وقتها فى منطقة أهرام الجيزة. كان رايزنر قد اكتشف عام ١٩٢٥ الأثاث الجنزى لحتب حرس والدة الملك خوفو فى بئر شرق هرم ابنها .. وقد دفع سوء حالة هذا الأثاث رايزنر لأن يلتمس عون أكفأ المرممين الأجانب الذين استدعاهم من بلادهم لإنقاذه من التلف ، لكنهم اتفقوا جميعاً على استحالة عمل أى شئ .. مما دفعه لإتخاذ قراره بإستخراج محتويات البئر وعرضها بحالتها كما هى محطمة وتالفة ، لكن داخل صناديق زجاجية معزولة الهواء لمجرد الحد من تدهور حالتها .. و ذلك بعد أن فقد الثقة تقريباً فى ترميمها .. لكنه مع ذلك فقد تعلق فى داخله بأى بصيص أمل.

طلب رايزنر من انخلباخ مقابلة أحمد يوسف عندما سمع عنه، و أرسل له سيارته الخاصة لإحضاره لمقابلته فى الهرم .. و كان ذلك فى أواخر ثلاثينيات القرن الماضى.

عرض رايزنر على يوسف عند لقائهما مشكلته وسأله عما إذا كان فى مقدوره أن يستخرج و يرمم أثاث حتب حرس .. فطلب يوسف منه مهلة لمدة بضعة ساعات لدراسة الموقع و حالة الأثاث يحدد على ضوئها بعد ذلك موقفه من المهمة.

جلس يوسف كعادته يدرس البئر ومحتوياته بدقة بالغة لمدة أربع ساعات كاملة ، قام خلالها بتدوين و رسم الأجزاء على حالتها وسجل خاماتها كالخشب ورقائق الذهب وخلافه. ثم قام بعمل تصو ر تخيلى لحالة هذه الأجزاء فى الأصل سواء بالنسبة للأثاث أو الحلى .. ثم فجر قنبلته التى لم يتصورها رايزنر مؤكداً له أن بإمكانه تولى المهمة و إعادة كافة محتويات البئر لأصله!

فانفجر رايزنر ضاحكاً بهيستريا معتقداً أن أحمد يوسف يداعبه. لكنه لم يلبث أن توقف عن الضحك عندما لمح فى عينى يوسف الجدية و الثقة فى النفس ، ثم نادى على سكرتيرته الآنسة باركنيز بإنفعال واضح و طلب منها إحضار كافة الملفات والمكاتبات والمقابلات الخاصة بخبراء الترميم العالميين، و التى أكدوا خلالها إستحالة إنجاز تلك المهمة. ثم سأله بإستهانة واضحة وهو يصيح : من أنت إذا ما قورنت بهؤلاء الخبراء المتخصصين ؟ ومن أين لك كل هذه الثقة لتجزم بقدرتك على إنجاز مهمة مستحيلة رفضها أكبر المتخصصين ؟ .. ولم ينتظر رداً من يوسف، بل شكره بنفس الحدة منهياً اللقاء. لكن يوسف العنيد بطبيعته نظر إليه بهدوء بالغ و بتواضع قائلاً له: أنا لم أتشرف بمعرفة هؤلاء العمالقة الذين تتحدث عنهم، لكننى أرجوا أن تسمح لى بمقابلتك مرة أخرى بعد أسبوعين، لعلك تكون قد عثرت على مرمم آخر لتولى المهمة. فلم يجد رايزنر أمامه إلا أن يوافق وهو يتعجب من هذا الشاب.

غادر يوسف المكتب و قد تضاعف بداخله الحماس و الإصرار على النجاح لإثبات ذاته و كفاءته ، خاصة أن رايزنر قد وضعه كمصرى فى كفة و وضع كافة المرممين فى العالم فى كفة أخرى، فإكتسى التحدى بداخله بمسحة وطنية ضاعفت من عزيمته.

كان يوسف قد طبع فى ذاكرته تفاصيل ما رآه داخل البئر ، فتوجه على الفور لشراء ثلاثة أفرخ من الورق المذهب مثل ذلك المستخدم فى تغليف الشيكولاتة، وكذلك مجموعة من ألوان البودرة ... ثم قام أثناء عودته للمنزل بجمع كمية من نشارة الخشب من أسفل منضدة نجار. وجلس من فوره يعمل بحماس بالغ فى الغرفة التى حولها بمسكنه إلى معمل ترميم خاص به.

خلط يوسف فى البداية الخامات التى جمعها فوق لوح خشب بشكل مقارب لما شاهده فى بئر حتب حرس ، وشرع يفكر فى أسلوب لفصل و رفع هذه الخامات عن بعضها ، وظل يعمل لمدة أسبوعين كاملين للتدريب على عدة لوحات خشبية فوق بعضها بصورة تماثل طبقات الأثاث المحطم والحلى المتهالك الموجودة داخل البئر.

بعد انقضاء المدة المتفق عليها توجه يوسف للقاء رايزنر حاملاً معه اللوحات الست التى قضى أسبوعين يتدرب عليها، ثم قام بفردها أمامه على منضدة طويلة. استمع رايزنر بإهتمام و تعجب شديد إلى يوسف وهو يشرح بحماس منقطع الغرض من تلك اللوحات و خطته التى يقترحها لرفع البقايا الأثرية من البئر ثم فصلها عن بعضها، و أخيراً كيفية إعادتها إلى ما كانت عليه بإسلوب علمى مدروس. و بعد أن انتهى من شرحه المستفيض الدقيق سكت يوسف ليسمع تعليق رايزنر على ما قاله .. لكن الأخير بقى صامتاً ولم ينبس بكلمة، ثم خرج من المكتب دون تعليق وعاد مرة أخرى ..ويظل يدخل ويخرج عدة مرات وهو غارق فى التفكير غير مصدق لما سمع .. ثم وقف أخيراً أمام

يوسف مثبتاً نظره عليه ثم سأله : هل قلت أنها ستعود لأصلها؟

فأجاب يوسف بحسم و إصرار: نعم. ثم كرر رايزنر نفس السؤال مرتين وهو يقلب الأمر فى رأسه و يتلقى نفس الإجابة. ثم سأله أخيراً بعد أن بدا عليه أنه قد توصل لقرار عن راتبه من مصلحة الآثار ، فأجابه أحمد يوسف بأنه يتقاضى أثنا عشرة جنيهاً. عندئذ قدم له رايزنر عرضاً مغرياً يصعب رفضه بعد أن كان قد اقتنع تماماً بكفاءة أحمد يوسف .. فقد عرض عليه راتباً شهرياً قدره خمسين جنيهاً (أى أكثر من أربع أضعاف ما كان يتقاضاه من المصلحة) على أن يعمل معه ستة شهور فى السنة فى موقع البعثة بالهرم ، ثم يسافر باقى العام للعمل معه فى متحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية و الذى كان رايزنر يشغل وقتها منصب مديره. لكن أحمد يوسف إنبرى بدون تفكير لرفضه هذا العرض معللاً ذلك بأنه مؤمن بحاجة آثار بلاده له ولتخصصه .. فالاكتشافات متلاحقة وعديدة وتحتاج لجهد كبير و مخلص لصيانة و ترميم هذه الآثار قبل عرضها بالمتحف المصرى، ثم أضاف يوسف سبباً آخر زاد من إحترام رايزنر له .. فقد أكد أنه لا يحب بشكل عام أن يترك بلده ليعمل خارجها، و اقترح لذلك حلاً بديلاً: هو أن يطلب رايزنر من مصلحة الآثار انتداب يوسف للعمل معه فى مشروع رفع و ترميم آثار حتب حرس دون أى تعديل فى الراتب ..وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الآثار سيتم عرضها فى النهاية بالمتحف المصرى وستعود بالفائدة على المصريين والمصلحة التى يعمل لديها .. مع التغاضى عن المجد الأدبى و الشهرة التى ستعود على رايزنر بصفته المكتشف ، وكذلك عن العائد المادى الذى سيعود عليه عند طبع كتاب عن هذا الكشف المثير و الهام.

أثنى رايزنر - بحرارة كبيرة و باللهجة الصعيدية التى كان يجيدها - على موقف أحمد يوسف الرائع والنادر فى نفس الوقت ، وأصر على تقديم الشاى المصرى له بنفسه.

وفى اليوم التالى فوجئ أحمد يوسف بالسيد أنجلباخ كبير الأمناء يستدعيه فور دخوله المصلحة ليبشره بأنه قد تقرر انتدابه للعمل مع رايزنر حتى انتهاء مهمة رفع و ترميم آثار حتب حرس ، وأنه عليه تسليم نفسه للمذكور بالهرم فوراً.

و بالفعل تحرك يوسف من فوره ليتسلم مهمته ، وبدأ العمل الدؤوب الذى لم ينقطع لمدة ستة شهور متواصلة كان ينام خلالها بإرادته داخل معمله المنعزل كأنه راهب فى محراب ، ولم يكن يزور أسرته سوى يوم الجمعة فقط من كل أسبوع!

كان يرافق رايزنر فى بعثته مجموعة من المتخصصين من جنسيات مختلفة، كانوا جميعهم يحترمون عزلة أحمد يوسف فلم يفكر أحدهم فى إزعاجه قط توفيراً للهدوء اللازم له حتى ينجز مهمته، لكن من حين لآخر كان هو يسمح بدخول بعض الزوار المهمين لمتابعة أعماله، و خاصة بعد أن بدأت ملامح الأثاث الجنزى تظهر بعد ترميمه و تبهر الناظرين.

لكن حدث أن أحد مساعدى رايزنر و كان روسى الجنسية ، قد عمد إلى أن يقتحم صومعة يوسف من حين لآخر بتعجرف ودون أن يلقى عليه التحية، آخذاً فى تفحص أعماله بإستفزاز واضح ثم يخرج دون تعليق. ورغم تغاضى يوسف عن هذه التصرفات ، إلا أنه فوجئ فى نهاية الشهور الستة بهذا الروسى يركل باب معمله بقدمه مقتحماً عليه خلوته ، فلم يتمالك يوسف نفسه وطرد ذلك المتعجرف من معمله ، ثم اكتشف بعد ذلك أنه كان مدير المجموعة العاملة تحت رئاسة رايزنر !!

ترتب على هذه الواقعة أن قرر المدير الروسى طرد أحمد يوسف فورا لولا أن تصرف أحمد يوسف بذكاء مؤكداً أنه الوحيد الذى يمكنه ترميم كنوز حتب حرس، و تحدى أحسن خبير عند رايزنر أن ينجز المهمة .. مع تعهده أنه إذا ثبت أن الخبير الأجنبى أفضل منه فسيغادر المكان فوراً دون نقاش. و تم أختيار السيد سميث و الذى تولى رئاسة متحف بوسطن بعد رايزنر و كان خبيراً ممتازاً فى التسجيل بالرسم، و أختاروا لوحة من لوحات سميث و طلبوا من أحمد يوسف أن ينسخها و ينفذ لوحة طبق الأصل لها فجلس أربع ساعات كاملة يرسم ثم سلم اللوحة لرايزنر و سميث اللذين أبديا إعجابهما الشديد بإتقانه للرسم أيضاً و قرروا الإحتفاظ به واستمراره فى عمله .. و برر أحمد يوسف سبب تصرفه مع ذلك الروسى بعدم معرفته قط بمجموعة الموظفين العاملين تحت إدارة رايزنر، لذلك طلب أن يقدموه لجميع الموظفين حتى يحدث تعارف شخصى مباشر بينهم. وفعلاً قام السيد سميث بتقديمه لكل الموظفين مع شرح تخصصاتهم و أعمالهم حتى وصل للمدير الروسى و كان مهندساً معمارياً و تعرف عليه لأول مرة. بعد هذا الحادث تعامل الجميع مع أحمد يوسف معاملة خاصة جداً وبإحترام شديد و تقدير ، و استمر يعمل مع رايزنر لمدة اربعة سنوات حتى توفى الأخير عام ١٩٤٢ . فعاد أحمد يوسف للمصلحة ومعه معظم الأثاث الجنائزى المبهر لحتب حرس حيث تم وضعه فى قاعة خاصة بجوار آثار توت عنخ أمون فى المتحف المصرى بالقاهرة. و للأسف الشديد فالوقت لم يسعفه لإستكمال ترميم الأثاث الجنائزى، فبوفاة رايزنر توقفت بعثته مما أدى إلى عدم استكمال الأعمال، و تم تخزين جزء هام من أثاث حتب حرس دون ترميم فى صناديق بمخازن المتحف المصرى ومنها كرسى رائع الجمال و صندوق ملابس غير التى تم ترميمها .. و هى لازالت بالصناديق حتى يومنا هذا للأسف الشديد !!

فى عام ١٩٦٠ طلب سليم حسن أثناء عمله بالمتحف المصرى من الحاج أحمد يوسف ترميم العصا الذهبية الخاصة بحتب حرس، فرممها و تم وضعها مع باقى الكنوز بالمتحف.

و حتى الشهور الأخيرة من حياته كان يحاول الإتصال بالمسئولين والهيئات الأجنبية ليشجعها على تولى مهمة ترميم باقى الأثاث لعرضه كاملاً بالمتحف دون أن تلقى دعوته أى إستجابة.

أما صندوق الستائر المعروض حالياً بالمتحف فقد قام الحاج يوسف بعمل نموذج مشابه له طبق الأصل تم إهداؤه لمتحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية ...و تلقى خطاب شكر منهم بتاريخ ١٩٣٩/١٠/١٢ تضمن إعجابهم الشديد بعمله و فنه. ثم أحيل للمعاش عام ١٩٧٢ و تم تعيينه بالمصلحة خبيراً لإستكمال ترميم مركب خوفو حتى أتم المهمة عام ١٩٨٢.

و بإختصار فإن أعمال الترميم التى قام بها الحاج أحمد يوسف لا حصر لها .. فبالمتحف المصرى وحده مثلاً قام بترميم تمثال جرانيتى محطم للملكة حتشبسوت، و تمثالى الإله حورس و الإله أنوبيس من الحجر البازلت، و علبة مجوهرات أخناتون وآنية أحشائه المصنوعة من المرمر و قناع الملك أمن إم أوبت الذهبى من الأسرة الثانية والعشرين من منطقة صان الحجر (تانيس) - ترميم أثاث الملكة حتب حرس الجنائزى.

وبالمتحف القبطى قام بترميم أيقونات خشبية، و صور زيتية و صندوق عاج. و بالمتحف الإسلامى أشرف على نقل مقبرة طينية عليها آيات قرآنية من العصر الفاطمى من مكان لمكان جديد. كما قام برفع جدار من مدينة الفسطاط عليه رسومات إلى المتحف الإسلامى.

إحتفظ الحاج أحمد بملفات تضم صوراً للآثار وقت إكتشافها بحالتها السيئة، و كذلك صور للمراحل المختلفة لعمليات الترميم وحالتها بعد إعادتها إلى ما كانت عليه منذ آلاف السنين .. كل أثر له قصة جذابة و رائعة، و قد إمتد نشاطه إلى مقابر الأقصر فرمم مقبرتى منا و نخت من عصر تحتمس الرابع بالقرنة، و مقبرة أثرية خاصة (رقم ١٣٩) بالقرنة أيضاً والتى عاش صاحبها فى فترة حكم تحتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشرة. و مشكلة هذه المقبرة التى كانت تضم رسومات رائعة هى أن كل هذه المناظر كانت مرسومة على مسطح رقيق من المصيص (الجص) كان يغطى الجدار المبنى من قوالب الطمى. وبدأ هذه الطبقة تتشقق و تتساقط أجزاء منها، كما حدثت فجوة وفراغ كبير بين الحائط الطينى والجدار الصخرى للمقبرة، و أصبح كل ما يسند الجدار هو ثقله على الأرض و إلتصاقه بالسقف .. مما هدده بالإنهيار مما دفع هيئة الآثار عام ١٩٤٨ إلى تكليف الحاج أحمد يوسف بالسفر للأقصر فوراً وعمل اللازم حيال إنقاذ هذا الأثر النادر.

كان أول قرار للحاج أحمد هو حتمية رفع الجدار الطينى بالكامل قطعة واحدة لأهمية إجراء الترميمات على هذه الرسومات و هى فى وضع أفقى فى مكان مناسب واسع وبعيداً عن المقبرة .. لإعطائه حرية الحركة حولها و لتسهيل مهمة الترميم.

ثم بعد إتمام المهمة يتم رفع الحائط و إعادة تثبيته فى مكانه الأصلى داخل المقبرة مرة أخرى .. و قد وافقت هيئة الآثار على فكرته و طلبوا منه سرعة التنفيذ.

كان إرتفاع الحائط المعنى متراً وثمانين سنتيمتراً وعرضه متر وعشرون سنتيمتر. و قد كانت أول خطوة فى عمله هى تغطية الواجهة الرقيقة للرسومات بالكامل بورق فضى لحمايتها من أى أضرار أو رطوبة، ثم تغطية الواجهة المغطاة بالورق الفضى بطبقة رقيقة من معجون بلاستر سريع الجفاف ، وبعد ذلك قام بتغطية هذه الطبقة الرقيقة بطبقة أسمك ومقواه بشباك من الكتان.

بعد إكتمال هذا الدرع الحامى للرسومات قام بمد هذا الخليط للأجناب .. أى إحاطة الجدار الطينى إحاطة محكمة كاملة بهذه التغطية لضمان ترابط قوالب الطوب الطينى وعدم تحركها أو حدوث إنشقاقات بها تضر بالرسومات، ثم بعد تمام جفاف هذا الدرع تم زحزحة الجدار بالكامل قطعة واحدة بعيداً عن الجدار الصخرى، ثم رفعه بحذر و نقله إلى الموقع المختار كمعمل للترميم. و تم وضع الحائط على منضدة مناسبة و الواجهة لأسفل والجدار الطينى لأعلى. قام أحمد يوسف برفع قوالب الطين بحذر شديد جداً وكل ما يتعلق بالحائط الطينى بالكامل حتى تبقى المسطح المصيص (الجصى) والذى عليه الرسومات (سمكه أقل من نصف سنتيمتر)، و بدأت مهمة بالغة الدقة نظراً لأن أى ضغط على المسطح كان سيؤدى إلى تشققات وشروخ فورية مما سيشوه الرسومات والألوان وهى مشكلة لا يمكن علاجها .. لذلك تم سكب بلاستر سائل على هيئة طبقة رقيقة سريعة الجفاف و تركها حتى جفت .. ثم طبقة ثانية لسائل أسمك و تركها حتى جفت ثم طبقة أخيرة من البلاستر المخلوط بالكتان للتقوية و تركها تجف. بعد ذلك تم رفع اللوح المتماسك بالكامل و وضعه بالعكس أى الواجهة التى عليها الرسومات كانت لأعلى.

تم رفع الغطاء البلاستر من على الواجهة و أيضاً الورق الفضى الذى شكل عازلاً غير لاصق، و بالتالى ظهرت الرسومات بالكامل. ثم بدأت المرحلة الأخيرة و هى سد الشقوق بالبلاستر و الجبس مع تنظيف الرسومات و إعادة كل شئ إلى ما كان عليه.

و من المثير أنه أثناء وجوده بالأقصر شاهد الآثار المقلدة أو المزيفة تزييفاً مذهلاً، مما دفعه إلى التقرب من العائلات و القبائل المعروفة فى هذا المجال .. و هو أمر لم يكن سهلاً خصوصاً وأنه موظف بهيئة الآثار الخصم التقليدى لمثل هؤلاء، لكنه تمكن فى النهاية من أن يكتسب ثقتهم و تعرف تدريجياً على فن وأسلوب تصنيع و تزييف الآثار وكتب بحثاً مفصلاً وخطيراً فى هذا المجال.

وقد دعى لإلقاء محاضرات عن مهمة ترميم مركب خوفو وذلك عام ١٩٧٩ بالولايات المتحدة الأمريكية و أيضاً ببريطانيا. ومنذ أوائل الثلاثينات تم تسجيل أعماله المبهرة أولاً بأول فى المطبوعات الرسمية لمصلحة الآثار ، كما تم تخصيص فصول كاملة عن شخصه وأعماله فى كتب عالمية متعلقة بالمراكب الفرعونية وبالذات مركب خوفو. ورغم أن أعماله الإعجازية المبهرة فى مجال الترميم

قد تعددت و تنوعت، إلا أن إسمه وشهرته قد إقترنت فى الأساس بمركب خوفو الجنائزية.

و للأسف الشديد فقد تم رفع صوره و إسمه من المتحف المصرى خلال السنوات الأخيرة دون سبب منطقى .. وكان الأجدر تكريم هذا الرجل المخلص على الأقل بوضع لوحة تذكارية عنه فى غرفة الأثاث الجنائزى للملكة حتب حرس ، وأيضاً لوحة تذكارية بمتحف مركب خوفو والتى كرس لها سبعة و عشرين عاماً من حياته من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٨٢*.

وقد تم منحه عام ١٩٤٦ الميدالية الذهبية للمعرض الزراعى بالقاهرة بمناسبة تقديمه عدة نماذج عن الصناعات الدقيقة عند قدماء المصريين ، وفى عام ١٩٦٧ تم منحه وسام العلوم والفنون وميدالية المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة تكريماً لأعماله وجهوده فى حفائر منطقتى (بلاط) و (دوش) بالواحات الداخلة عام ١٩٨١، و فى عام ١٩٨٢ تم منحه وسام الجمهورية من الطبقة الثانية بعد اتمامه ترميم مركب خوفو و تركيبها لآخر مرة و إفتتاح المتحف.

ثم إنتقل إلى رحمة الله فى الثانى من شهر فبراير عام ١٩٩٩، و بناء على وصيته لمحمود القيسونى تم تشكيل لجنة من المجلس الأعلى للآثار بمركز تسجيل الآثار المصرية فى الفترة من ١٩٩٩/٤/١٨ حتى ١٩٩٩/٤/٢٦ لتتسلم كل كتبه ودراساته وأبحاثه ونماذجه وصوره ومعداته بالكامل و الأثاثات التى كانت تحافظ على كل هذا التراث الفنى.

كما أهدى مجموعة كتب ضخمة لإحدى الجامعات الألمانية ....

---

* المعد : تعتبر هذه المقالة نوعاً من التكريم و التقدير لشخص و إنجازات هذا المرمم الجليل، حرص عليها مسئولو المجلس الأعلى للآثار .. حتى و إن جاءت متأخرة. و أتمنى أن تتلوها خطوات أخرى ليس فقط لتكريم أحمد يوسف، و لكن للوفاء لكل أثرى مصرى لعب دوراً فى حماية و صيانة آثار بلاده.

أحمد يوسف و مركب خوفو

بعد أن أحيل للمعاش رسمياً عام ١٩٧٢، و بسبب خبرته الواسعة فى مجال الترميم، و لضمان إستمرار عمليات الترميم و الصيانة و تركيب مركب خوفو الجنائزية لستقر بشكل نهائى فى متحف دائم، فقد تم إستبقاء أحمد يوسف للعمل كخبير لترميم المركب حتى عام ١٩٨٢.

وقد قص لى رحمه الله قصته المثيرة مع مركب خوفو والتي إرتبط إسمه بها منذ عام ١٩٥٤. تبدأ القصة بصدور أوامر مصلحة الآثارعام ١٩٤٤ بإزالة التراكمات الرملية الموجودة على الجانب الجنوبى لهرم خوفو والتى كانت مرتفعة جدا. ويذكر أن كم الأتربة الذى تم إزالته على مدار عشر سنوات كاملة توقف خلالها العمل عدة مرات و كان ستين ألف متر مكعب، و إن معظم هذه العملية تمت تحت إشراف الأستاذ زكى نور مسئول منطقة هضبة الأهرام فى ذلك الوقت.

وأنه عام ١٩٥٤ أعلن بالمصلحة أنه قد إنتهت عمليات إزالة الرمال والتنظيف حتى بلوغ أرضية الهضبة الحجرية ، وظهرت بقايا سور أثرى كان يحيط الهرم ويبعد عن قاعدته ١٨ متراً. لوحظ فى البداية وجود مجموعتين من المجاديل الحجرية الكبيرة أسفل هذا السوريفصل بين المجموعتين ثلاثة أمتار .. فقام المرحوم الأستاذ زكى نور بتكليف مساعد مدير الأعمال بالمنطقة السيد كمال الملاخ بتولى مهمة عمل فتحة فى مجموعة الكتل الحجرية الشرقية لإكتشاف ما تخفيه، وفعلاً تم عمل فتحة فى الكتلة رقم ٢١ (مجموعها ٤١) لكن بإسلوب عشوائى مؤسف (و بفضل الله لم تقع أضرار للكنز الأثرى الخشبى أسفله) و ظهرت لأول مرة مركب خوفو الجنائزية بعد آلاف السنين، و لقبت فى ذلك الوقت بمركب الشمس وأعلنت بريطانيا عن هذا الكشف الأثرى قبل مصر.

تم إكتشاف المركب تحديداً فى يوم ٢٦ مايو ١٩٥٤ عندما وصلت عمليات تنظيف المنطقة الملاصقة للضلع الجنوبي لهرم خوفو إلى مستوى الهضبة الحجرية، كانت المركب مفككة ومدفونة داخل حفرة طولها ثلاثون متراً ومغطاة بإثنتين وأربعين كتلة من الحجر الجيرى، كل كتلة تزن ما بين ثمانية عشرة و عشرين طناً .. فقامت الهيئة برفع بعض من هذه الكتل وغطت مكانها بألواح خشب مؤقتة ترفع عند العمل.

وعندما كلفته هيئة الآثار عام ١٩٥٥ بتولي مهمة ترميم وإعادة تركيب هذا المركب العتيق والذى يعتبر بلا جدال أقدم مركب في تاريخ البشرية، توجه يوسف لموقع الحفرة وطلب من العمال والحراس الإبتعاد عن الموقع للراحة وللسماح له بدراسة الأثر بهدوء وتركيز، و وضع سلماً يسمح له بالنزول لأقرب مكان بالمركب داخل الحفرة ..و قد أذهله تعدد الطبقات المتراصة فوق بعضها (ثلاث

عشرة طبقة)، و كمية الأخشاب (خشب الأرز) و تنوع أشكالها (١٢٢٤ قطعة)، و إختلاف أطوالها (أطوالها ٢٣ متر)، و طول المجاديف (٩ متر) و كميات حبال الحلفا و عقدها المختلفة ثم الحصير المجدول المصنوع من الحلفا. و قد إنتابه لأول وهله شعور برهبة شديدة و خوف من أن يعجزه هذا الأثر العملاق. و بدأ العمل ببناء صوبة كبيرة حول موقع الحفرة جدرانها من الطوب و سقفها من المعدن المتشابك و روعى فى هذا المبني البدائى إتساعه لعملية رفع الخشب و ترصيصة و معالجته و رسمه و تصويره و ترقيمه .. ثم تسجيله تفصيلياً مع عمل الرسم الهندسى لكل قطعة مهما كانت صغيرة، ثم بدأت مرحلة طويلة من حياته إستمرت سبعة وعشرين عاماً إرتبط خلالها بالمركب إرتباطاً كاملاً لدرجة أنه أقام بجوارها بصورة شبه مستديمة، و لم يكن يزور أسرته سوى فى يوم العطلة الأسبوعية (كانت المشكلة عويصة جداً و يصعب تحديد نقطة لبدء العمل فى المشروع ككل فالمركب حجمه ضخم حقاً و مفكك لمئات القطع الكبيرة و الصغيرة و لا يوجد نموذج مرجعى أو إسلوب منهجى محدد يمكن إقتفاؤه للترميم فما الحل ؟ .. لقد كان منهج حياة الحاج أحمد يوسف أنه لا توجد مشكلة بلا حل، لكن الذكاء فى كيفية أن تضع يدك على نقطة الإنطلاق الصحيحة كانت البداية التى إهتدى إليها هى ضرورة فهم فن و تقنيات صناعة المراكب، .. لذا بدأ يوسف بدراسة مكثفة و دقيقة لأشكال و أنـواع و أحجام و أغراض كافة المراكب التى تمخر عباب نيل مصر و المعاصرة له فى أيامه، و قام بتصنيع نماذج خشبية دقيقة لها جميعا.

ثم بدأ فى دراسة و فهم الخلفية الدينية و الهدف من دفن المراكب بجوار أهرام الملوك .. فاكتشف أن كل هرم كان يتم فى الغالب دفن خمسة مراكب حوله و بالنسبة لهرم خوفو فتوجد في شرقه ٣ فتحات للمراكب تمكن د. زاهي حواس من الكشف عن إحداها أسفل طريق أسفلتى كان يمر بجوار الضلع الشرقى للهرم، بالإضافة إلي فتحتين لمركبين بجوار الضلع الجنوبي استخرجت ورممت إحداها (والتي يدور حولها حديثنا)، و الأخرى لا زالت مدفونة فى مكانها لسوء حالتها. و الجدير بالذكر أن مركب ساحور ع بأبو صير كانت سبباً هاماً لفهمه فن بناء و تركيب المراكب الجنزية فى مصر القديمة (لكن اللغز الحقيقى كان يكمن فى كلمة (سثا) الهيروغليفية والتى تعنى خياطة حياكة فقد كانت تلك الكلمة تشير فى النصوص المصرية إلى بناء المراكب، و كان الملك يأمر «بحياكة مركب» مما حير علماء المصريات وقتها، و لم يستطع أحد أن يفهم مغزاها حتى تم إكتشاف مركب خوفو عام ١٩٥٤.

كانت علامة الإستفهام الثانية التى أثارت دهشة يوسف هى عدم وجود أى مسامير معدنية أو آثار عجائن على الأخشاب المكتشفة للمركب، هذا غير وجود آلاف من القطع الخشبية الصغيرة التى أعتقد فى البداية أنها بقاية عملية حفر و صقل و نجارة الألواح الخشبية، كما لم يتمكن أيضاً يوسف فى الشهور الأولى لبدء عمله من فهم سبب وجود هذا الكم الهائل من الحبال خاصةِ أن المركب كانت

بدون شراع ولا تحتاج بالتالى لهذا الكم من الحبال .. و لمحاولة إيجاد تفسيرات منطقية لهذه التساؤلات قام بدراسة كل الرسومات على جدران المعابد و المقابر لفهم اسلوب تركيب و تجميع هذه المراكب .. كما قام ببناء مركب حديثة طولها مترات، و كتب على كل جزء خشبى الإسم و اسلوب التركيب و أسبقية تركيب كل جزء (و قد تم تسليم هذه المركب لمتحف الإسكندرية). و من هذه المركب بدأ يستنتج فائدة كل قطعة و اسلوب و أسبقية التركيب .. مما ساعده على فهم إسلوب تركيب مركب خوفو الجنائزية و بدأت تتضح الصورة.

بدأ الحاج أحمد يوسف أولى خطوات تركيب المركب، و ذلك بعد تسجيل تفاصيل كل قطعة بدقة بالغة فى دفتر كبير بخط يده، و أيضاً نفس التفاصيل فى كروت مقواة صغيرة نسقها فى صندوق خاص بها، و كل قطعة قام برسمها هندسياً بالأبعاد مع تسجيل موقعها فى الحفرة، و بأى طبقة كانت حتى الزاوية التى وجد عليها هذه القطعة، و بالطبع مع التصوير الفوتوغرافى.

فبدأ أولاً بتجميع وتنسيق وترتيب القطع الأساسية الخاصة بهيكل جسم خوفو و بالطبع كان هناك إختلافاً كبيراً بين إسلوب تركيب المراكب الحديثة و مركب خوفو لكن دراسته المقارنة كانت بلا شك مفيدة جداً و بدأ يقارن عملياً بين أجزاء هذه المراكب التاريخية وأجزاء المراكب الحديثة حتى يتوصل إلى أقرب شكل يربط بين الغرض من القطعة أو الجزء الأثرى و القطعة أو الجزء الحديث، و من واقع دراسته لمدة ٣ سنوات للمراكب الحالية إكتشف أن «القلفطة» هى العملية التى تتم من الخارج عند نقاط ملامسة الألواح بعضها البعض لمنع تسرب المياه إلى داخل جسم المركب .. حيث يقوم بفتح هذه المواضع بالطرق ودفع أجنة بينها، ثم يتم حشوها بالكتان المخلوط بالزفت (القطران) والزيت (عجينة) ويدفنوها داخل هذه الشقوق أو أماكن ملامسة الألواح بعضها ببعض دقاً شديداً مع عدم السماح بوجود أى فراغات فيما بينها ثم تجرى إعادة هذه العملية حتى تتم تسوية المعجون الموجود داخل هذه الشقوق بالسطح الخارجى للمركب .. فيسدونها بإحكام ثم يدهنوا جسم المركب من الخارج بالقطران .. هذا ما يحدث اليوم.

أما ما حدث بالنسبة للمركب الجنائزية لخوفو فالمعروف أن ألواحها سميكة وبعرض حوالي ستين سنتيمتراً ومن الصعب تحقيق الشكل (القطاع العرضى) النصف دائرى بمثل هذه الألواح .. لذلك قام الفراعنة بربط الألواح (حياكتها) من الداخل بعضها ببعض عن طريق ثقب الألواح ثقباً دائرياً خطافياً (أى النزول بشكل نصف دائرى) للخروج مرةً أخري للسطح نفسه وعلي مسافة مناسبة في نفس اللوح، على ألا يتعدى هذا الثقب الخطافى منتصف سمك الألواح. بعد ذلك يتم ترتيب و تنسيق الألواح لتحقيق شكل المركب المطلوب باستخدام دعامات ساندة من الخارج حتى لا تنهار و تتفكك.

تبدأ بعد ذلك عملية حياكة المركب من الداخل أى تربيط الألواح بعضها ببعض دون إستخدام أى مسامير، و بالطبع بعد إتمام هذا التربيط تكون الفواصل بين الألواح من الخارج كبيرة وواضحة .. وهنا تبدأ عملية «القلفطة الفرعونية» و هى دق آلاف القطع الخشبية الصغيرة بين الألواح من الداخل، و هذه القطع كانت من ضمن ألغاز المركب التى أربكت أحمد يوسف لفترة طويلة ولم يتوصل لمعرفة الغرض منها إلا عندما بتربيط المركب بالقطع الصغيرة بإحكام من الداخل فى الفواصل مما أدى إلى سد الفراغات بين الألواح و بالتالى إلى ملامسة ألواح المركب من الخارج بعضها ببعض .. تلامساً شبه محكم لكن بالتأكيد لم يكن ليمنع تسرب المياة للداخل فيتم إزالة الدعامات الخارجية و رفع جسم المر كب المربط بإحكام و وضعه داخل المياة و تركه مدة مناسبة يتمدد الخشب خلالها و تنكمش حبال الحلفا مما يؤدى إلي السد المحكم للفراغات إن وجدت و هذة نظرية علمية معروفة و بسيطة، وهى أيضاً أسلوب القلفطة الفرعونية و التى لم تستخدم فيها أي دهانات أو مواد أ و مسامير علي عكس اسلوب القلفطة الحديثة.

و قد قام بتركيب المركب و فكها خمس مرات كل مرة كان يسجل تفصيلياً إرتفاعات وأبعاد المركب وكل مرة كان يلاحظ تغيراً في هذه النسب بسبب قدم الخشب وتأثره بالعوامل المحيطة به و عمليات الفك و التركيب. أصبح واضحاً إذن أن المركب قد إستخدمت بالفعل و الدليل أن الخشب قد تمدد والحبال إنكمشت و ضغطت بقوة علي الخشب بالكامل فطبعت تفاصيلها على المسطحات .. و أيضاً تعرجات الخشب طبعت على بعضها من قوة الضغط و الإحكام حتى على القطع الصغيرة المستخدمة في القلفطة و التى كان واضحاً عليها بصمات ألواح الخشب الرئيسية.

و قد سجل فى تقريره أيضاً أن الحبال ذاتها طبعت على الخشب بشكل واضح جداً و قد قام بتصوير ذلك و تسجيله و هو دليل مادى دامغ يؤكد أن المركب تم إستخدامها فى النيل فعلاً و أنها ليست مركباً رمزية. إن المركب قد إستخدمت لمراسم حج جثمان المومياء الملكية للأماكن المقدسة على أجناب النيل حتى معبد أوزوريس فى أبيدوس (مركز البلينا بسوهاج).

و من ناحية أخرى توجد على المركب براويز خشبية الغرض منها وضع حصير أعلاها كمظلات لحماية المجد فين من الشمس القاسية، و بعد انتهاء الغرض من الزيارات المقدسة كانه يتم فكها ثم دفنها لتنضم للأثاث الجنائزى، و الحصير كان يغطى الكابينة تغطية كاملة لتحقيق نوع من التبريد و الحماية للكابينة و ما بداخلها من حرارة أشعة الشمس. كان حول الكابينة ١٨ عاموداً والمسافة بين العمود الواحد و جدار الكابينة حوالى عشر سنتيمترات و هى نفس المسافة أعلى الكابينة أى بين أذرع الاتصال بين الأعمدة من أعلى الكابينة و سقف الكابينة تشكل هيكلاً خشبياً خارجياً و يتم تغطية كل هذا بالحصير، و جدار الكابينة أو الفراغ بينهم يؤدى إلى نوع من التهوية

والتبريد أثناء تحرك المركب.

كان على جدران معبد الدير البحري لحتشبسوت بالأقصر مراكب يقوم بتحريك المجداف الواحد بها شخصان .. و هو ما يظهر بوضوح على الرسومات الفرعونية –(بالنسبة للسفن الرومانية كان يحرك المجداف الواحد شخصان وثلاثة).

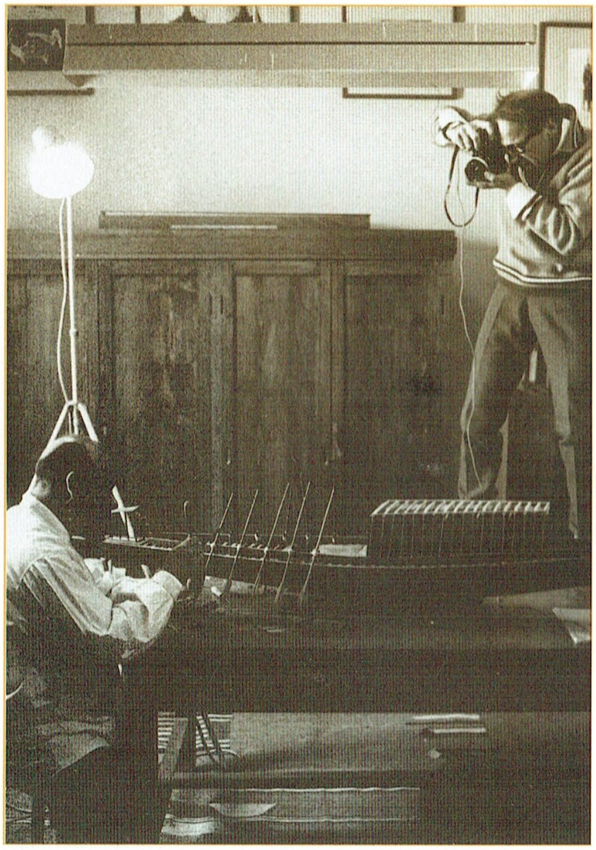
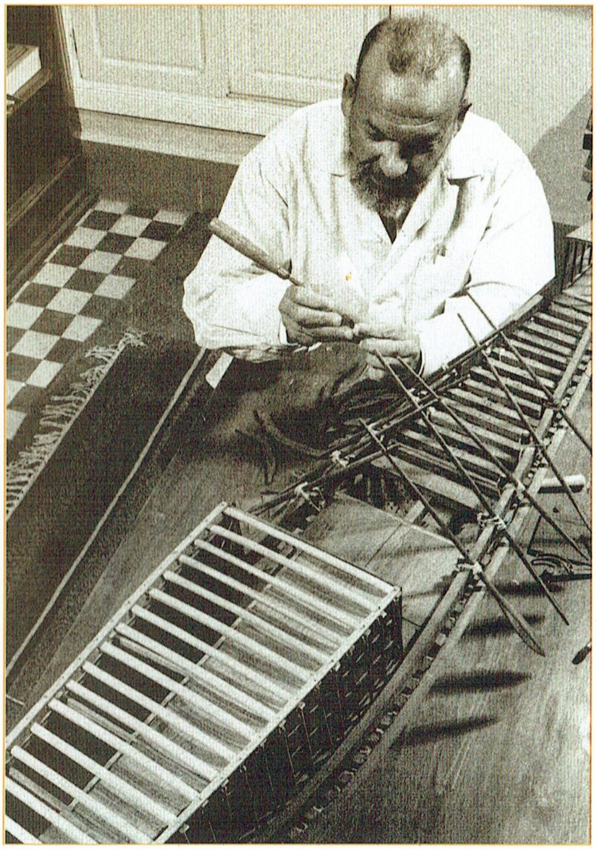
فى مقدمة المركب و مؤخرتها توجد تجمعات خشبية تم تربيطها بإسلوب خاص .. و هو ما يؤدى لظهور الحبال على السطح الخارجى للمركب مما دفع بناة المركب إلى تغطيتها بألواح خاصة لإخفائها كنوع من التجميل حتى لا تظهر تربيطات الحبال من الخارج (لوحان إضافيان فى المقدمة – و لوحان إضافيان فى المؤخرة) كما توجد فتحات موجودة على أرضيات المركب (الخن) والتي تسمح بالنزول إلى قاع المركب كانت سقالة لالمركب أصعب شئ تعامل معه يوسف بعد أن قام بتركيب المركب بالكامل لأنه لم يستنتج و لم يفهم الغرض منها (كمعدية تصل من الشاطئ للمركب) .. حيث كانت كل المراكب على النيل متحركة، و لم يسبق له أن رأى مركبا «جنائزيا» واقفة بجوار الشاطئ فى أى منظر.

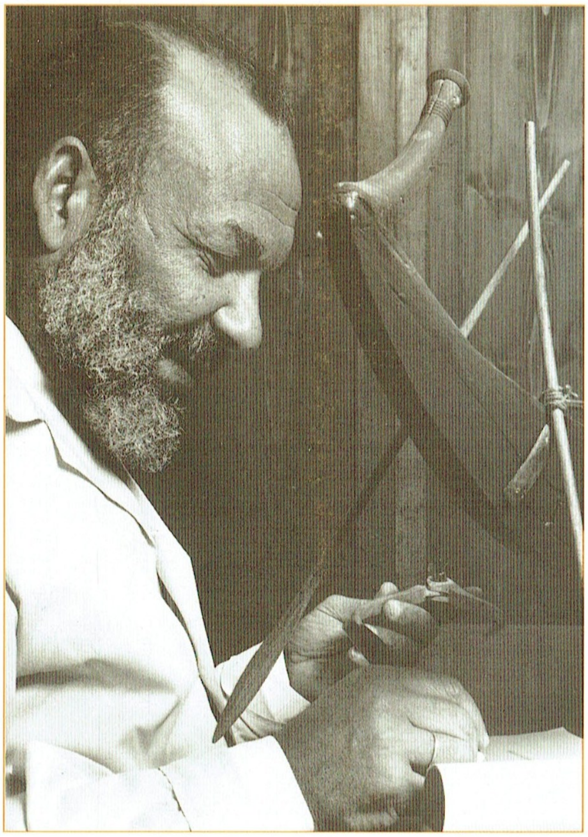
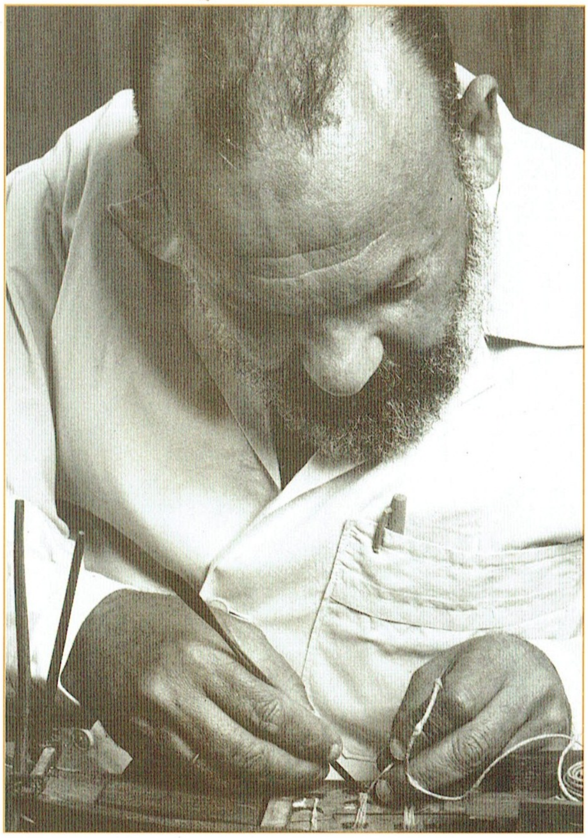
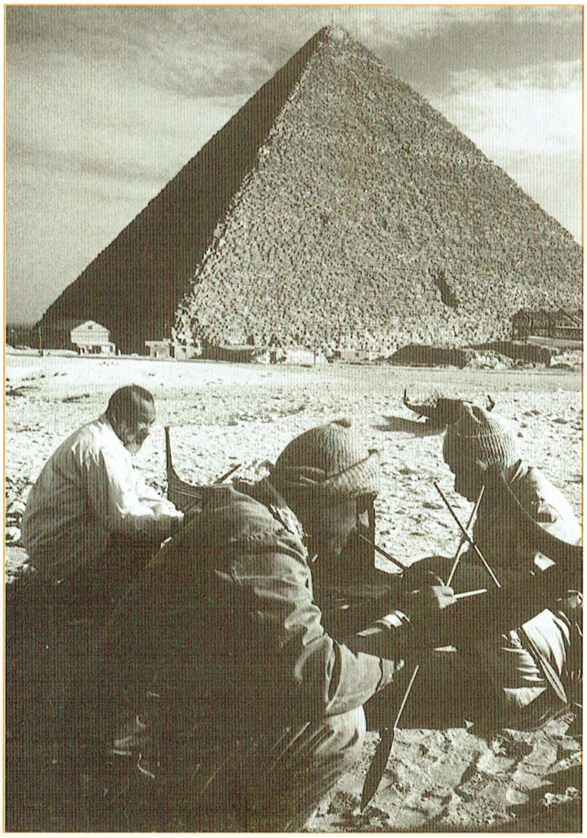
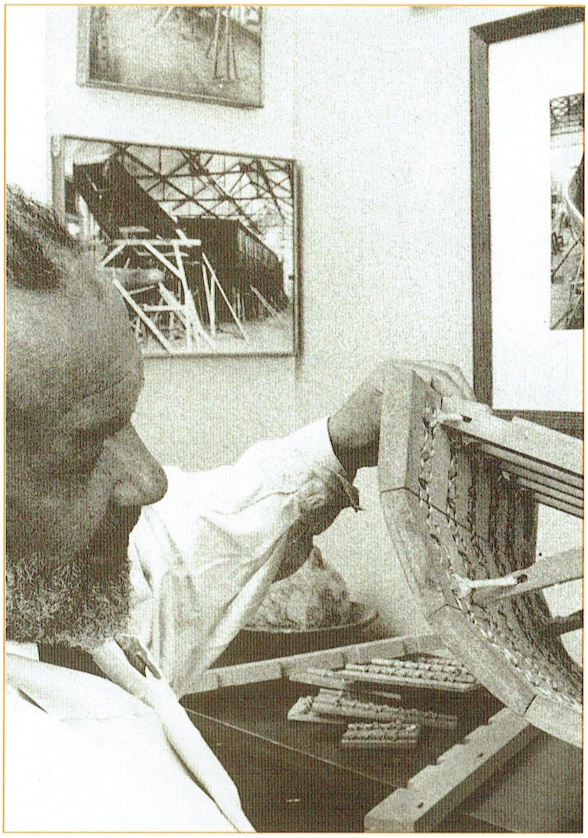
فى عام ١٩٨٧ تقرر إدخال كاميرا و معدات خاصة صغيرة من خلال فتحة لتصوير محتويات الحفرة الثانية التى تقع بجوار مركب خوفو على يد العالم فاروق الباز .. و قد تم إستدعاء الحاج أحمد يوسف لحضور هذه العملية بالكامل .. و قد أبدى رأيه و إستنتاجاته التى أخذت بعين الإحترام و الإعتبار و تم تسجيلها تفصيلياً و الإعلان عنها.

وبعد هذا الحدث إعتكف الحاج أحمد بمنزله بسوق السلاح بالقلعة حتى وفاته يوم ١٩٩٩/٢/٢ .. و خلال هذه الفترة داوم علماء المصريات والمتخصصون فى مجال السفن والمراكب الأثرية على زيارته بمنزله للإطلاع على كل تسجيلاته ورسوماته وبياناته و الكم الهائل من الصور الخاصة بمركب خوفو .. و قد عرضت عليه عروض مادية مغرية جداً لشراء كل هذه المخطوطات والمعلومات والصور و النماذج، لكنه كان دائماً يعتذر ويؤكد أن ثمرة حياته بالكامل ستهدى إلى هيئة الآثار المصرية لإستكمال تاريخ و بيانات هذه المركب عندما يسمح بذلك. و قد عرض عليه مدير متحف بحرى ببريطانيا شراء نموذج مركب خوفو المصغر والذى كان يزين مكتبه بمبلغ ثمانية آلاف جنيه إسترلينى عام ١٩٨٥.. لكنه رفض.

و فعلاً بعد وفاته تم تسليم كل هذا الكنز من المعلومات و النماذج بناداً على رغبته لهيئة الآثار المصرية .. رحمه الله ....



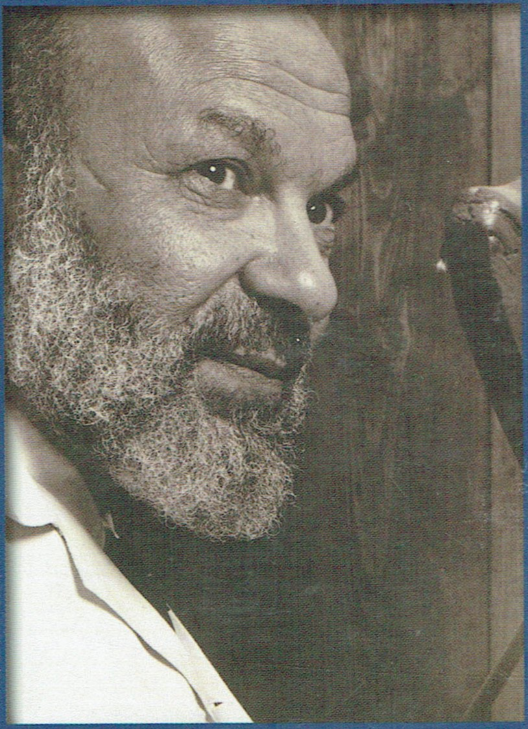





المحتويات

رقم الإيداع ١٩٩٢١ /٢٠٠٢
I. S. B. N.
977 - 305 - 348-2
مطابع المجلس الأعلى للآثار

كمال يوسف

أثريان من الزمن الجميل





100
المتحف المصري
THE EGYPTIAN MUSEUM
1902 - 2002